محمد سعيد العباسي

ديوان العباسي

دار الفكر العربي
١٩٤٨

محمد سعيد العباسي

الاستاذ محمود محمد محمود الماقي العالم
للتعليم العربي بسوريا للتعارف والذكرى
محمد سعيد العباسي
٢٥/٢/١٩٥٦

ديوان العباسي



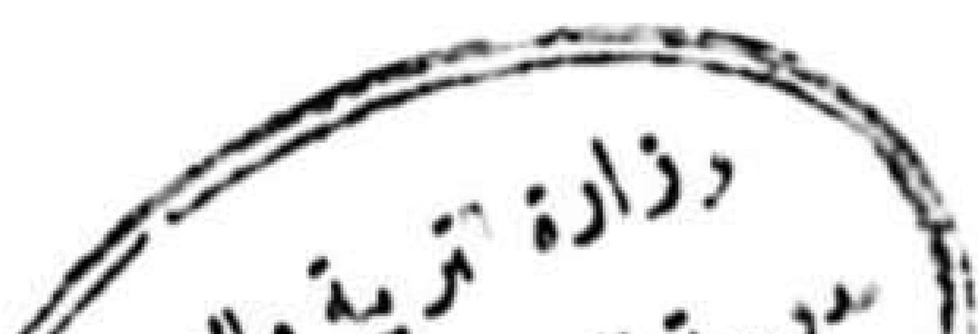
دار الفكر العربي
١٩٤٨



بسم الله الرحمن الرحيم







الأستاذ الشيخ عثمان زناتى



الاهداء

فيا رحمة الله حُلِّى بمصر   ضريح الزناتى عثمانيه
غذانى بآدابه يافعاً   وقد شادنى دون أترابيه
ويا شيبة الحمد إن القريض   أعجز طوقى وأعيانيه
أعرنى بيانك أسمع به الأ   صمَّ وأنطق به الراغيه

محمد سعيد العباسى

القاهرة في ٩ أغسطس سنة ١٩٦٠

سيدي الأستاذ الفاضل الشيخ محمد سعيد العباسي
دام الله فضله ..

تشرفت باستلام خطابكم الكريم، وشعرت بالفخر والسرور عندما بلغت الأعزكم عن إصدار ديوان يتضمن أشعاركم، ولا أدري والله كيف اختلط عندك في تاريخ الرد، وقد طوقتني بجميلكم وشرفتني بفضلكم، إذ تذكرتم أستاذكم من طول العهد وبعد الشقة. وإني لأطيب نفسا أن أكون تلميذا لكم في حفظ الجميل ورعاية الود وإثبات عز العهد.

وقد تفضلتم بإرسال كثير من قصائدكم التي يفوح منها عبير الحنين، إذ أرى في كل حرف منها شاعرية مطبوعة، وفي كل قافية ذوقا جميلا، وكل شطر إلا يحمل كبرياء، وكل بيت إلا مجد غامر، وكل قصيدة إلا وهي منبع من الأخلاق العالية والخيال الرفيع.

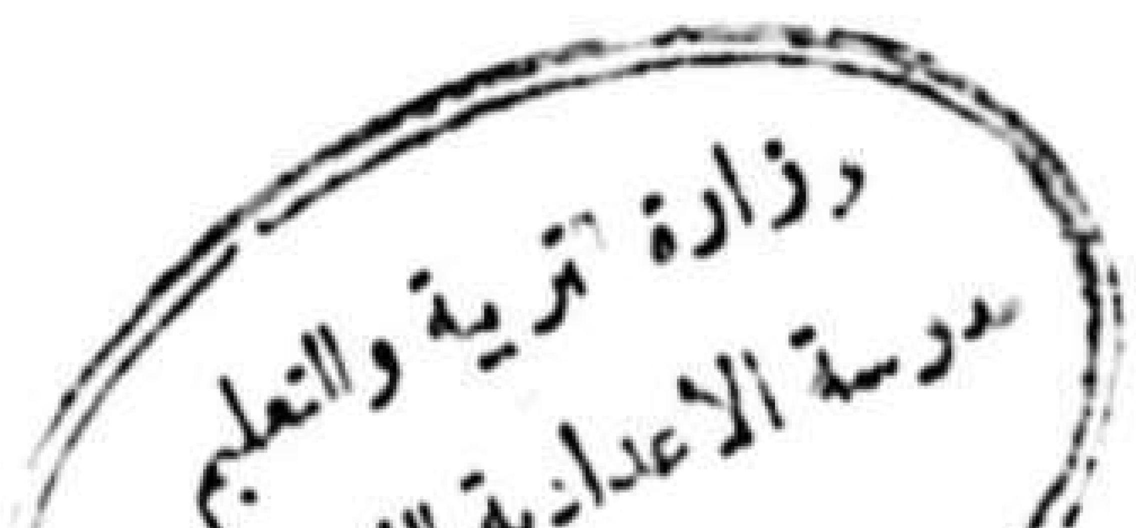
ولقد كان يطيب لي بين الفينة والفينة أن أجوس خلال أشعاركم فكأنما كنت أمشي بين الرياض بين الخمائل وأقطف أحلى الثمار، في جنات تجري من تحتها الأنهار، وكنت كلما قرأت في شعركم كأنما رجعت لأيام الشباب، وتحققت بالذكريات العذاب، وتذكرت تلك الأيام النضرة أيام كنا نتصيد لبنات الهوى بين أرجاء الشعر، ونستنشق الأدب من الشباب.

ولكنت كلما قرأت لكم حكمة كأنما زودت بالعلم حقيقة من حقائق، وكلما قرأت لكم شعرا تذلل عندي عمق الفقر من ذل المشيب.

وبالجملة فقد غمرتني بفضلك إذ أهديتني هذه الأشعار، فجزاك الله عني وعن أنصار الأدب العربي كل خير، وإن كنت قصرت في الرد إليك أو توانيت في أداء الشكر فإن مرضي وشيخوختي يشفعان لي عندك والسلام عليكم.

المخلص
عثمان زناتي

صورة الخطاب الذى أرسله الأستاذ عثمان زناتى لصاحب الديوان



القاهره فى ٩ اغسطس سنة ١٩٣٥

سيدى الاستاذ الفاضل الشيخ محمد سعيد العباسى أدام الله فضله

قد تشرفت باستلام خطاباتكم الكريمة ، وشعرت بالفخر والسرور عندما علمت بعزمكم على إصدار ديوان يتضمن أشعاركم ، ولا أدرى والله كيف اعتذارى عندك فى تأخير الرد ، وقد طوقتنى بجميلكم وشملتنى بفضلكم إذ تذكرتم أستاذكم على طول العهد وبعد الشقة . وإنى لأطيب نفساً أن أكون تلميذاً لكم فى حفظ الجميل ورعاية الود والثبات على العهد .

وقد تفضلتم بإرسال كثير من قصائدكم التى يفوح منها عبير الاخلاص ، والتى يدل كل حرف منها على شاعرية مطبوعة ، وتشير كل قافية إلى ذوق جميل ، وكل شطر إلى نفس كبيرة ، وكل بيت إلى مجد عامر ، وكل قصيدة إلى حصن منيع من الأخلاق العالية والخصال الرفيعة .

ولقد كان يطيب لى بين الفينة والفينة أن أجوس خلال أشعاركم ، فكانما كنت أمشى بين الرياض اليانعة ، أو أقطف أحلى الثمار فى جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وكنت كلما قرأت فى غزلكم كأنما رجعت لأيام الشباب ، وتمتعت بلحظات عذاب ، وتذكرت تلك الأيام الغضّة أيام كنا نقضى لبنات الهوى بين أزهار الشعر ، ونستغنى بالأدب عن الشراب .

وكنت كلما قرأت لكم حكمة كلما زدت بالأيام خبرة على خبرة ، وكلما قرأت لكم فخرا تغلبت عندى عزة النفس على ذل المشيب .

وبالجملة فقد غمرتنى بفضلك إذ أهديتنى هذه الأشعار ، فجزاك الله عنى وعن أنصار الأدب العربى كل خير ، وإن كنت قصرت فى اظهار الفضل ، أو توانيت فى أداء الشكر ، فان مرضى وشيخوختى يشفعان لى عندك والسلام ؟

المخلص

عثمان زناتى



صاحب الديوان

شئ من تاريخى

أنا محمد سعيد العباسى بن محمد شريف بن نور الدائم بن أحمد الطيب العباسى منشىء الطريقة السمانية بمصر والسودان . ولدت بمراديب ولد نور الدائم بالنيل الأبيض ٢٣ رمضان سنة١٢٩٨ هجرية . ولما انتقل بى والدى فى حوادث المهدية إلى الشيخ الطيب بمديرية الخرطوم شمالا وبلغت من العمر سبع سنين أدخلنى مكتباً « خلوة » لقراءة القرآن عند عمى الزاهد الورع الشيخ زين العابدين الشيخ أبى صالح وبمكتب آخر بأم درمان للشيخ عوض الكريم الأزهرى الذى سافر إلى مصر وتحصل على الشهادة من الأزهر الشريف وهو اليوم مدرس بالمعهد العلمى بالسودان . وتنقلت فى مكاتب أخرى تبلغ العشرين عداً ، وكان سيدى الوالد يأمرنى أثناء قراءة القرآن بحفظ متن الأجرومية صوره لى بنفسه مع متن الكافى فى علمى العروض والقوافى . وربما أحضر لى أنا وأخى محمد يس بعض العلماء فنأخذ منهم ما تيسر . وبعد استرجاع السودان ودخول الجيش المصرى طلب كتشنر باشا من والدى الحاقى بالمدرسة الحربية المصرية فدخلتها ٢٨ مارس سنة ١٨٩٩ وأدرجت فى عداد تلامذة من السودانيين يبلغون ٤٥ تلميذاً . وبعد سنتين من انتظامى بها استعفيت لأنى رأيت أن لا أمل لى فى الترقى وإن كنت أول الناجحين فى الإمتحانات ، والسبب فيه أن نظام الترقى للسودانيين هو الأقدمية لا بالتفوق العلمى كنظام التلامذة المصريين، فقدمت طلباً بالاستعفاء وأنا بالخرطوم فى الأجازة السنوية فقبل الطلب . ومن حسن الصدف أن كان

بالمدرسة إذ ذاك أستاذ جليل هو الأستاذ الشيخ عثمان زناتى أستاذاً للغة العربية وكان فى طليعة الشعراء والأدباء فى زمانه ، فلما رأى أنى أحفظ القرآن وأن لى معلومات بالنحو والعروض مال إلى وأدنانى وصار يملى علينا فى الحصة شيئاً من الشعر ويطالبنى بنوع خاص باستظهاره وتفهم معانيه فكنت أنزل على إرادته ، وإن أنس لا أنس مقطوعتين أملاهما علينا ولا أزال أحفظهما عن ظهر قلب وهما قوله :

أرى الناس أعدائى إذا ازورّ جانبى ... ودكت جبالُ الحادثات جبالى
فليس أبى فى الحادثات أبى كما ... عهدتُ ولا خالى هنالك خالى

وقوله :

ما أنت واصلة ولا أنا سالى ... صدق الهوى وكذبت فى آمالى
كان الشباب إلى رضاك وسيلة ... أيام كنت تزينه سربالى

وغير ذلك كثيراً . وكان رحمه الله تعالى ينشرح صدره إلى وربما رأى وتوسم أن أراضى قد تنبت مايغرس فيها وتوتى أكلها . وكنت من جانبى شديد الميل اليه ولازمنى هذا الميل وهذا التقدير إلى يومى هذا . فلا تمر على ساعة أتذكر فيها أيام الصبا الا وتذكرت الأستاذ الزناتى فى مجلسه الوقور وبحر علمه المتدفق فأجد لذة لتلك الذكريات الحلوة العذبة ، فحيا الله أيام الشباب وحيا الزناتى وبرد ثراه فقد غرس فى قلبى حب الأدب .

وأرى لزاماً على الآن أن أقرر أن هذا الأستاذ هو ثانى اثنين نشآنى على الأدب وقرض الشعر : أحدهما أبى الأستاذ محمد شريف فقد كان يحثنى مشجعاً على حفظ بعض أشعار المتقدمين ويطلب منى أن أنظم البيتين أو

الثلاثة فى معنى يختاره ، ومتى رآنى وفقت أجازنى جائزة كان يرقص لهيا قلبى فرحا . اللهم إن لهذين الأستاذين الجليلين على ديناً وحقوقاً . اللهم أعنى على قضائها وقم عنى إن قصرت بأدائها . وكنت على اتصال بالأستاذ الزناتى بالمخاطبات وآخر كتاب منى له سنة ١٩٣٥ وجهته اليه مع صديق الأستاذ الشيخ حسن أحمد أستاذ اللغة العربية الآن بمدرسة « وادى سيدنا » الثانوية بالسودان ، ومعه طائفة من شعرى وذكرت له فيه أن لى ديوانا أو وريقات من الشعر أريد طبعها ونشرها وعزمت على اهدائها اليك قياما بواجبك نحوى فهل لسيادتك أن تقبله وتأذن لى فى نشره . فعاد إلى هذا الصديق يحمل كتابا كريما منه موقعاً عليه بخطه وها أنا محتفظ به كنزاً وذخراً وسيراه القارى بعد هذا وسأهديه اليه لأنه بضاعته ردت اليه ولأن له الفضل كل الفضل فيما تحصلت عليه من أدب وما أفدته من بيان .

وأما أبى رحمه الله فحسبه فى هذا المقام أنى ابنه . فإنا لسان صدقه من بنيه . سلكت طريقه ودعوت إليه على بصيرة أنا ومن اتبعنى ولا أزال أسأل الله أن يعيننى على أداء ما يفرضه على واجب الأبوة والأستاذية من حقوق .

فقد طالما أسدى العوارف جمةً ... إلىّ وكم بر حبانى وكم نعمى
وعلمنى كيف الوصول إلى العلا ... وكيف لها أسعى إماماً ومؤتما
فيا رحمة الله اغمرى جدثاً حوى ... بمرح فى أحشائه الحزم والعزما
ويا برق طالع مطلع الفضل والندى ... وقل للسحاب الجون آيتك العظمى

هذا وقد جعلت من الديوان ثلاثة أبواب . الباب الأول فى الاجتماعيات والباب الثانى فى الرثاء والباب الثالث فى مقطوعات لها وقعها فيما وضعت له ،

وختمت كل هذا بتخميس لى للقصيدة الرائية المشهورة المنسوبة لسيدى أبى مدين الغوث رضى الله عنه فى آداب المريد السالك طريق القوم، ونشرت معه تخميسين أحدهما لإمام العارفين سيدى محي الدين بن عربى ، وثانيهما لسيدنا وأستاذنا الحجة العارف بالله والدال عليه الشيخ عبد المحمود نور الدائم رضى الله عنهما. ورجائى من القراء الإغضاء والتسامح إن رأوا فى هذا الديوان عيباً ونقصاً فالكمال لله وحده .

القاهرة فى ١٩٤٨/١٠/٢

محمد سعيد العباسى

مقدمة

بقلم حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك
مراقب التعليم الثانوى بوزارة المعارف العمومية

سمعت بمقدم الشاعر السودانى السيد محمد سعيد العباسى فدخل على من السرور ما يدخل على كلما سمعت بنبأ زائر أديب من مهابط النيل . إن الصلة التى يحملها الأدباء بين الناس أقوى من كل صلات العيش والجوار والمعاملة . فالأدباء هم ورثة كل ماتخلف من مثل الأجيال ، وهم ألوية الحقيقة إذا ما خمرها التشكيك والتزييف . إن الأديب الذى يطربنا بإنشاده ويهز قلوبنا بأسلوبه إنما هو رمز للروح الذى يسرى فى أعماق كياننا ،فإذا اجتمعنا على هزته فنحن بغير شك من روح واحد ووجود واحد .

وقد كنت قبل هذا قد رأيت نخبة من فضلاء أدباء السودان ، وقرأت لهم وسمعت منهم ؛ وكنت فى كل مرة أزداد إيمانا أن الصور التى تلمع فى شعرهم تنبعث عن فن أصيل ومن نبع فياض. بل لقد ذهب بى الخاطر أحيانا إلى أن ألمح فى شاعر السودان أديبا أبعد أصلا فى العروبة من سائر الأدباء . لقد سمعت فى شعر السودان البدوى وفى أهازيجه الشعبية من صيغ الألفاظ ومن صور التعبير مالا يتوفر إلا لقوم لهم لسان عربى أصيل من أرومة بدويه عريقة . لقد سمعت فى السودان من شعراء الشعب قوما ينطقون لعامة الناس بما لا يدركه فى غير السودان إلا المتأدب المتوفر على دراسة اللغة،فهو ينشد للناس بلغة عامية متحدثا عن الشادن والأسد والرحال والمسارب وما أظن عامة شعب عربى آخر تدرك لهذه الألفاظ معنى .

من ذلك ذهب بى الخاطر أحيانا إلى أن أهل السودان العربى إنما ينطقون

بلسان قديم ، ويغترفون العربية من أصل أصيل . بل لقد خطر لى أنهم استقوا العربية عبر البحر قبل أن يرتووا من منهل الإسلام. وليس ببعيد أن يستطيع أحد الباحثين إثبات قدم العروبة فى السودان وأن القوم قد عاصروا فى الجاهلية إخوانا كانوا يتغنون معا بلسان عربى مبين .ولست أنسى ما حييت جمال ما سبق لى أن قرأته من شعر التيجانى وعبدالله عبد الرحمن ، بل لست أستطيع أن أنسى تلك السجعات العامية الحلوة التى لا أكاد أذكر أسماء أصحابها.

فلما سمعت بعد هذا إنشاد السيد محمد السعيد العباسى لم يكن ذلك أول عهدى بشاعرية أبناء الشق الحبيب .

واستزدت من المتعة فسألت صديقاً أن يحمل إلى قطعاً من شعر السيد الأديب ، فتفضل بذلك فزادنى من آيات الإبداع .

ولعل هذا الحديث يقوم عنى اعتذارا إذ أقدم هذا الديوان البارع للقراء فقد كان أولى به منى من هو أبصر بالشعر وأكثر جرأة عليه ، وما كان أكابر الشعراء ليمتنعوا عن التقديم لمثل هذا الديوان ، بل إنى لأذكر ساعة كنت فيها مع الشاعر الكبير المبدع الأستاذ عباس العقاد فجرى ذكر السيد العباسى وشعره ، فانطلق الأستاذ العقاد يثنى عليه فى شعره ، وعقب على ذلك بثناء على فضائله ونبل نفسه .

فاذا كنت قد أقدمت على هذا التقديم فإنها آية إعجاب أديب بأديب ، فهما وإن افترقا فى مذاهب الصناعة يجولان معا فى ميدان واحد هو ميدان الأدب .

فانى وإن كنت لا أقول الشعر أحب ذوقه، وإن كنت لا أتوفر على قرضه أشارك فى قدره . أشارك فى قدر لفظه وموسيقاه وأسلوبه ومعناه وصوره وما تحويه من فيض الفن وحسه ،وما ينبعث عنه من سيل الروح . وما القصاص إلا شاعرا وإن كان يكتب نثرا .

هذه كلمة اعتذار أسوقها بين يدى حديثى عن ديوان السيد الشاعر وما هذا الحديث بتجمل متجمل .

فالأدب فى جوهره عشق الجمال والحق والتعبير عن الجمال والحق ، وليس من الأدب فى شيء من آثر شيئا على كلمة الحق .

وقد كان عهدى بالسيد العباسى صاحب هذا الديوان يجمع بين القدم والحداثة ، فهو قديم لأنى سمعت عنه وعن أدبه ، وعرفت أرومته ومنبته ، وهو حديث لأنى لم ألقه إلا قريبا ، ولكن العلاقة بين الأدباء لا ينبغى لها أن تكون كسائر العلاقات بين الناس ، فالأديب يحيا فى فنه ويخلد فى فنه ويعرفه الناس فى فنه ، والصلة قوية بين نفوسنا فى هذا الجيل الحاضر وبين قوم من أهل الفن تفصل بيننا وبينهم طوال الحقب ، لأنهم أحياء بيننا فى آثارهم الخالدة نعرفهم فيها ونقدرهم ونتحدث إليهم ويتحدثون الينا ونخالفهم حينا ونستمد من آرائهم حينا ، فاذا كنت حديث العهد بمعرفة شخص السيد فأنا قديم العهد بروحه .

وهو من بيت زعامة دينية خطيرة كان لها شأن كبير فى السودان وفى مصر ، فأبوه أستاذ المهدى الكبير ، عليه تخرج وكان له عنده قدر محفوظ إلى آخر حياته ، ولكنه كان زعيما دينيا خالصا للدين ولهذا تعرض لعنف سياسة الدنيا ، ولعله تحمل هو وأهله كثيرا من عنتها وظلمها فى تلك الأوقات المضطربة التى صاحبت أواخر القرن المنصرم فى السودان .

فالسيد العباسى إذا صدح فى شعره أحسست فى موسيقاه أصداء أناشيد الشريف الرضى إذ تتردد فى شعره حرارة السراة السادة الذين يحسون مسئوليتهم فى المجتمع وتجمع معها نغمة أخرى من كرامة السادة الذين يحسون قصر اليد عما يريدون .

فهو يقول فى قصيدة « من معاقدى » :

إلى كم أمنى النفس مالا تنــاله ... بجوب الفيافى وادراع الفدافد
وقد رقــد السمار دونى فهل فتى ... يعير أخا البأساء أجفان راقد
فيانفس إن رمت الوصول إلى العلا ... ردى قسطل الهيجا وغمرتها ردى

ثم هو يقول فى القصيدة نفسها :

أما ويمين الله وهى ألية ... تقال فتغنى عن يمين وشاهد
سأصفح عن هذا الزمان وما جنى ... متى ظفرت كفاى منه بماجد
وإن ألقه بعت الحيــاة رخيصة ... وآثرته باثنين سـيفى وسـاعدى

أليس هذا لسان الشريف الرضى ؟ إن هذا روحه يتنفس فى أبيات تشع حرارة وتنفح كرامة .

وإذا كان شعر السيد يمثل لنا ديباجة موسيقى السيد الكريم فى مثل هذه القصيدة فإن فيه ألوانا أخرى تذكرنا بأرواح أخرى يملؤها الطموح وتتقد فيها حرارة القلب الذكى . أأقول إنها ذكرتنى طموح المتنبى ؟ فلنستمع اليه إذ يقول :

باتت تبالغ فى عذلى وتفنيدى ... وتقتضينى عهـود الخرد الغيـد
وقد نضوت الصبا عنى فما أنا فى ... إسار سعدى ولا أجفانها السود
سئمت من شرعة الحب اثنتين هما ... هجر الدلال واخلاف المواعيد
لا تعذلينى فإنى اليوم منصرف ... يا هذه لهوى المهرية القود
لم يبق غـير السرى مما تسر له ... نفسى وغير بنات العيد من عيد
المدنياتى من رهطى ومن نفرى ... والمبعداتى عن أسرى وتقييدى

ولنستمع اليه فى قصيدته « ذكرى أيام الشباب فى مصر » :

زد عتواً أزدك من حسن صبري وأذقني كأس العذاب الأمر
لست يا دهر واجداً في شبا عز مي فلولا ولا قلامة ظفر
لا تحاول مني مراماً بعيداً أرض من شئت بالمذلة غيري
إن بيني وبينه أبداً حرباً سجالا ما بين كر وفر
ضاق صدري منه وإن عجيباً قول مثلي في حادث: ضاق صدري
ما مقامي حيث الصحاب قليل وبقائي بدار هون وقهر؟
كم تخلى بالأمس عني حبيب وجفاني من كان موضع سري

ولو أردنا أن نتمثل بعيون من هذه القصيدة العصماء لأتينا على كل فرائدها .

وأنه لما يجدر بنا ذكره في هذا المقام أن السيد جاء إلى مصر في مطلع حياته لكي يعد نفسه في المدرسة الحربية لخدمة الوطن ضابطاً . ولكن أبت السياسة إذ ذاك الا أن تجعل النسر ثانيا للبغاث رغبة منها في نزع قوادمه وخوافيه ، فأنف السيد وآثر أن يباعد ما بينه وبين مواطن الهوان ، وهو منذ ذلك العهد إلى اليوم منتبذ في ضاحية بعيدة في شمال الخرطوم متحملا في صمت ما تناله به السياسة من عنف أو غمط حق ، ولكن نفسه الأبية ترسل نفثاتها شواظاً يصدع الذين يحاولون أن ينزلوا به الهوان :

فلنستمع اليه في بعض عيون هذه القصيدة العصماء :

ومرامي إحدى اثنتين فإما عيش حر أولا فموتة حر

وهو ما يزال يحن إلى مصر وأيامه التي قضاها في زمن الشباب وهو اليوم يختال في برد من الشيب لا يقل بهاء عن رونق بهاء الشباب .

قال يتذكر مصر وأيام شبابه فيها :

حيث روض الهنا ومجتمع الأهـ وا ودر السرور للمستـدر
هل إلى مصر رجعة وبنا شر خ شباب غض وزهرة عمر

* * *

فهناك الرياض والماء يجرى بخرير تحت الرياض وقدر
وهناك النسيم يعبث بالمـا ء ويزرى والورق للماء تغرى
فاذا ما غنّت بلابله قلـ ت كرام أضناهمو طول هجرى
بقعة شاكلت هوى كل نفس فصبا نحو حسنها كل فكر

* * *

كم قطفنا من ذلك الروض زهرا ورضعنا فيـه أفاويق در
ومصابيحنا به غـرة السا ق وبدر من كفه بات يسرى
إن خرجنا من حال سكر لصحو فيه عدنا من حال صحو لسكر

* * *

رب هل تلك جنة الخلد أدخلـ نا إليها أم تلك جنـة سحر
كنت فى ذلك الحمى ناعم البا ل خلياً من كل قيد وأسر

* * *

وهو إذ يذكر مصر لا يورى عن حبه لها فيقول :

إن يورى عنكم أناس فما من مذهب الحب والوفا أن أورّى
لو يكون الخيار حكما لما اختر ت نزوحا عنكم ولا قيـد شبر
غير أن الأقدار تقضى وما للعـــبد فيما تقضى به من مفر
رب قدر لمصر طالع إسعا د وهيء لمصر إصلاح أمر
أنت قدرت والمواهب تترى لهـلال الدجنـة المستسر
غاب حينا فعاد غير ذميم واكتسى فى تخطاره ثوب بدر

ألسنا إذ نقرأ هذه الخطرات نذكر المتنبي إذ يتذكر معاهد شبابه فى ديار الشبهاء ؟

وصاحب الديوان إذ يذكر مصر لا يفتأ يحن إليها حنين الكريم إلى وطنه الحبيب ، وهو مثل خيار الكرام فى شطر الوادى يرى أن حياة مصر والسودان إنما هى حياة واحدة لا تتحقق لأحد الشقين إلا بتحققها للشق الآخر ؛ فهو يحب لمصر الحياة لأنها حياة للسودان ، وهو يحب الحياة للسودان لأنها حياة لمصر . فأناشيده تخرج خالصة من قلب سيد ينظر إلى الحياة نظرة حر لم تستطع الحياة أن تستذله بما حاولت أن تستذل به الأحرار من إغراء أو وعيد أو عنف وبطش شديد .

وقد كانت قصيدته الأخيرة التى قالها عند مقدمه إلى مصر شاهدة بما فى ذلك القلب الكبير من نبل :

قال فى قصيدته آمال السودان فى مليك الوادى :

مصر وما مصر سوى الشمس التى ... بهرت بثاقب نورها كل الورى
ولقد سعيت لها فكنت كأنما ... أسعى لطيبة أو إلى أم القرى
وبقيت مأخوذاً وقيد ناظرى ... هذا الجمال تلفتاً وتحيرا
فارقتها والشعر فى لون الدجى ... واليوم عدت به صباحاً مسفرا

فلما وقف بمعاهد صباه حركه الحنين فقال :

يا دار أين بنوك إخوانى الألى ... رفعوا لواءك دارعين وحسّرا
زانوا الكتائب فاتحين وبعضهم ... بالسيف ما قنعوا فزانوا المنبرا
إنى لأذكرهم فيضنينى الأسى ... ومن الحبيب إلىّ أن أتذكرا

* * *

كذب الذى ظن الظنون فزفها ... للناس عن مصر حديثا يفترى
والناس فيك اثنان شخص قد رأى ... حسناً فهام به وآخر لا يرى

وذكرته هذه الأحاديث بصحاب من كرام أهل السودان كان ظنه فيهم عظيما فكاد يخيب وكاد يدعهم إلى وميض برق خلب لن يلبث أن يضل بهم فى فى مهامه البيد . ولكن قلبه الوفى يأبى إلا أن يدعوهم إلى الرجعى :

فهو يزجى إلى هؤلاء نصح أخ شفيق :

اسمع نصيحة صادق ما غيرت   منه الخطوب هوى ولن يتغيرا
لم آت أجهل فضل رأيك والحجى   لكن أتيتك مشفقاً ومذكرا
والنصح من شيم الصديق فإن ونى   عدوه فى شرع الوداد مقصرا
عمرى كتاب والزمان كقارىء   أبلى الصحائف منه إلا أسطرا

ألا ما أبرعه من نداء كريم :

ثم هو يقول لهؤلاء الأصدقاء :

فاربأ بنفسك أن تكون مطية   للخادعين وللسياسة معبرا
وحذار من «رسل القطيعة» إنهم   رهط قد انتظموا ببابك عسكرا
ما ساقهم حب إليك وإنما   حشروا وجيء بهم لأمر دبرا
ولأن تبيت على الطوى وتظله   وتضم شمل المسلمين وتنصرا
خير ، ففى التاريخ إن قلبته   عظة لذى نظر وعى وتدبرا

فالسيد العباسى صاحب هذا الديوان رجل يجمع نفس الحر الأبى إلى القلب القوى الذكى إلى فن الشاعر الذى يغوص إلى أعمق المعانى ويصورها فى أبرع اللوحات ، ثم هو فى ديباجته فذاً لا يكاد يجد الناقد له عديلا إلا فى عباقرة الشعراء من قدماء ومحدثين .

وإنه ليسعدنى حقاً أن أقدم لقراء العربية ديوانه معتذراً فى ختام كلمتى كما اعتذرت فى بدئها وقد فزت على كل حال من ذلك الديوان بأن جلت جولة فى مغانيه وتمتعت حيناً بروعة صوره ومعانيه

١٩٤٨/٨/١٦   محمد فريد ابو حديد

الباب الاول

اجتماعیات

آمال السودان في مليك الوادي

أقصرت[1] مذ عاد الزمان فأقصرا وغفرت لما جاءني مستغفرا
ما كنت أرضى يازمان لو أنني لم ألق منك الضاحك المستبشرا
يامرحباً قد حقق الله المنى فعلي إذ بلغتها أن أشكرا
ياحبذا وادٍ نزلت وحبذا إبداع من ذرأ الوجود ومن برا
مصر وما مصر سوى الشمس التي بهرت بثاقب نورها[2] كل الورى
ولقد سعيت لها فكنت كأنما أسعى لطيبة[3] أو إلى أم القرى[4]
وبقيت مأخوذاً وقيد ناظري هذا الجمال تلفتاً وتحيرا
فارقتها والشعر في لون الدجى واليوم عدت به صباحاً مسفرا
سبعون قصرت الخطا فتركنني أمشي الهوينى ظالعاً متعثرا
من بعد أن كنت الذي يطأ الثرى زهواً ويستهوي الحسان تبخترا
فلقيت من أهلي جحاجح[5] أكرموا نزلي[6] وأولوني الجميل مكررا
وصحابة بكروا إلى[7] وكلهم خطب العلا بالمكرمات مبكرا
يامن وجدت بحبهم ما أشتهي هل من شباب لي يباع ويشترى

---

(١) أقصرت عن الشيء انتهيت عنه .
(٢) النور الثاقب : النافذ الشديد الظهور .
(٣) طيبة هي المدينة المنورة على ساكنها أفضل السلام وأزكاه .
(٤) أم القرى هي مكة المكرمة .
(٥) الجحاجحة أي السادة .
(٦) نزلي أي مثواي .
(٧) بكروا إلى أي بادروا إلى .

ولو انهم ملكوا لما بخلوا به ... ولأرجعونى والزمانَ القهقرى
لاظلَّ أرفل فى نعيم فاتنى ... زمن الشباب وفتَّه متحسرا[1]
ووقفت فيها يوم ذاك بمعهد [2] ... كم من يدٍ عندى له لن تكفرا
دارٌ درجت على ثراها يافعاً ... ولبست من برد الشباب الأنضرا
يادار أين بنوكِ إخوانى الأولى ... رفعوا الواءكِ دارعين[3] وحسرا[4]
زانوا الكتائبَ فاتحين وبعضهم ... بالسيفِ ماقنعوا فزانوا المنبرا
سبحان من لو شاء أعطانى كما ... أعطاهمو وأحلنى هذا الذرى
لأريهم وأرى الزمان اليوم ما ... شأنى فكل الصيد فى جوف الفرا
إنى لأذكرهم فيضنينى الأسى ... ومن الحبيب إلىّ أن أتذكرا
لم أنس أيامى بهم وقد انقضت ... وكأنها والله أحلام الكرى

* * *

كذب الذى ظن[5] الظنون فزفها ... للناس عن مصر حديثاً يفترى
والناس فيك اثنان شخص قد رأى ... حسناً فهام به وآخر لا يرى
والسرُّ عند الله جلَّ جلاله ... سوَّى به الأعمى وسوَّى المبصرا
يا من[6] رعيت وداده وعددته ... درعاً إذا جار الزمان ومغفرا[7]

(١) التحسر على الشيء الأسف عليه .

(٢) المعهد الذى يقصده الشاعر هو المدارس الحربية المصرية فلقد التحق بها سنة ١٨٩٩ وقدم استقالته منها بعد عامين .

(٣) دارعين أى لابسين الدروع .

(٤) حاسر الدرع خالعه .

(٥) الظنون هذه هى التى يقول بها بعض من السودان فانهم يقولون ان مصر لا تريد منا إلا أن تجعلنا مستعمرة فقط تأخذ خيرات بلادنا وتستعبدنا .

(٦) أخاطب صديقا عظيما لى به علاقة من المودة والاخلاص ولى فيه كما لغيري من بنى وطنى السودان آمال واسعة وان فيه ما ليس لغيره من الفضائل وأرى أن السياسة تريدأن تجرفه وإذا صح لا قدر الله فسيكون مصيره مصير من لعبت بهم أهواء السياسة فندموا ولات حين مندم

(٧) المغفر : غطاء الرأس فى الحرب .

اسمع نصيحة صادق ما غيرتْ ... منه الخطوب هوى ولن يتغيرا
لم آت أجهل فضل رأيك والحجى ... لكن أتيتك مشفقاً ومذكرا
والنصحُ من شيم الصديق فإن دنى ... عــدُّوه فى شرع الوداد مقصرا
عُمْرى كتابٌ والزمان كقارىء ... أبلى الصحائفَ منه إلا أسطرا
فعلمت[1] منــه فوق ما أنا عالمٌ ... ورأيت من أحداثه ما لا يرى
قل لى فديتك ما الذى ترجوه من ... تاج[2] وقد ألبست تاجاً أزهرا
وورثتَ فيما قد ورثتَ شمائلاً ... كانت أرقّ من النسيم إذا سرى
أما السماحُ فلا يساجلك امرؤ ... فيــه ملكت جماعه مستأثرا
فاربأ بنفسك أن تــكون مطيــةً ... للخادعين وللسياســة معبرا
وحذارِ من رسل[3] القطيعة إنهم ... رهط قد انتظموا ببابك عسكرا
ما ساقهم حب إليـك وإنمـا ... حشروا وجىء بهم لأمرٍ دبرا
ولأن تبيتَ على الطوى وتظله ... وتضمّ شملَ المسلمين وتنصرا
خيرٌ . ففى التــاريخ إن قلبته ... عظة لذى نظر وعى وتدبرا
انظرْ إلى الملك الحسين[4] وإنه ... من عترةٍ هى خير من وطىء الثرى

---

(١) فعلمت منه والبيت الذى قبله أذكر فيه لهذا الصديق أن نصحى له نصح من عرف الأيام وعرفته وشهد حوادثها فاذا تكلم فى أمر تكلم عن علم وإذا نصح فانما ينصح عن خبرة

(٢) ربما يقولون له سنعطيك تاجا وأرى أنه غنى عن مثل هذا التاج لأنه فى قومه فى مرتبة هى فوق مرتبة التاج فقد كان عند ظن العائذ يحمل الكل ويقرى الضيف ويأخذ بيد الضعيف وله فى الأعمال الخيرية اليد الطولى .

(٣) رسل القطيعة فئة معروفة لدى الناس عندنا وأنهم لسان الاستعمار الناطق .

(٤) الملك الحسين هو ملك الحجاز فقد أهدت اليه السياسة تاجا وفتحوا له باب الأمل حتى إذا أرادوا منه ثمن هذا التاج وهو السير وراء سياستهم المعروفة وهى أن يكون تابعا لا يصدر إلا عن أمرهم عند ذاك علم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فصد عنهم فــكانت النتيجة ما رأى العالم من موته سجينا فى قبرص بعيدا عن وطنه ومملــكته المزعومة .

منحوه تاجاً ثم لم يرضوا به ذهباً فصاغوه لديه جوهرا
عجموه فاستعصى فلما استيأسوا نزعوه عن فوديه نزعاً منكرا
ويح لهذا الشرق نام بنوه عن طلب العلا وتأخروا فتأخرا
ظنوا السعادة وهي أسمى غاية قصراً يشادُ وبزّةً أو مظهرا
قادتهم الأطماعُ حتى أشبهوا كبش الفدا والجزل من نار القرى
والجمر إن أخفى الرمادُ أواره شقيت به كف الصبي وما درى
والله أحمد حين أبرز للورى من غيبه ما كان سراً مضمرا
فاروقَ أقوى المالكين عزيمةً وأسدّهم رأياً وأكرم عنصرا
فأقام من صرح العروبة ركنه منذ قام فيها منذراً ومبشراً
وتعهدتْ غرس التآلفِ[1] كفه واليوم هذا غرسه قد أثمرا
فتزاور الأملاك بعد تنافر أبلى وأوهن من وثيقات العرى
والله يجزى العاملين عن الذى قد قدّموا ذاك الجزاء المحضرا

* * *

مولاى يازين الملوك ومن غدت مصرٌ به زين العواصم والقرى
علمت جاهلها وعلت فقيرها وسقتهم يمنى يديك الكوثرا[2]
فالدين والدنيا قد ازدهرا بكم والعلم يزخر بحره متفجرا
بوركت من ملكٍ وبورك عهدك الـ ـميمون ما أبهى سناه وأبهرا

---

(١) التآلف هنا هو ائتلاف بين ملك الحجاز ابن سعود وبين الملك عبد الله ابن الحسين ملك شرق الأردن فقد كانت بينهما مقاطعة واختلاف يرجعان إلى الحرب التى كانت بين ابن السعود وبين الملك الحسين والتى كانت نتيجتها أن تغلب الأول على الآخر فصار ملكا للحجاز قاطبة وخرج الحسين إلى المنفى كما تعلم .

(٢) الكوثر هو الخير الكثير ولا شك أن لفاروق ملك وادى النيل فضلا فى تقدم مصر فى عهده فالمعارف منتشرة والخيرات موفورة وفى عهده حصلت مصر على استقلالها المنشود .

انظر إلى السودان نظرة مشفق فلقد أمضّ[1] زمانهم وتنكرا
وهمو بعرشك لائذون وما لهم إلاك من يذر العسير ميسرا
فلذا تراهم كالعطاش تطلعوا بالدَّو[2] يرتقبون مزناً ممطرا
ضربوا بأقفاص الحديد عليهم مثل الذى فعلوا بآسادِ الشرى
صبروا لها صبر الجبال رواسياً وسروا وما ملوا مغالبة السرى
وسهرت أحدوهم بذكرك دائماً وحدى وأشدو بلبلاً أو مزهرا
حتى لصخت لكل أذن منهم قرطاً وكنت فريده المتخيرا
إذ أنت فى هذا الوجود حقيقة والناس بعدك كالخيال مصورا
إن غاب عنه الأزهران[3] فعش به شمساً تضىء لنا وبدراً نيرا

(١) أمض الجرح أتعب .
(٢) الدو الأرض المفازة التى لا ماء بها ولا شجر .
(٣) الأزهران الشمس والقمر .

سمار بين القديم والحديث

خان[1] عهد الهوى وأخلف وعدا   ظالم أحرق الحشاشة صدا
ماطل لا يرى الوفاء فإما   جاد يوماً أعطى قليلا وأكدى
إن سألت النوال ضن وإن غبـ   ـت تجنى تيهاً وإن زرت صدا
من معيني؟ هذا الحبيب جفاني   معيري ثوب الشباب استردا
أنا وحدي الملوم أنزلت آما   لي بمولى لم يرع مذ كان عهدا
خل هذا الصدود وادن أحاجيـ   ـك ومهلا زين الملاح رويدا
قلت عندي روض هو الخلد يؤتي   أكله طيباً ويعبق رندا
ورحيق خبأته لك مما   كان قدما إلى الخواقين يهدى
هاته إنه المنى وأذقني   إن تفضلت من ثناياك بردا
أنا رق الهوى وبي ظمأ بر   ح وشوق أبلى اصطباري وأودى
فتعجل لا تشمتن بي فتيا   نا بذاك الحمى بهاليل لدا
كان بي عنهم اليك نزوع   لم أجد يابدر الدجى عنه بدا
ومتى عادت المنى كنت للشكـ   ـر خليقاً وكنت بالروح تفدى
ثم لو صرت في تهامة اتهمـ   ـت ولو قلت نجد يممت نجدا

---

(١) خان عهد الهوى الخ هذا البيت والأبيات التى بعده وعددها ١٨ بيتا قد يتسابق الى ذهن القارىء أنها من الغزل ولكنها والحقيقة انما هى تقرير حال بين القائمين بالأمر بالسودان وبين الشعب فكثيرا ما أعطوا الشعب العهود والوعود بأنهم سيسيرون به الى طريق الحكم الذاتى وطريق الحرية المنشودة ولذا يقول الشاعر هـذا الحبيب خان عهدى وكان ماطلا لا يرى الوفاء وللقارىء أن يستخلص بعد ذلك بقية معانى الأبيات .

ولصغتُ البدورَ تاجا لفودَيـ ـك وقلدتك المجرةَ عقدا
شدَّ ما عاثَ بالقلوبِ هوى النفـ ـس فأفشى ما قد أسرت وأبدى

* * *

يارفاقاً فديتُهم هل معيد لىَ منكم ذكرى خليط أجدا[1]
وربوعاً أحالها عنت الدهـ ـر مراحا للحادثات ومغدى
أسعدتنا فيها الغداة دموع لم تخنسا بالأمس فى دار سعدى
ويمينا لو استزادتْ لزدنا ها قلوباً تسيلُ كالدمع وجدا

* * *

زرتُ سنارَ والجوانحُ أسرى زفرات هدتْ قوى الصبر هدا
إن محا الدهرُ حسنها فلقد كا نت مراداً[2] للمعتفين وخلدا
كم لها فى الرقاب منا ديونٌ وعزيزٌ علىّ ألا تؤدَّى
وجميلٌ لأهلها عند أهلى ويدٌ بالصنائع الغرِّ تندى
فافعلِ الخيرَ ما استطعت تجده سبباً جاعلا من الحر عبدا
لهف نفسى فقدت يا قبلة الخـ ـير كهولا حموا حماكِ ومردا
كنت مثوى للأكرمين وميدا ناً رخياً لخيلهم ومندًّى[3]

(١) خليط أجدا الخ هؤلاء هم ملوك سنار فى الزمان الأول ، وقد وقف الشاعر فى سنار بالطلال قصر كان يسكنه ملك سنار « باديه أبو شلوخ » المعروف بالتاريخ وهاجت أشجانه ذكرى هؤلاء الملوك وفضائلهم خصوصاً مع أجداد الشاعر فقد أقطع ملك سنار للأستاذ أحمد الطيب أراضى كثيرة وكانت له عنده منزلة لا تدانى . لذا رأى الشاعر أن عليه ولآل بيته دينا لهؤلاء الملوك البهاليل فقال : كم لها فى الرقاب منا ديون وعزيز على أن لا تؤدى .

(٢) المراد بضم الميم موضع الكلأ للابل ويطلق هنا على سنار فقد كانت مرادا للمعتفين وخلداً. ألا حيا الله ذكرى سنـار وذويها الغر الميامين فقد قلدوا الناس أطواقا من المعروف وقلائد من الصنائع .

(٣) المندى مكان تضمير الخيل .

ورحاباً قد زينت وقباباً زان أرجاءها مليك مفدى
عاش ما عاش وهو جدٌّ أبيٌّ لم يعفر لغير مولاه خدا
عجمته الخطوب وهي شدادٌ فأثارت منه الخشاش[1] الأشدا
وبنوداً تهفو وخيلا تنزى بالأناسيِّ سادةً وعبدا[2]
أرخصوا في هواك كلَّ عزيز فتباروا في الحرب والسلم جندا
فرقتهم يدُ الزمان أناديد[3] وما خلفوا لعمري ندا
قد شقينا من بعدكم فوردنا ياكرامَ الحمى من الهول وردا
واستحضنا من ذلك العز هوناً ونعيم الحياةِ بطشا وكدا
وركبنا عشواء لا يأمن الركب عثاراً ولا يؤمل رشدا
قدرٌ غالبٌ وهل يملك النا س جميعاً لقدرة الله ردا؟

* * *

قف تأمل[4] هذى العجائب وانظر شامخاً يحسر[5] العيون استجدا
وأجل ناظريك فيما اصطفى العلم لأحباره وما قد أمدا
غاص بناؤهم فأخرج بالفن وآياته من النيل طودا
بفؤاد لم يدرِعْ هيبة الروع كأنْ سلَّ أو من الصخر قدا
وانسياب المياه بيضاً عراباً صيرتها عجاجة الحرب ربدا
بانحدارٍ كأنه غير منقوص أكفُّ الكرام واصلن رفدا

(١) الخشاش الرجل شديد المراس قوى الشكيمة .
(٢) العبدا بكسر العين العبيد .
(٣) أناديداى فرقا .
(٤) قف تأمل هذه العجائب إلخ... هذه أبيات تأتى وكلها فى وصف خزان سنار الذى بنته شركة انكليزية وكان آية فى الابداع والقوة .
(٥) يحسر العيون أى يعييها من شدة النظر اليه .

قد تحداهمو فرْدٌ ولولا الـ ـله والعلم أغرقوا إذ تحدى
مد للناس من رواقيه فاعجبْ لمنيل(١) افاد جزراً ومدا
غمر السهل بالجزيرة حتى لتراءتْ فى زى حسناءَ غيدا
زارها النيلُ وهى قفرٌ يبابٌ فاكتست من نسيج يمناه بردا
كم بها من ندًى ومن بركات قد بدت للعفاة لما تبدى
لا أقولُ الصناعُ جنٌّ سليما نَ ولا السدُّ سدُّ ياجوج مدّا
فلعمرى هذا لأحكم صنعاً شادهُ اليومَ أعظمُ الناس أيدا
أمةٌ كالزمان بأساً وكالنجـ ـم عداداً ومنه أسمى وأهدى

✲ ✲ ✲

نحن جيرانُك الضعافُ عنانا ما تعانى يا نيلُ حبساً وقيدا
كنت فينا بالأمس براً حفياً ما لهم علموك شحاً وقصدا

✲ ✲ ✲

جبسن(٢) اسمعْ أوليت قومك فخراً وثناء يروى وأوريت زندا

---

(١) لمنيل أفاد جزرا ومدا يعنى به النيل فهو حقيقة المفيد جزراً ومدا . وحذار أن يفهم القارىء أنه أفاد سكان الجزيرة جزراً ومداً . فقد أفادهم بعض الفائدة أما الفائدة التى لا تقدر قيمتها فراجعة إلى الشركة التى بنت الخزان لا غير . ولك أن تسأل ولى أن أجيبك بأن كل مصاريف الزراعة من أول يوم إلى ساعة تستلمه الشركة على الزارع المسكين ويأخذ من ثمن القطن الذى لا يعرفه لمن بيع الخمسين والثلاثة الأخماس للشركة . وتدفع فقط الشركة إيجار الأرض للملاك وهى مائة مليم لكل فدان . وثمنه إذا اشترته الحكومة ثمانون قرشا . تأمل .

(٢) جبسن اسم مهندس انكليزى هو مهندس الخزان وبانيه يخاطبه الشاعر فيقول له جئت فى السد بالعجاب فهلا شدت بين البغاة والناس سدا . يعنى بين المستعمر وبيننا .
وهناك نكتة ظريفة . عند ما زار بعض حزب الأمة منذ عامين لندن زاروا هذا المهندس فى داره فقال لهبعضهم ان عندنا بالسودان شاعرا يعجب بك وذكرك فى شعر قاله فقرأوا عليه الأبيات وقالوا يريد بقوله . هلا شدت بين البغاة والناس سدا . يريد الشاعر بالبغاة المصريين ولقد سر جبسن هذا فترجمت له هذه الأبيات ونشرت فى الغد بكل الجرائد الانجليزية بلندن سمعت كل هذا التفصيل ممن كان مع رفقائه من حزب الأمة فى دار هذا المهندس بضواحى لندن .

نحن من قد علمتَ وداً وأنت الـــمرؤيو لىالإحسان بدءاً وعودا
جئت فى السدِّ بالعُجاب فهلا شدت بين البغاة والناس سدا
قم تعرَّفْ قلوبهم إن فيها طمعاً أفسد الحياة وحقدا
لو حظينا وأسعفَ الدهر حيناً للبسنا يا ذا النهى العيش رغدا
إن داء الأطماع والظلم داءٌ يجعل الأولياء للمرء أعدا

☆ ☆ ☆

يا سراة[1] البلاد ياقادةَ الرأ ىِ فؤادى مما بكم ليس يهدى
أنتمو عترةُ الكرام الألى شا دوا بأيامهم ذُرَى المجد شيدا
رفعوا من مناره أمس للسا رى وشقوا نحو الفضيلة نجدا
ما لكم كلما دهتكم خطوبٌ لم تزدكم إلا اختلافاً وبعدا
أصلحوا من أموركم وأعدوا إن خلف الآكام أمراً أعدَّا
وابذلوا المال للعلوم فما حا ز بخيل بالمال والجاه مجدا
لا . وقد يخطىء الذى عدفى الآ با علياً وهاشماً ومعدا
لم ينله إلا فتى عشق الفضـ ل فأبلى فى الصالحات مجدا
يصل الليل بالنهار تراه أبداً شاحذاً من العزم حدا
فإذا ماعتى زمان وجدت حادثات أبلى النواظر سهدا
جاد بالروح للبلاد وفى شأ ن بنيها أولى الجميل وأسدى
لا كمن إن دعوه نام وإما أورق العود قام يطلب صيدا

وبعدسماعى هده النكتة قلت لرئيس هذا الحزب والقائم بأمره والداعى اليه . أتوسل اليك بكل من تحب إلا ما جمعت بينى وبين أكبر رأس انكليزية فى هذا البلد أى الخرطوم لأفهمه أنما عيت الانكليز أما المصريون فانهم اخوتنا الأقربون فسكت ولم يجب .

(١) سراة البلاد يريد بهم الشاعر الزعماء وقادة الرأى من المثقفين فى البلاد .

قل لزيدٍ وكلُّ من باتَ فى النا — سِ خلياً دعوتهُ اليومَ زيدا
ذهب القوم بالثناء فكانوا — غيث جود وكنت برقاً ورعدا
ماجهلنا فهمَ الحقيقة والده — رُ كفيل بالناس بحثاً ونقدا
لو حبوت البلاد عطفاً وبراً — وجعلت الإخلاص والصدقَ مبدا
لجنيتَ الشكران غضاً وكانت — تتبارى لك القرائح حمدا
فابك عهدَ الصبا ودهراً تولى — كنتَ فيه المأمولَ حلا وعقدا
إن سلعاً [١] وعودَ أيام سلع — (حلم مده الكرى لك مدا)
ربِّ إن العبادَ ضلوا طريق الـ — حق واستمرأوا الغوايةَ جِدا
وهم اثنان عاجز مستكين — وقوى على الحقوق تعدى
قد أطاعوا الهوى فكل قريب — مضمر للقريب والجار كيدا
تركوا الله جانباً وأعدا — من نضاريهم سواعا وودا
فبمن يحتمى الغداة ضعافٌ — عاث فيهم زمانهم واستبدا
لا تكلنا إلى سواك وكن ر — ب معيناً وأبدل النحس سعدا
أو فعجل ومُرْ بطائفِ بطشٍ — للبرايا وضع لذا الحال حدا

(١) ان سلعا وعود أيام سلع الخ.. كناية عن هذا الأشر البطر الذى جرى ويجرى وراء السياسة والسياسيين رجاء أن ينال منهم الحظوة والقرب ولقد باع دينه ووطنه بدنيا غيره فكشف الله حقيقته للناس وإن كان يمارى ويقول انى أتفاهم معهم وأرجع لأمتى وشعبى بشىء مما يصبو اليه وان للناس يا هذا عقولا وللتاريخ صحائف يسجلان بها سيئات أمثالك .

مليط

حياكِ مليط[1] صوبُ العارض الغادي وجاد واديكِ ذا الجنات من واد
فكم جلوت لنا من منظر عجب يشجي الخليَّ ويروي غلة الصادي
أنسيتني برحَ آلامي وما أخذت منا المطايا بإيجاف وإيخاد
كثبانك العفر ما أبهى مناظرها أنس لذي وحشة رزق لمرتاد
فباسق النخل ملء الطرف يلثم من ذيلِ السحاب بلا كدٍّ وإجهاد
كأنه ورمالاً حوله ارتفعت أعلام جيشٍ بناها فوقَ أطواد
وأعين الماء تجري من جداولها صوارماً عرضوها غيرَ أغماد
والورق تهتف والأظلال وارفة والريح تدفع ميّاداً لميّاد
لو استطعت لأهديت الخلودَ لها لو كان شيء على الدنيا لإخلاد
أنت المطيرة[2] في ظل وفي شجر فقدتِ أصوات رهبان وعباد
أعيذ حسنك بالرحمن مبدعه ياقرةَ العين من عينٍ وحساد
وضعت رحلي منها بالكرامة في دارِ ابن بجدتها «نصرِ بنِ شداد»[3]

(١) مليط بفتح الميم وكسر اللام المشددة مركز من مراكز دارفور بالسودان وتبعد عن مدينة الفاشر عاصمة المديرية بسبعين ميلا تقريبا شمالا ويشق مليط واد عظيم يسمى وادي مليط يأتيها من الغرب من مركز كتم وبمليط هذه وبكتم نخيل كثير وتزرع فيها الفواكه بأنواعها وتروى بماء الآبار التي بباطن هذا الوادي وبهما خيرات حسان .

(٢) المطيرة هذه جزيرة ببغداد وبها قصر كان لأمير المؤمنين عبد الله ابن المعتز الذي يقول فيها

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ودير عبدون هطال من المطر
فطالما صبحتني للصبوح بها في غرة الفجر والعصفور لم يطر
أصوات رهبان دير في صلاتهم سود المدارع نعارين للسحر الخ

(٣) نصر بن شداد : كان مأمور مليط وصديقا حميما للشاعر .

فاقتادت اللبَّ منى قود ذى رسن ... ورقاء أهدت لنا لحناً بترداد
هاتى الحديث رعاك الله مسعفة ... واسعدى فكلانا ذو هوى باد
فحركت لهوى الأوطان أفئدةً ... وأحرقت نضوَ أحشاء وأكباد
هوًى الى النيل يضنينى وساكنه ... أجله اليومَ عن حصر وتعداد
وحاجةٍ ما يعنينى تطلبها ... لولا زمانى ولولا ضيق أصفادى
ياسَعدُ(١) سعدَ بنى وهب أرى ثمرا ... فجد فديتك للعافى بعنقاد
وإن فى بعض ماقد عاف شاربكم ... إعتابَ ذى الفضل يحيى وابن عباد
ورقاء (٢) إنك قد اسمعتنى حسناً ... هيا اسمعى فضل إنشائى وإنشادى
إنا نديمان فى شرع النوى فخذى ... يابنت ذى الطوق لحناً من بنى الضاد
فربما تجمع الآلام إن نزلت ... ضدين فى الشكل والأخلاق والعاد
لا تنكرينى فحالى كلها كرم ... ولا يريبك اتهامى وانجادى
وأنت ياعيدُ(٣) ليت اللهَ أبدلنى ... منك الغداةَ بعواد وأعواد
مالى وللعيد والدنيا وبهجتها ... وقد مضى أمس أترابى وأندادى
أولئك الغر إخوانى(٤) ومن ذهبت ... بهم مواسم أفراحى وأعيادى

---

(١) سعد بنى وهب ويحيى وابن عباد أسماء مستعارة أتى بهـا الشاعر بطريق التجريد وإن القصيدة كلها مما يجوز أن يسمى بالشعر الرمزى لأنه يرمز لرجال من السودان رفعهم بعد ذل وأغناهم بعد فقر وبدلا من أن يخدموا البلاد ويأخذوا بناصرها فاذا بهم وقد جعلوا أنفسهم جند الاستعمار ودعاته .

(٢) يخاطب ورقاء دخل عليها فى كنفها ففزعت منه .

(٣) وأنت يا عيد الخ ... أدرك الشاعر عليط عيد رمضان وانتابته الهواجس وذكريات سنة ١٩٢٤ وكيف أخرج الانجليز الجيش المصرى من السودان وقد كان به ضباط مصريون من الطراز الأول علما ومعرفة وأخلاقا وللشاعر صلة بهم ترجع الى سنة ١٨٩٨ عندما كان تلميذا بالمدرسة الحربية .

(٤) اخوانى : يعنى بهم المصريين الذين أخرجوا من السودان .

مضوا فهل علموا أنى شقيت بمن ألبسته ثوب إعزاز وإسعاد
لم يجزنى لاجزاه الله صالحة برًا ببر وإرفاداً بإرفاد
لقيته أمس فى طمرين مقتحماً دوًّا بلا مركبٍ فيه ولا زاد
فظلتُ أوسعه براً وتكرمة حتى غدا وهو ذو وشى وأبراد
وحينما قلت إنى قد ملأت يدى إذ غرنى صوت إبراقٍ وإرعاد
تحول الحال عما كنت أسمع من وعد المثوبة والزلفى لإيعاد
أبحتَ منى حمى قد كان ممتنعاً حمى البهاليل آبائى وأجدادى
صيرته بعد ذاك الأمن مسبعة تحمى مرشّة(١) أطيار وآساد
إن ترض بالحكم فالقرآن ذا حكم وها أولوا العلم والتأريخُ اشهادى
هاد(٢) يضل وحيران يدل وما طول البلية الا حيرة الهادى
أغرقتها فانج إن كنت اللبيب ولا أراك تسلمُ من بحر وازباد
واصبر تذق مرما ذاق الذين بغوا من قبل والله للباغى بمرصاد
لا تخدعنك نعمى قد حبوك بها ولا الزعانف من رهطٍ وأجناد
فلستُ أيأس من عدل المليك بأن يخنى عليهم كما أخنى على عاد
لثمت كفاً ولا أدرى الذى اشتملت أصابع الصيد أم اشراك صياد
وليت شعرى هل عرف السماحة ما أشم أم عرف دارينا وبغداد
مهامه غرنى لمع السراب بها ومذهبٌ لم أكن فيه بنقاد
أستودع الله ساداتٍ فقدتهم حدى بهم حيث لا ألقاهم الحادى

(١) المرشة التى ترش بالدم .

(٢) هاديضل وحيران يدل الخ . . هذا وصف فريق من الناس من السودان بهم شغلوا مراكز من قبائلهم وممن وكل اليهم أمرهم بطريق الدين أو بطريق الدنيا فانقادوا للدخيل انقياد الأعمى وجروا وراء غاياتهم الشخصية ونَسُوا ما عاهدوا الله والوطن عليه .

تحيةَ الله يا أيام ذى سلم ... أيامَ لم نخش بأس القاهر العادى
أيامَ كنا وكان الشمل مجتمعاً ... وحينا حىٌّ طلاب وقصاد
فإن جرى ذكر أرباب السماحة أو ... نادى الكرام فانا بهجة النادى
لنا الكؤوس(١) ونحن المنتشون بها ... منا السقاة ومنا الصادح الشادى
واليوم أبدت لنا الدنيا عجائبها ... بما نقاسيه من حرب وأحقاد
وما رمى الدهر وادينا بداهيةٍ ... مثل الأليمين تفريق وإبعاد
لم نجن ذنباً ففيم الحيف مقترف ... وما لنا اليوم فى سد وايصاد
مانحن ياجوج بل قومٌ ذوو أرب ... فى الصالحاتِ ولسنا قوم إفساد
بنى أبى أنتم زيد على مائة ... وما عدمتم أخا هدىٍ وارشاد
عز النصير وقل المستعان به ... ومن يَهِبُّ اذا يدعى لانجاد
سيروا كراماً على اسم الله لاتهنوا ... فدهركم دهر إصدار وايراد
فما الفلاح وما سعىُ الشعوب له ... لدى الحقيقة إلا سعىُ أفراد
إن يرسلِ الله من عليائه فرجاً ... ندرك وإلا فكلٌّ رهن ميعاد

---

(١) لنا الكؤوس الخ... هذا البيت وما بعده وصف للسودان فى العهد الأول أيام الحكم المصرى فقد كان للسودان إذ ذاك الحكم الذاتى بمعناه الحقيقى لا كالذى يعللنا به الانكليز اليوم فكل الوظائف قاطبة كان يتولاها السودانيون وحدهم ولم يكن للمصرى إلا وظيفتان فقط هما وظيفة الحكمدار وقاضى القضاة - فلذا قال الشاعر هذا البيت .

ذكرى أيام الشباب

زدْ عتواً[1] أزدك من حسن صبرى وأذقنى كأسَ العذاب الأمرّ
لست يادهر واجداً فى شبا[2] عز مى فلولاً ولا قلامة ظفر
لا تحاول منى مراماً بعيداً وارض من شئت بالمذلة غيرى
كم أناويه والنوائب تترَى[3] درع ألتقى بها إثر كدر[4]
إن بينى وبينه أبداً حرْ باً سجالا ما بين كر وفر
ضاق صدرى منه وإن عجيباً قول مثلى فى حادث ضاق صدرى
ما مقامى حيث الصحاب قليلٌ وبقائى بدار هون[5] وقهر
كم تخلى بالأمس عنى حبيب وجفانى من كان موضعَ سرى
ولقد زاد فى شجونى وآلا مى[6] أخٌ نام عن إخائى ونصرى
كن كما شئت ياهوى النفس واسلم لك منى والله واسع عذر
واصطباراً فربما فرّج الله بيسر قد جاء من بعد عسر
عذلتنى وقد عزمت مسيراً وأطالت فى عذلها ابنة عمرو

---

(١) العتو هو التجاوز للحد فى الاستكبار والجبار أيضا .

(٢) شبا السيف حده .

(٣) تترى أى متوالية .

(٤) الدرع الألوان الضاربة إلى السواد والكدر أشد سوادا من الدرع يقول كم أناوى هذا الزمان ويناوئنى ونوائبه تتساقط على بألوانها السوداء القاتمة .

(٥) دار الهون والقهر هى السودان لأن الوطنى بها غريب للسياسة المتبعة فيه

(٦) الشاعر ابن عم يعزه ويجله وهذا البيت والبنيان بعده موجهة اليه لأنه قد دعت أمور وجرت حوادث كان يظنه يكون عونا له ونصيرا فاذا به وقد وقف بعيدا ينظر اليه نظراً ويشاهد الحال مشاهدة والقرابة بينهما تدعوه أن يقف غير هذا الموقف .

قالت الرزق فى السماء بقدرٍ   كلُّ أمرٍ يجرى إلى مستقر
ليس فى الناس من إذا شاء أضحى   رافلا فى ثيـاب يمن وخير
ما هو الرزق إن تأملت إلا   كأس ماء يروى ولقمـة بر
قلتُ يا هذه اقصرى عن مقالٍ   لستِ تدرين منهما لست أدرى
أثقلتْ كاهلى مذاهب أشيا   خٍ كرام شم العرانين زهر
أرهفوا من حدى وقد علمونى   كيف أفرى لدى الصنائع وفرى
لاأملُّ السرى(١) ولاأترك السعـ   ـىَ اتـكالا على المقـادير تجرى
ومرامى إحـدى اثنتين فإما   عيش حر أولا فـموتة حـر
آه لو كان لى بساط من الر   يح أوافيـه أو قوادم نسر
فأطيرنـَّ نحو مصر اشتياقاً   إنهـا للأديب أحسنُ مصر
حيث روض الهنا ومجتمع الأهـــوا   ودرُّ السرور للمستدرّ
هل إلى مصرَ رجعةٌ وبنا شر   خ شباب غضٍ وزهرةُ عمر
وليـالٍ قد أشرقت فى رباها   كلهـا فى الأقدار ليلات قدْر
ومكانٍ كأن كلَّ نسـيم   ناشر فى أرجائه طيب نشر
يبهر العينَ منه مرأى أنيق   من مروج قيْـد النواظر خضر
فهناك الرياض والمـاء يجرى   بخـرير تحت الرياض وقدر
وهنـاك النسيم يعبث بالمـا   ء ويزرى والورق للماء تغرى
وهناك البهىُّ من كل زهرٍ   وهناك الشجىُّ من كل طـــير
فاذا مـا غنت بلابله قلت   كرامٌ أضنـاهمو طول هجر

---

(١) لا أمل السرى ولا أترك السعى الخ.. يقول الشاعر إنه لايرضى بأن يقف من الحوادث موقف المتكل على الله فقط بل هو يسعى ولا يكل ومراده من الحياة احـدى اثنتين عيش الحرية وأموت الرجل الحر المجاهد المصارع فهذه أكرم للرجال وأدعى للفضيلة .

بقعةٌ شاكلت هوى كلِّ نفس ⠀⠀ فصبا نحو حسنها كلُّ فكر
كم قطفنا فى ذلك الروض زهراً ⠀⠀ ورضعنا فيه أفاويقَ (١) درّ
ومصابيحنا به غرة السا ⠀⠀ قى وبدرٌ من كفه باتَ يسرى
إن خرجنا من حال سكر لصحو ⠀⠀ فيه عدنا من حال صحو لسكر
قد ظمئنا بنت (٢) الكرام فهاتى ⠀⠀ كأس خمر يزجى فقاقع خمر
وتعالىْ نعيد خداً لخدٍ ⠀⠀ قد برانا الجوى وثغراً لثغر
جرَّد الحال من يقينى ظناً ⠀⠀ فاستعدت الأشياء كالمتقرى
رب هل تلك جنة الخلد أدخلـ ⠀⠀ ـنا اليها أم تلك جنة سحر
كنت (٣) فى ذلك الحمى ناعم البا ⠀⠀ ل خلياً من كل قيد وأسر
تلك حالى مع الشباب فمن لى ⠀⠀ برسول يبلغ الشيب خبرى
فيكِ يا مصر لذتى وسرورى ⠀⠀ وسميرى وقت الشباب ووكرى
وكرام صحبت فيك كماء المـ ⠀⠀ ـزن أوروا زندى وشادوا بذكرى
بسمَ الدهر مرةً حين كانت ⠀⠀ لى مقراً يا حسنه من مقر
فانتهبنا عيشاً رقيق الحواشى ⠀⠀ ونعمنا فى صفوه المستمر

---

(١) الفواق بضم الفاء وفتحها ما بين الحلبتين للناقة من الوقت تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل .

(٢) بنت الكرام لا يقصد بها الشاعر الساقية أو الساقى وإنما يقصد مصر فى هذا البيت والذى بعده . فيقول يامصر قد ظمئنا إلى لقائك فهاتى لنا بما يجمع الألفة ويبعد المستعمر وتعالى الينا نتعاون على مافيه خير هذا الوادى ورحم الله أمير الشعراء أحمد بك شوقى فقد قال فى هذا المعنى:

متى النفس ليلى قربى فاك من فى ⠀⠀ كما لف منقاريهما غردان
نذق قبلة لايعرف البؤس بعدها ⠀⠀ ولا السقم روحانا ولا الجسدان

(٣) كنت فى ذلك الحمى الخ ... يصف الشاعر أيامه التى قضاها بمصر وهو شاب ينهل من مناهل الأدب والعرفان حيث كان بالمدارس الحربية المصرية وقد لا يقول شعراً إلا ويحن فيه إلى تلك الأيام التى كان فيها طليقاً عن كل قيد من قيود الحياة المضنية .

فليزرْ سوحك النسيم عليلا ... وليجد فى ثراك هامع قطر
لى حب أضحى بكم غير مذمو ... مٍ وعقدٌ لم يبله طول دهر
إن يورى عنكم أناس فما من ... مذهب الحب والوفا أن أورى
لو يكون الخيار حكما لما اخترتُ ... نزوحاً عنكم ولا قيد شبر
غير أن الأقدار تقضى وما للعبد ... فيما تقضى به من مفر
رب قدَّر لمصر طالع إسعاد ... وهيىء لمصر إصلاحَ أمر
أنت قدرت والمواهب شتى ... لهلال الدجنة المستسر
غاب حيناً فعاد غير ذميمٍ ... واكتسى فى تخطاره ثوب بدر

من معاقدى

ضلالٌ لمستجدى الغيوث الرواعد ومستوقفٍ بين الربا[1] والمعاهد[2]
ونِضو[3] هوًى يعتاده كلَّ ليلة نزوع لطيف من حبيب مباعد
ولله قلب قد سلا نشوة الصبا وقد كان فى ريعانه[4] جد جاهد
وهل أبقت الأيام شيئاً ألذه وقد أسلمتنى للردى والشدائد
إلى كم أمنى النفس ما لا تناله بجوب الفيافى وادّراع الفدافد[5]
وقد رقد السمارُ دونى فهل فتى يعير أخا البأساء أجفان راقد
فيا نفس إن رمت الوصول إلى العلا ردِى قسطل[6] الهيجا وغمرتها ردى
ويا ليل قد طال الكرى من مقاسمى سهادى ويا يوم الردى من معاقدى[7]؟
ومن مبلغٌ ذات الدلال بأننى سلوت هواها اليوم سلوان عامد؟
وداعاً لأيامى بها وصبابة أطلت بها فى الربع تسآل ناشد
وعود كينبوع السراب بقيعة تراءى لدى الظامى وأحلام هاجد[8]
فلو كان ما يبدو بإصرار جاهل لما رابنى لكن بإصرار جاحد
لذا بعت لذات الصبا غير نادمٍ وعدت لشيبٍ لم يكن خير وافد

---

(١) جمع ربوة وهى المكان المرتفع .

(٢) جمع معهد وهى الأماكن التى كان ينزل بها المحبوب .

(٣) النضو المهزول .

(٤) ريعان الشباب قوته واكتماله ، والريع الزيادة والنماء . . وأرض مريعة خصبة قال الأزهرى : المريع فضل كل شىء على أصله نحو ريع الدقيق وهو فضله على كيل البر .

(٥) الفدفد : الفلاة . والمكان الصلب الغليظ والمرتفع .

(٦) الغبار .

(٧) عاقدته على كذا وعقدته عليه بمعنى عاهدته .

(٨) هجد هجوداً من باب قعد نام بالليل فهو هاجد والجمع هجود مثل راقد ورقود .

فهيا انزعي هذي الرعاث[1] فانها ... نظيمي وهاتي السمط[2] سمط فرائدي
وصبراً فما يجدي الحنينُ ولا البكا ... مشوقاً ، ولا أمس الحبيب بعائد
فمن تبطر النعمى وتستهو لبه ... يرد كارهاً منها وبيء[3] الموارد
أجل نظراً بالغرب تلق شعوبه ... تفانوا بأسباب الهوى والتحاسد
أداروا رحى حرب زبون[4] سقتهم ... وقد ظمئوا نقيع سم الأساود[5]
بضرب ينسّى يوم ذي قار وقعه ... ومن صرعوا عند اللقان[6] وآمد[7]
فياليت شعري ما الذي اهتلكوا به ... أصنع بني الإنسان أم صنع مارد ؟
فمن قاذفات بالهـــلاك مرشة ... ومن هابطات بالردى كالصواعد
جزى الله هاتيك الحضارة شر ما ... جزى من تصاريف الزمان المعاند
فلم تك يوماً والحوادث جمة ... حمىً لضعيف أو صلاحاً لفاسد
شقينا بهـــا حتى لبتنا أذلة ... وأغلالها منـــا مكان القلائد
رعى الله عهد الراشدين وتربة ... سمت بالعصاميين عمرو وخالد
أئمة خير ما استباحوا كرامةً ... لجار ولا خانوا حقوق معـــاهد
أما ويمين الله وهي ألية[8] ... تقال فتغني عن يمين وشاهد

---

(١) الأقراط .

(٢) السمط : الخيط الذي تنظم فيه حبات العقد .

(٣) وبئت الأرض كثر مرضها فهي وبئة ووبيئة على وزن فعلة وفعيله ، ووبئت بالبناء للمفعول فهي موبوءة أي ذات وباء .

(٤) زبنت الناقة حالبها زبنا دفعته فهي زبون بالفتح فعول بمعنى فاعـل مثل ضروب بمعنى ضارب وحرب زبون بالفتح أيضا لأنها تدفع الأبطال عن الإقدام خوف الموت .

(٥) جمع أسود وهي الحية .

(٦) اللقان اسم مكان كانت لسيف الدولة ابن حمدان فيه حروب وهو مشهور .

(٧) وآمد أيضا هو اسم مكان كانت لسيف الدولة فيه حروب ومشهور أيضا .

(٨) الألية اليمين جمعها الألايا .

سأصفحُ عن هذا الزمان وما جنى ... متى ظفرت كفاى منه بماجد
وإن ألقه بعتُ الحياة رخيصة ... وآثرته باثنين : سيفى وساعدى
كفى بذباب[1] السيف خلا بأنه ... لدى الروع أحفى[2] من خليل مساعد
هو البرءُ من داء النفوس وربما ... يسلُّ بحديه سخيمة[3] حاقد
ويجدر بالحرِّ الكريم ادخاره ... لإجلال ذى ود وإذلال حاسد
فلا سلمت نفسُ الجبان وباركت ... يد الله فى كف الشجاع المجالد
ويحزننى[4] من معشرى أن تفرقت ... بهم سبل أرضت هوى كل قائد
وقد جهلوا معنى الحياة وأنهم ... غدوا غرضاً يرمى وصيداً لصائد
فمن مكثر دعوى الزهادة خادعا ... وكم من دليل أنه غير زاهد
ومن واجد حظاً [5] وقد عدم النهى ... ومن ذى نهى لكنه غير واجد[6]
ومن والج للمجد من غير بابه[7] ... ومن قائم يسعى بهمة قاعد[8]
وظن رجال أنه العيش بارداً ... وقد وهموا ، ماعيش ذل ببارد[9]

---

(١) ذباب السيف طرفه الذى يضرب به .

(٢) من حفا بمعنى منع : أى أن السيف أشد منعا لحامله من أن يصاب بأذى .

(٣) السخيمة الضغن .

(٤) يحزننى البيت والأبيات التى بعده قسم الناس السودان فيها إلى ستة أقسام فقسم يكثر من دعوى الزهادة : يخدع بها الناس .

(٥) والقسم الثانى قوم وجدوا حظاً من الدنيا ولكنهم فقدوا شيئا مهما وأرق بكثير من المال عند ما يوزن الرجال .

(٦) والقسم الثالث هم قوم أعطاهم الله بسطة فى العقل ولكنهم يفقدون المادة .

(٧) القسم الرابع جماعة تسنموا مراتب السؤدد فى قومهم بطريق الارث لا بطريق الكد والكسب .

(٨) القسم الخامس قوم لهم فضل وفيهم اباء وشمم وسعى فى رفعة شأن أمتهم ولكنه سعى محدود .

(٩) القسم السادس وهو شر الأقسام هم رجال آثروا الحياة الدنيا واستمتعوا بها .

فسبحانك اللهم تسبيحَ طالب لجدواك يامولى العلا والمحامد
أنل شعبنا هذا المهيضَ جناحه هداةً وإن لم ترض فامنن بواحد
كريم يرى التحرير أكبر همه ولو بات معقوداً بهام الفراقد
يشقُّ بنا نحو الفلاح مشمراً بجرأة ميمون النقيبة راشد
وما هى إلا غيهب [1] وسينجلى متى اقترن المسعى بحسن المقاصد
فلله باب لايُسد لقارع بجدّ وجاه لا يحد لقاصد
وهل نحن إلا مجدبون تطلعوا وقد عضهم محل [2] لأوبة رائد

(١) الغيهبُ : الظلام .
(٢) المحل : الجدب ، وعضهم المحل : ألح عليهم .

المؤتمر المؤتمر

خذ فى الحديث والسمر — واستقبل اليومَ الأغر
قد حقق الله المنى — وصدق الخُبْر[1] الخَبَرْ
ها قد غرسنا خير ما — يؤتى أطايب الثمر
هذى الوفود ترتمى — م البدو منا والحضر
قد أقبلت ثُباً ثباً[2] — وزمراً إثر زمر
من كل وضاءِ الجبين — من ضيا بدر بهر
ومن إذا هززته — ألفيته العضب[3] الذكر
تسمع من كل فمٍ — «المؤتمرْ ، المؤتمر» !!!
ياما أحيلى هذه ال — نغمة من هذا الوتر
بخٍ بخٍ[4] ولمَ لا — أختال زهواً وبطر[5]
إن الذى سوى الهلا — ل هو من سوّى القمر
وربما أضحك إن — أبكى وإما ساءَ سر
صحيفةُ[6] العلم وميدا — نُ البيان المزدهر

---

(١) الخبر بضم الخاء وتسكين الباء المخبر أى باطن الأرض .

(٢) ثبا ثبا جماعات جماعات ومنه قول أبى تمام .

الواردين حياض الموت متأقة — ثبا ثبا وكراديسا كراديسا

(٣) العضب الصلب ، والعضب الذكر كناية عن السيف .

(٤) بخ بخ كلمة استحسان .

(٥) الزهو والبطر هنا بمعنى واحد يقول لم لا أفتخر وأمتى هذه كلها أقبلت على المؤتمر حامل لواء الحرية . تستجيب نداء وتمشى خلفه ليحقق للوطن سعادته وأمنيته وهى وحدة الوادى

(٦) الصحيفة هذه هى صحيفة المؤتمر السودانى التى صدرت بالخرطوم بعد عراك شديد وللناس فيها هناك آمال واسعة عند صدورها وكانت لسان الصدق المعبر عن شعورهم وآمالهم .

كم أخرجتْ بحورها من لؤلؤ غصن نضر
جئنا نحييها وفى الأ حشاء شــوقٌ مستعر
نقولُ حيي يا رضا ولا نقول يا مطر
يا بسمةَ(١) الدهر ويا سرَّ الزمان المنتظر
كونوا حديثاً يقتنى فالناس فى الدنيا سير
واتبعوا هدى الكتا بِ إن نهى وإن أمر
واسعوا لما يرضى الإ له ونزاراً ومصر
وسلفاً شادوا وسا دوا بالعجائب الكبر
قد جبر اللهُ بهم صدعَ الزمان فانجبر
لم يحفظ التاريخ نِداً لهمو فيها سطر
فامضوا على اسم الله تحدوكم بشائر الظفر
بحكمة الشيبِ وهمة الشــباب المدخــر
خُثوا مطاياكم وكو نوا فى السرى على حذر
فإن بالركب الذى أقلكم ركبانَ(٢) شر
فاعجب لشرِّ(٣) طائر يجتازه خير وكر
بالعــاديات يسترقن الخطو أوقاتَ السحر
فى سرعة البرق إذا ما ثُرن أو لمح البصر

---

(١) بسمة الدهر هنا يقصد بهم الشاعر المتعلمين من الشعب وقادة الرأى منهم .

(٢) ركبان الشر دعاة الاتصال وهم الذين يوهمون الناس انهم انما يريدون التفاهم مع المستعمر وان حرية الشعب لا تأتى إلا بذلك .

(٣) شر الطاير وخير الوكر هو هذا الاتصالى وسيارته التى يطوى بها الأرض طيا حتى يأتى الى الرقيب فيخبره بما تم اتفاق المؤتمر عليه ولا حجاب عليه فربما دخل عليه فى آخر الليل ليدفع اليه ما أتى به من عجر وبجر فالشاعر يحذر المؤتمر من أمثال هؤلاء .

بين القصور والنهرْ وتحت ذياك الشجر
حيث الهزبر جاثم حيث الردى حيث الخطر
يحملن ما علمتمُ وما جهلتم من بحر
من لم يبر شعبه فالله أحفى[١] وأبر
فلا يقولن امرؤ لعاً[٢] له إذا عثر

* * *

عذراً لعيب تسمعون والكريم من عذر
قد رابنى[٣] من بعضكم ما كان من أمر نكر
خلق كأن قد خلقوا من غير طينةِ البشر
زُهُوا علينا بوريقا تٍ أصابها نفر
ما ضر عمراً[٤] إذ سعى فقدانها ولا عمر[٥]
هل شدتمو يا قوم أسطولا على البحر مخر
أو طائراتٍ بالسما ترمى الأعادى بالزبر
أو جرت أقلامكم لنا من الآى الغرر
كمثل شوقى إذ شدا والرافعىّ إذ نثر
إن لم تكونوا هم فما هذا التعالى والصعر[٦]

(١) أحفى أى أعلم وأبر أرأف .
(٢) لعاً كلمة تقال للعاثر من فرس أو نحوه كدعاء له بأن يسلم .
(٣) رابنى الخ هذه فصيلة من الناس بالسودان أخذوا شيئا من الثقافة الغربية فظنوا أنهم يحق لهم أن يأخذوا بقيادة الشعب لأن لهم مزايا لا توجد عند غيرهم .
(٤) عمرو هو عمرو بن العاص .
(٥) وعمر هو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وتاريخهما مشهور فتحوا الفتوحات وما كانوا يحملون أوراق شهادات كالتى يفتخر بها هؤلاء .
(٦) الصعر : إمالة الخد علامة الكبر .

الفخرُ بالنـاب ولا نابَ لكم ولا ظُفر
والعلمُ ما بنى من الأخلاق محمودَ الأثر
وهى التى من لم يذق من طعمها فقد خسرْ
رعى بها أمس بنى[١] ساسانَ رعيانُ البقر[٢]

* * *

هذا وفى سودانكم أولو مقام[٣] وخطر
قد بسط الله لهم نعمى الحياة ووفر
وشهدوا من هولها شتى العظات والعبر
لذاك هم أدرى بطر ق النفع منكم والضرر
من قال منهم قائل لنا الورود والصدر
قولوا : نعم فإنما نحن وهم على سفر
اسمع أحاجيك[٤] أخا البيد بمعنى مبتسر[٥]
لا ترهقنى واشرب الكأس ارتشافاً أو فذر
وقل لهذين لقد برّح بالركب[٦] الضجر

(١) بنى ساسان هم ملوك فارس .

(٢) رعيان البقر أى عرب الجزيرة يعنى بكمال الأخلاق عند هؤلاء العرب وهم رحل ورعاة بقر وشاء ملكوا الناس وساسوا أمورهم وفى من سادوا عليهم ملوك فارس .

(٣) هؤلاء الزعماء بالسودان يحذر الشاعر الشبيبة المتعلمة من أن يعاونوا هؤلاء الزعماء فإن لهم من سنهم ومقامهم بين الناس ومن مراكزهم مالا يدع لكم مجالا لأخذ الزعامة فهم وما عليكم إلا أن تصبروا فانهم على سفر لا رجعة بعده .

(٤) الأحاجى جمع أحجية وهى اللغز يقول اسمع كلامى وتفهم معانيه واستخلص منه بعقلك .

(٥) مبتسر أى ممزوج الظاهر بالمستتر .

(٦) الركب جمع راكب وهم الشعب السودانى فقد ضجر من هذه القيادة التى ما استقرت أمر ولم تأت للناس بما يرجونه من فوز ونجاح .

دعا القديم[١] واسمعا   هذا الحُداءَ المبتكر
يمتما نجداً وما   لى فى ربا نجد وطر
يا ليت شعرى بعد أن   طوقتما أين المقرّ
إن الزعامةَ وما   ألذها وما أمر
حق لمن جاد بشق[٢] النفس مال وعمر
من لى به ألبسه   أنفس[٣] شيء يدخر
سمطاً من التقدير لا   يبلى وسمطاً من درر
طوقان ما أغلاهما   لا سيما فى جيد حر
ليت الشباب عاد لى   بعد المشيب والكبر
حتى أرى أين محط الرحل من كف القدر

(١) القديم هنا هى الطريقة السياسية التى اتبعها هؤلاء الزعماء يقول الشاعر لهما أو لهم ابحثوا عن طريق آخر .

(٢) شق النفس هو طريق الزعامة فى رأى الشاعر وما هو إلا بذل المال وبذل العمر .

(٣) أنفس شيء هنا سمطان سمط من التقدير وسمط من درر الشعر .

وادي هور

بكرت تعاتب من بكر أسوان[1] نضو[2] هوىً أسر[3]
ياقوم مالي ما يسو ء فما لهند لا تُسر
قالت وقد نظرت لما ألقاه من طول السهر
لم لا يزورك ؟ قلت : وا ضٍ زارني أو لم يزر
ياهند ، هند بني العز ز وبنت ذي الطول[4] الأغر
كفي ملامك واكففي عني صواحبك الأخر
ما أنت مسعدة ، ولا أنا عن هواي بمنزجر
أنا رق مولىً ، كم له — ياهند — من حسن بهر
لم يدر ما كلفي[5] به وكم ائتمرت بما أمر
أفنيت في مرضاته صبري وأبليت العمر
ويل الشجيّ[6] إذا تشبـ ث في خليٍّ قد أصر

---

* وادي هور : اسم لواد يقع غربي السودان المصري ، وحوله من الآثار ما يدل على أنه كان مثوى حضارة قديمة ، فقد وجدت به حجارة منحوتة منها ما هو على صورة الفاس وما هو على صورة القدح الكبير — وقد يسع الواحد منها ثلاثة أشخاص . وشرق هذا الوادي عثر على كتابات وصور للناس والحيوان منقوشة على الصخور ، كما عثر على أواني خزفية مختلفة الأشكال والأحجام .

(١) أسوان : حزين .

(٢) النضو : المهزول من كل شيء .

(٣) أسر : أسير وبابه ضرب .

(٤) الطول : الفضل .

(٥) كلفي : الكلف الولع والعشق .

(٦) الشجي : بالتخفيف المشغول ، وشددت الياء في الشعر وأنشد : نام الخليون عن ليل الشجيينا .

روحى الفــــداء لهــاجر   إن زار كالنسمات مــر
يا لطف ما حوت الحشــا   يا ثقل ما تحت الأزر
قسماً بعــذرىّ الهـــوى   وقوامك اللــدن[١] النضر
وبلؤلؤ الثغر الــــبرو   د وما بعينك من حور[٢]
إن عدتنى أو لم تعـــــد   يا بدر ذنبـــــك مغتفر
ولرب ليـــــــل ما كفر   تُ[٣] صنيعه فيمن كفر
ناجيت فيــه على البعــا   د هناك ليلىّ الشعر
ولياليــاً سـلفت لنــا   ما عابهــا غيرُ القصر
وحديثَ أيام الشبا   ب وحلوَ أندية السمر
فكم التقينــا بالأحبـ   ـة فى دجاه على قـــدر
أفدى بحسنك يارشا[٤]   وبنور وجهك يا قمـــر
شمس المــلاح إذا تكر   م بالزيارة أو هجـــــر
لم أنســــــه إذ زارنى   منــــه خيــالٌ ما استقر
زار الرحالَ وبيننـــــا   تسْيرٌ على البيدا عسر[٥]
إيجاف[٦] شهر للمطى[٧]   تخوض فى كثب[٨] عفر[٩]

---

(١) اللدن : اللين من كل شىء . فعله « لدن » من باب كرم لدانة ولدونة .

(٢) الحور : اشتداد بياض العين مع اشتداد سوادها ، واستدارة حدقتها ، وهو من صفات الظباء والبقر ويستعار للنساء .

(٣) الــكفر فى الأصل الجحود .   (٤) الرشا : الظبى إذا قوى ومشى مع أمه .

(٥) عسر : شاق .

(٦) إيجاف : الوجيف ضرب من سير الابل والخيل . يقال وجف البــعير إذا سار ذلك السير الخاص . و (أوجفه) صاحبه حمله على ذلك السير .

(٧) المطى : جمع مطية . وتجمع على مطايا أيضا . والمطية الدابة تمطو فى سيرها .

(٨) كثب : بضمتين جمع كثيب وهو التل من الرمل ويجمع على أكثبة وكثبان .

(٩) عفر : جمع عفراء ، ومن معانى العفراء ، الأرض البيضاء التى لم توطأ . وغرض الشاعر أنه أوغل فى البيداء وطرق أماكن لم يصل الناس اليها .

وسرى ليـال لم تَـذقْ   طعمَ الـكرى حتى السحر
سبحان ربى أين وا   دى النيل من وادى هَوَرْ
وادى الجحاجحةِ الألى   عمـروه فى خالى العصر
وعواصم القوم الذين   بذكـرهم تحلو السـير
من ذللوا صعب الزما   ن وكم أقاموا من صعر[1]
دَرجوا فما رد الردى   بيضُ الصفائحِ والسمر
متكـافئين وربمـا   فضلَ العزيزَ المحتقر
فكـأن عهد فخارهم   يا قومُ بدر فاستسر
أو أنه عقدٌ فخا   ن العقدَ سلكٌ فانتثر
زرت الربوعَ[2] فخاننى   صبرى لذكـرى من غبر
ما كان لى كبدُ السلوِّ[3]   ولا فؤادٌ من حجر
تخلُ الجفونِ على ثرى[4] الـ   غادين[5] من إحدى الـكبر
أنا عائذ فى ذا المقام   ولائذ بل مفتقر
لإجادة الشيخين أحمد   « وابن بجدتها[6] » عمر
نظما الحقــائق مشرقا   تِ نظمَ أسلاك الدرر

---

(١) الصعر : الميل فى الوجه أو أحد الشقين . والمراد أنهم أصلحوا المعوج .
(٢) الربوع : الديار جمع ربع .
(٣) السلو : النسيان .
(٤) ثرى : الثرى التراب الندى . ويطلق على الأرض من غير ندى .
(٥) الغادين : جمع غاد من الغدو وهو ضد الرواح .
(٦) ابن بجدتها : البجدة الأصل والصحراء . ودخلة الأمر وباطنه . ويقال : ابن بجدتها العالم بالشيء . الاجادة : الاتقان . واحمد : يعنى به المعرى . وعمر : يعنى به الخيام .

إن تَشجنى[1] هذى الرسو م وما تقادم من صور
فلأنها غُرَرٌ وكم زانت على الخيل الغرر
هجروا الحى لا عن قلىً[2] ورغيدَ عيش ما استمر
فاذا همو رهنُ البلى[3] وإذاهُ مصدوعُ الجدر
لهفى عليهم ما قضوا من هذه الدنيا وطر
لا مخبر عنهم يسو ق لنا الحديثَ ولا خبر
وعن الظعاين[4] أيةً سلكت بربّات الخفر[5]
الناهباتِ من الدجى سودَ الغدائر[6] والطرر

* * *

يا ربعُ من أفتاك فى إحرازِ صفقةِ من خسر
أبدلتَ عن عِينِ الأوا نس بعدهم عِينَ البقر
وبنثر مرجان النحو ر عليك فيروزَ البصر
فقصورهم زين الفضا ء وحورهم زين الحجر
والخيلُ تمرح بالفوا رس كالجراد المنتشر
جمعوا لأشتات العلا واليوم تجمعهم حفر

(١) تشجنى : تحزننى هذى الرسوم لأنها تذكرنى بمن كان فيها من الأحبة الذين هجروها
(٢) القلى : بالقصر والمد : قلاء . ومقلية : البغض .
(٣) البلى : الفناء .
(٤) الظعائن : جمع ظعينة وهى المرأة ما دامت فى الهودج . ويطلق على الهودج كانت فيه امرأة أم لا .
(٥) الخفر : شدة الحياء ووصف المرأة منه خفرة ومخفار .
(٦) الغدائر : جمع غديرة وهى الذؤابة من الشعر . الطرر النواصى . أى جعن الجز سود الغدائر سود الطرر فكانت غدائرهن ونواصيهن سودا .

يا برقُ إن زرتَ الحمى — فاحطط رحالك لا تذر
وليسقِ محمودُ السحا — ب هناك محمودَ الأثر
إن الحياة على اختلا — ف وجوهها سِفرُ العبر
كم أنذرت هذى الدنا — يا سعدُ لو تغنى النذر
فسلوا الثرى كم فى الثرى — والموتَ كم غصناً هصر [(١)]
والمرء فى أسر القضا — ء وتحت أحكام القدر
يهوى الحياةَ فان ذوت — منها وُرَيقَته [(٢)] عثر
بينا [(٣)] يرى غضَّ الإها — ب [(٤)] إذا به عظمٌ نخر
أرح الفؤاد وخف مقا — مَ اللهِ ربِّك وادَّكر
وتوقّ غائلةَ الهوى — واصحب زمانك عن حذر
واصبر وكن ذا همة — ما فاز إلا من صبر
لا تضجرن فما العلا — كفؤ لها الرجلُ الضَّجِر [(٥)]
هذا الوجود وما يرى — بالخلق من خير وشر
آثارُ أقضيةِ المليك — فلا نجاء ولا مفر
فى ذمة الله امكثوا — وليهنكم طيبُ المقر
لا تذكروا مُرَّ الرقا — د فنحن فى حال أمر
فحياتنا وحياتكم — لَعِبُ الفوارس بالأكر

---

(١) هصر : للهصر عدة معان والمراد هنا الامالة أى كثيرا ما هصر الموت أغصان الشباب وهى استعارة .

(٢) وريقته : تصغير ورقة وهى مستعارة للعمر .

(٣) بينا : لغة فى بينما .

(٤) الإهاب : الجلد .

(٥) كفؤ : النظير . الضجر : صيغة مبالغة من الضجر . والمعنى ليس الضجر أهلا لطلب العلا .

أسرى أمان شد ما ... طالت فطال بنا الضجر
لاهين عمّا قد يرا ... د بنا وعما يدخر
قالوا لنا ذاك الرئيـ ... ـس وذا النطاسيّ الأبر
أطرقْ كرَىَّ إنا على ... علم بخافية البُجَر(١)
لا تكذبوا الرحمنَ ما ... في هذه العجفاء(٢) در
أواه(٣) ما بعد المحر ... م لو دروا إلا صفر
لا تغش ريِّقَ كوثرى ... واذهب لشأنك ياغُدَر(٤)
أنزلتك الظلَّ الظليـ ... ـلَ وعينَ ماء منهمر
حتى إذا ما صرت تمـ ... ـشى مِشية المرِح البطِر
واستحجرتْ بك كاذتا ... ك(٥) وزانك الكشح(٦) الضمر
أرسلتَ فى خيل الرها ... ن لجتنى الحادى عشر
يا بنتَ(٧) ساجعة الريا ... ض وزينَ ناضرة الشجر

(١) البجر : الشر والأمر العظيم : أى أنا عليم بخفايا الأمور العظيمة.

(٢) العجفاء : العجف ذهاب السمن المؤنث عجفاء . والعجفاء الأرض لا خير فيها . والشاعر يريد الزعماء والقادة . فقد كانوا من الشعب فى الطليعة ولم يقوموا بما تفرضه الزعامة الحقة من تضحية وفداء .

(٣) أواه : كلة تقال عند الشكاية أو التوجع . ومن لغاتها آه ، أوّه .

(٤) غدر : اسم حصان بعينه ويكنى به عن كل من نصب نفسه للقيادة ولم يقم بما يجب عليه . وهو عندئذ كالحصان الذى عنى به صاحبه قبل انزاله فى ميدان السباق فلما أنزله واثقا من حيازته قصب السبق فاذا به يأتى الحادى عشر .

(٥) كاذتاك : مفردة كاذة وهى اللحمة فى داخل فخذ الفرس . ومنه قول المتنبى :

وما بين كاذتى المستغير ... كما بين كاذتى البائل

من قصيدته التى مطلعها :

إلام طماعيـة العـاذل ... ولا رأى فى الحب للعاقل

(٦) الكشح : الضمور .

(٧) يكنى بها عن مصر .

هاتى الحديث وروّحى عنى بلحن مبتكر
أنا فى الهوى من تعلمـين ولستُ من ذاك النفر
إنا على طول التلا زُمِ فى اختلاف فى النظر
فلذا افترقنا وارد ين وما اجتمعنا فى الصدر
لا تخطبوا هندَ الربا بَ فهندُ غاليةُ المهرَ
زرتُ الرحابَ فأسبلت بينى وبينكم السُّترُ
فسمعتُ منها دونَكم سجعَ المزاهر والوتر
وشربتُ ذائبَ تبرها وشربتم المذِقَ[1] العكِر
عذراً إذا قصرتُ فالـ مولى المهذبُ من عذر
ذا كل ما أبقته منى اليومَ وعثاء[2] السفر
لولا الخطوبُ وما أعا نى جئتُ بالآى الغرر
هذا الدجى فتنظروا إشراق صبح منتظر
فهناك تلقون الجزا ء لدى مليكٍ مقتدر

(١) المذق : المذوق . والمذق هومزج اللبن بالماء ، ومذق الود لم يخلصه فالمراد ، من المذق هنا المختلط المتغير .

(٢) وعثاء السفر : مشقته وعناؤه . أخذت من الوعث بسكون العين وهو الطريق العسر ويقال فيه وعث كـكتف .

رسائل الصفا

لحضرة الدكتور زكي مبارك

سلوا المزن[1] أو سائلوا حاديه ... أدمعي أوفى أم الغاديه ؟
ومثوى هناك نضوت الصبا ... به والميامين سماريه
فيا مرحباً هذه دارهم ... قريب تقابل مع داريه
دنت بهم بعد شط النوى ... وكانت على قربها نائيه
كأن الزمان برغم الزما ... ن أضحى تبيعاً لسلطانيه
وهاتيك ليلاه بعد الجما ... ح[2] قد عطفت جيدها ثانيه
غفرت له وهو ذاك العتى ... فكم ناشني[3] بيد عاتيه
عدا[4] فاستباح دروع الكماة ... فلف بها رمماً باليه
وخلى التريك[5] وهز البوا ... تر حبساً على الغادة الناعيه[6]

---

(١) السحاب الأبيض .

(٢) الاستعصاء .

(٣) ناشني : تناولني .

(٤) عدا فاستباح الخ كناية عن إعزاز الأذلة وإذلال الأكرمين .

(٥) التريك : الخوذة .

(٦) في هذا البيت يشير إلى ما صار اليه حال السيوف فقد مضى زمان كان السيف يزين الشجاع ، أما الآن فلا يرى السيف إلا في يد الناعية ؛ فمن عادة السودان الى يومنا هذا : أن يلبس النوادب لباس الحرب للميت ويحملن آلاته التي كان يستعملها في الحرب ، ويدرن بأكيات في ساحة الدار ولا تعمل هذه العادة إلا للعظماء من الرجال ملوكا كانوا أو محاربين — وقد تستمر خمسة عشر يوما .

فمابى ظمأ لهذى الكؤوس فطوفى بغيرى يا ساقيه
على نفـــر ما أرى همهم كهمى ولا شأنهم شانيه
طلبت الحياة كما أشتهى وهم لبسوها على ما هيه
شروا بالهوان وعيش الأذل ما استمرءوا[1] من يد الطاهيه
فباتوا يجرون ضافى الدمقس[2] وبت أجرر أسماليه[3]
فلو كان لى علم ما فى غد لما بعت مصر بسودانيه
عدتنى عن طيب ذاك الثواء نوى قذف خيلها عاديه
وودعتها أمس لا عن قلى[4] ولم تكن النفس بالساليه
إلى بلد عشت فيه غريباً بعيداً عن الناس فى ضاحيه
أقيم بها من صدور المطى للمرخ تحدى ، وللصافيه[5]
لعلى أصيب بتلك البطاح صباى وذاهب أياميه
رعى الله مصر فكم للأديب بها ثم[6] من عيشة راضيه
وأجيب بأيامها الذاهبات على ما بها وعلى ما بيه
قضينا بها غفلات الشباب بأحلى مذاقاً من العافيه
تولت سراعا فياليتها تعود لنا مرة ثانيه
فيا قبلة الخير لا تبعدى وحييت زاهرة زاهيه

---

(١) استمرأ الطعام عده هنيئا .
(٢) دمقس : الحرير .
(٣) السمل : الخلق من الثياب .
(٤) قلى : بغض .
(٥) المرخ والصافية : موضعا ماء فى بادية الكبابيش بالسودان .
(٦) ثم : بفتح المعجمة هناك .

ويابرق زرها بوطف الغمام[1] وحلى عزاليك[2] ياساريه[3]
وإن تبخلى إن لى مقلة هى المزن هامعة هاميه[4]

☆ ☆ ☆

بنى مصر حيا كمو ذو الجلال بعرف تحياته الزاكيه
وأسدى باحسانه منعما لكم كل صالحة باقيه
بكم غدت اليوم أم اللغات[5] كحسناء فى حلل ضافيه
حملتم بمصر وبالمشرقين رسالة[6] آدابها العاليه
أجل، وشأوتم بسحر البيان عباقرة الأعصر الخاليه
بيان هو البدر فى تمه يشق حشا الليلة الداجيه
وكالورد يعبق مطلوله أو المسك أو جونة الغاليه
بلونا الكرام فكانوا البناء وكنتم له حجر الزاويه
أزيلوا فديتكم وحشتى بحكمة للنهى شافيه
فما كالبنان إلى أمة غدت عن مصائرها لاهيه
رماها الزمان كما تعلمون فى شر أوضاعه القاسيه
تراح ويغدى بنا مثلما يساق القطيع من الماشيه
وسادتنا قد أجادوا «نعم» وما أنكروا غير «لا» النافيه

☆ ☆ ☆

---

(١) وطف الغمام : انهمار المطر من السحاب الممتلىء ماء .
(٢) عزالى : المراد مصب الماء . (٣) يا ساريه : كناية عن السحابة .
(٤) هامعة : هامية تهطل دموعا كالمطر
(٥) أم اللغات : المراد اللغة العربية .
(٦) فيه تلميح إلى مجلة الرسالة الغراء .

فيا ابن المبارك عش سالما | وبورك فى زندك الواريه[1]
تغنيت حينا بليلى العراق[2] | فاحلتها الرتبة الساميه
فمد لنا فضل ذاك العنان | عنان يراعتك الطاغيه
وألمم بتاجوج[3] واحفل بها | فتاجوج جوهرة الباديه
وعلق على جيد تاريخها | لآلىء أبحرك الطاميه

* * *

أخا السير قد طال هذا السرى | فجز بى الركاب الى ناحيه
فانى الذى فى الهوى من علمت | قد ألهب البعد أشواقيه
كسير الجناح أريد المزار | وتعجزنى هذه الرابيه[4]
فيا مار[5] سيرى ولا تخدعى | فينتزع القرط[6]. يا ماريه
وهبى فان لسمع الزمان | رنوا إلى صرخة داويه
تشد بها واجفات القلوب | وتروى بها المهج الصاديه
ويا بنت ذى الطول لا يدخلن | حمى الأمن رب اليد الداميه

(١) الزند : العود الذى يقدح به النار . يقال ورى الزند يرى خرجت ناره . والجملة دعائية .

(٢) ليلى العراق : علم أطلقه الدكتور زكى مبارك على فتاة خيالية وكان يكتب تحت هذا العنوان مقالاته عن العراق فى مجلة الرسالة . وجمعت كتابا .

(٣) تاجوج : فتاة رائعة الحسن من قبيلة الحمران بالسودان . وقد تولّه بها المحلق بعد طلاقها منه . ومما يحكى عنها : أن حربا نشبت بين قبيلتها وأخرى فكانت فى السبى ، واختلف المنتصرون فيمن تكون من نصيبه حتى أدى ذلك إلى قتال بينهم مات فيه خلق كثيرون ، فقام لها من بينهم من قطع رأسها فهدأت ثائرة المفتونين .

(٤) يريد بالرابية قوة المستعمر وسياسته .

(٥) مار : ترخيم مارية يقصد مصر

(٦) القرط : يعنى به السودان .

ومن رضيت نفسه أن يكو ... ن صفياً لشانيك أو داعيه
وقل لى بربك أى إمام ... أمدك بالوحى يا ساريه
رويدك فابشر بها غضبةً ... من الله ليس لها واقيه
تسد بوجهك سبلَ النجاة ... وتأخذك الأخذةَ الرابيه
ولو شاء أرعف منى البنان ... شُواظاً يقال له القافيه
يحز العظامَ ويفرى الأدي ... مَ رشقاً ويَسْفَعُ بالناصيه
أألله أدرى بنا يا كرامُ ... أم هذه العصبةُ الباغيه [١]
فكم قد أثاروا لنا من فروض ... بنوها على أسس واهيه
ومن خدعته غواشى المنى ... تردت به عن شفا هاويه
وما خُط فى اللوح لوح الغيوب ... فليس له من يدٍ ماحيه
وكيف التفاضل بين اثنتين : ... قوىً هدمت وقوىً بانيه ..؟
فمصر هى اليوم كهف الرجا ... ء لنا وهى المرضع الحانيه
لها ولأبنائها الأكرمين ... أيادٍ بنا بَرةٌ آسيه
بروحى وليست تهاب الردى ... كبائعة دونها شاريه
فإنىَ من غرس نعمائها ... غراسٌ هو الثمر الدانيه
وما بالقليل انتسابى لها ... وأنى حمادها الراويه
فكم صغت فى ذكرها السائرات [٢] ... وأودعتها الحكم الغاليه
من اللائى لو زرن سمع الشريف [٣] ... يقول وقد رآءَ [٤] إحسانيه

(١) المراد : من كان ضلعهم مع المستعمرين .
(٢) السائرات : القصائد السائرات بذكرها .
(٣) الشريف : المراد الشريف الرضى والبيت بعد هذا له .
(٤) راء : لغة فى رأى .

(ألا ما أفيصح هذا الكلام لو ان له أذنا واعيه)
فيا رحمــــة الله حلى بمصر ضريح الزناقّ عثمانيه[1]
غــــذانى بآدابه يافعا وقد شاد بى دون أترابيه
ويا شيبة الحمد إن القريـ ض أعجز طوقى وأعيانيه
أعرنى بيانك أسمع به الأ صمّ وأنطقْ به الراغيه[2]
تبارى الرفاق كخيل الرهان ذى سابقاتٌ وذى تاليه
ولست أبالى متى راقكم أكان لغيرى اللوا أم ليه

(١) الزناتى : هو المرحوم الأستاذ الشيخ عثمان زناتى . كان أستاذ اللغة العربية بالمدارس الحربية (سابقا) ومن الشعراء المجيدين .

(٢) الراغية : الناقة الراغية والرغاء صوت ذوات الخف ، الفعل : رغا يرغو .

أسمعينا جنان

أسفرى بين بهجة ورشاقه وأرينا يا مصر تلك الطلاقه
ودعى الصب[1] يجتلى ذلك الحسـ ـن الذى طالما أثار اشتياقه
كلنا ذلك المشوق وهل فى الـ ـناس من لم يكن جمالك شاقه !؟
أنت للقلب مستراد وللعيـ ـن جمال يغرى وللشم طاقه[2]
فتحت وردها أصائل[3] آذا ر[4] وقد قرط الندى أوراقه
أنت عندى أخت الحنيفة ما أسـ ـماك ديناً وما أجل اعتناقه
أنت ذكرتى ولست بناس در ثدى رضعت منك فواقه[5]
وعراصاً نادمت فيها الرديـنيـ ـات[6] والسيف حمله وامتشاقه
فى صحاب لا القلب يرضى بديلا لا ولا النفس عنهمو ملتاقه[7]
ملكوا من سر البيان فجاروا فى ميادينه الفصاح عتاقه
در در الصبا وأيام لهـ ـو قد تولت كومضة رقراقه
وحبيب ماطلعة البدر إن قيـ ـس وما الريم[8] لفتة ورشاقه

---

(١) الصب : من الصبابة وهى رقة الشوق ، فالصب من رق شوقه .
(٢) الطاقة : مجموعة الزهر .
(٣) جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب .
(٤) آذار : مارس شهر الربيع .
(٥) الفواق : المسافة بين الحلبتين .
(٦) الردينى : الرمح المنسوب إلى امرأة سمهر تسمى (ردينة) وكانا يقومان القنا بخط هجر
(٧) ملتاقة : معرضة .
(٨) الريم : بقر الوحش .

وسمير يحيي النفوس ومشتا ق ظريف يسعى بها مشتاقه
ما نسيم الصبا بشيء ولكن لي معنى فيكم أجاد استراقه
أسمعينا (جنان) لحناً شجياً ودعي معبداً[1] دعي اسحاقه
واصرفي ساقيَ المدام فإنا ما حمدنا إبريقه ومذاقه
قد سقى الأصفياء كأساً رحيقاً وسقانا حميمه وغساقه
أيها النائمون هبوا فقد فا ت فريق بالأمس كنتم رفاقه
سهروا الليلَ مدلجين[2] الى أن نبهوا من ساجي الدجى أحداقه
باعدت بيننا الخطايا وعاق ال حزم منا حين السرى ما عاقه
فوردنا هذا السرابَ وعدنا بالأمرّين من هوان وفاقه
ما كقطع الوتين[3] شر وشر منه أن تقطعوا بمصر العلاقه
فاذكروا مصر واذكروا ما حييتم صاحب التاج واحفظوا ميثاقه
ملكَ النيل كله صاحبَ العر ش المفدى والرايةِ الخفاقه
إن فاروق فاعلموا خيرُ ملك رضى الله والورى أخلاقه
كم له من يد علينا ونعمى جاوزت من قدر البيان نطاقه
وقريباً سيطلع الله فجراً فانظروا أو تنظروا إشراقه
سترون الهلال إذ ذاك بدراً نسخت آية الضياء محاقه

---

(١) معبد واسحق : من أشهر المغنين فى العصر العباسى يريد بجنان مصر ويريد بمعبد واسحاق زعماء السودان .

(٢) الادلاج : السير فى الليل .

(٣) الوتين : هو الوريد وهو عرق بالإنسان إذا قطع فلا أمل فى حياته .

ومتى رمتم التحرر فاسعوا ... إن فى السعى نيلَه ولَحاقه
وانبذوا هذه التى زفها الغر ... ب لكم من حضارة براقه
مالهذا الأسير والزهوَ والبر ... دَ الموشى [١] وماله والأناقه
هل نسيتم مطامع الغرب فيكم ... أم جهلتم ياقومنا إرهاقه ؟
أنا أدرى بحالهم من كثير ... أعرف الناس بالهوى من ذاقه
أجمعوا أمرهم فأحكمَ كلٌّ ... منهم الرأىَ ثم أعملَ ساقه
وأتى ما أتى فكم حرمات ... ما رعاها وكم دمٍ قد أراقه
نزلوا منزل المسوَّد منا ... ثم شدوا على الضعيف وَثاقه [٢]
فرضوا قادرين حتى على من ... مات منا ضريبة وبطاقه
فغدا الأقوياءُ ضعفى وأضحى ... ذنباً من قد كان أنفَ الناقه
وحدوا من جهودكم ثم سيروا ... بنفوس إلى العلا توّاقه
وطريقُ الحياةِ أصبح وعراً ... فاسلكوه بحكمة ولباقه
واعملوا إن للبلاد لحقاً ... ترتجى من جهودكم إحقاقه
فى زمان ما نام قطُّ ولم يذ ... س سوانا تحريرَهُ وانطلاقه
واجعلوا من مساعكم قرع بابِ الله قرعاً كالساعةِ الدقاقه
لاتقولوا إنا قليلٌ ولا وسعَ ... فعزمُ الرجال وسعٌ وطاقه [٣]
وكفانا بالدين عروتنا الوثقى ... وبالضاد لحمة وصداقه

---

(١) الموشى : المزخرف من الوشى .

(٢) الوثاق الشد وهو بالفتح . قال الله تعالى فشدوا الوثاق وبكسر الواو لغــة فيه . ويعنى الشاعر هنا بشد الوثاق قيود السياسة فقد أحكمها المستعمر .

(٣) نعم فى عزم الرجال وسع وطاقه . وبحمد الله فى الأمة الاسلاميــة كثير من هؤلاء فهناك عمرو بن العاص وصقر قريش وصلاح الدين ومحمد الفاتح ومحمد على ومصطفى كمال .

وبهذا النيلِ المبارك والنيـــلُ جميلٌ من بره الله ساقه
وقديماً قد أظهر الله هذا الدينَ والشركُ قد أطال رواقه
برجال كان الزمان عنيداً فأرَوْهُ من بأسهم ما أفاقه
وأناروا به البسيطة دعْ مصـــراً دع الشامَ حصنَهُ وعراقه
فتمشوا على هداهم سراعاً وأنيروا لشعبكم آفاقه
وسأحدو بكم متى عسعس(١) الليلُ بلحنٍ فيه الهدى والذلاقه
إن فى دولة البيان جنوداً بعضهم قادة وبعضٌ ساقه
ثمَّ شعراً ما صِيغَ للغرض الأسـ ـمى وإلا فقل شعارُ الحماقه
والأديب الأريبُ قبل رضاء الخلقِ يرضى بشعره خلاقه

(١) عسعس الليل هنا يعنى ليل الحوادث وأيام الشدة فهناك الواجب العينى الذى يفرض على الشاعر أن يحث أمته وشعبه وليسعد النطق إن لم يسعد الحال .

يوم التعليم

مالي وللخمر رقَّ الكأسُ أوراقا ... وللصبابة تُصلي القلبَ إحراقا
مضى زمانَ تساقينا الهوى بهما ... في فتيةٍ كَرُموا وجداً وأشواقا
زهر الوجوه متى سِيمُوا الهوانَ لَوَوْا ... سوالفاً كصُوَى الساري وأعناقا
صحب حملتُ لواءَ العشق بينهم ... من قبل أن يُصبحَ العشاقُ عشاقا
اذ ليس في المذهب العُذْري لومُهم ... أرضى فماً ومشوقٍ ضمَّ مشتاقا
يا برقُ طالعْ ربا الحمرا وزهرتَها ... واسقِ المنازلَ غيداقاً فغيداقا (1)
وإن مررتَ على الحتَّان (2) حيِّ به ... من المناشطِ (3) قيصُوماً (4) وطُبَّاقا (5)
ومن اذا سمعوا من نحونا خبراً ... والليل داجٍ أقاموا الليلَ ايراقا (6)
إنا محيوكِ يا أيامَ ذي سَلَمٍ ... وان جنى القلبُ من ذكراكِ إعلاقا
واليومَ قصَّر بي عما أحاوله ... وعاقني عن لحاقِ الركب ما عاقا
وأنكر القلب لذات الصبا وسلا (7) ... حتى النديمين ؛ أقداحا وأحداقا
أحبو إلى الخمس والستين من عمُري ... حَبْواً وأحملُ أقلاماً وأوراقا

---

(1) غيداقا : أغدق المطر كثر قطره . والثلاثي منه غدق كفرح .
(2) الحُتَّان: جبل ببادية الكبابيش .
(3) المناشط : مراعي الابل .
(4) القيصوم : نوع من أنواع الحشيش .
(5) الطباق : نبت ترعاه الابل .
(6) الايراق من الأرق وهو السهر بالليل كالائتراق والفعل منه أرق كفرح .
(7) سلا : نَسِيَ يتعدى بنفسه وبعن كرضي . مصدره السلو والسلوان .

غيرى شدا فتعالوا اليوم فاستمعوا ... شعر النّواسى من تلحين إسحاقا

شعرٌ هو الأدبُ العالى أنسقه ... كالدر عقداً وكالخيرى[1] أطباقا

أحبو به كلَّ من رقت شمائله ... منكم وبات إلى العلياء تواقا[2]

فليشغل الخيرُ والتوفيقُ منشغلاً ... بالمال والجاه إدراراً وإنفاقا

وجاد للعلم جودَ الأكرمين وما ... كانت عطاياه تعبيساً وإطراقا

فأقرضوا الله مما قد أفاءَ لكم ... بجزل ثواباً ويكسو العود إيراقا[3]

العلم ياقومُ ينبوعُ السعادة كم ... هدى وكم فك أغلالا وأطواقا

فعلموا النشءَ علماً يستبينُ به ... سبلَ الحياة وقبلَ العلم أخلاقا

أقسمت لو كان لى مال لكنتُ به ... للصالحات وفعلِ الخيرِ سباقا

ولا رضيتُ لكم بالغيث منهمراً ... منى ولا النيلِ دفاعاً ودفاقا

إن الشعوبَ بنور العلم مؤتلقاً[4] ... سارت وتحت لواء العلم خفاقا

وطوّفوا ببقاع الجو فامتلكوا ... عصيّها وبقاع البحر أعماقا

وكل بحر أحالوا موجه سفناً ... لم تشك أيناً[5] ولا وخداً وإعناقا

فى الشرق والغرب تلقاهم وقد بسطوا ... ظل الحضارة نقابين[6] طراقا[7]

يا حسنها لو حوت أمناً وعافية ... لكنها قد حوت فتحاً وإحداقا

فلو درى القوم بالسودان أين هم ... من الشعوب قضوا حزناً وإشفاقا

---

(١) الخيرى : نوع من أنواع الورد

(٢) تواقا : التواق كثير التوقان وهو الاشتياق

(٣) ايراقا : المراد أوراقا

(٤) مؤتلقا : من الائتلاق وهو اللمعان . يقال ائتلق البرق اذا لمع

(٥) الاين : الإعياء . والوخد الاسراع ، وكذلك الاعناق بكسر الهمزة .

(٦) نقابين : جمع نقاب وهو صيغة مبالغة من نقب بمعنى بحث . وهم المفترون للتجارة أو للاستكشاف .

(٧) طراقا : جمع طارق من الطروق وهو فى الأصل الاتيان ليلا .

جهل وفقر وأحزاب تَعِيثُ به ... هدَّت قوى الصبر إرعاداً وإبراقا

إن التحزبَ سمٌّ فاجعلوا أبداً ... يا قومُ منكم لهذا السَمِّ ترياقا[1]

لا تعجزوا أن تكونوا للهدى قبساً ... فكلكم قد زكا غرساً وأعراقا

كنا نَعُدكم حرباً لها فإذا ... بكم وقد صرتم طبلا وأبواقا

فحاذروا كل مَشَّاءٍ بتفرقة ... يُمسى ويصبحُ كالغربان نعاقا

ومارقاً شقيتْ هذى البلاد به ... أخافه أن يعيدَ الناسَ مُراقا

مهلا أخا العسر لا تعجل فربك قد ... سوى الخفيين أعماراً وأرزاقا

ما ذو القناعة فى الدنيا بفائته ... حظٌ ولا رد ذو الأطماع إملاقا[2]

وما تريدون[3] من قومية هىَ فى ... رأى السرابُ على القِيعان رقراقا

طلبتم الغرضَ الأسمى بتسمية ... كأن بالاسم تحريراً وإعتاقا

لقبٌ أو اسمٌ أقام الغافلون له ... سوقاً فأنشأت الأغراضُ أسواقا

وما أرادوا يمينَ الله إذ وضعوا ... جمع الشتات ولا للحق إحقاقا

فمحصوا الرأى لا ترضوا بيانعه ... وإن اصاب هوى منكم وإن راقا

لا تخدعوا إن فى طياتِ ما ابتكروا ... معنًى بغيضاً وتشتيتاً وإرهاقا

ليصبح النيل أقطاراً موزعةً ... وساكنو النيلِ أشياعاً وأذواقا

لا ترهقونا بما ظللنا نمارسه ... دهراً كفى ما لقيناه وما لاقا

لسنا القطيع قطيعَ الضأن يزجره ... الراعى كما شاء إشآماً وإعراقا

وإن بالقوم إن رمتم مساجلة ... فوارساً بصيال الرأى حذاقا

---

(١) ترياقا : دواء . وفى الأصل اسم لدواء مركب اخترعه ماغنيس وتممه أندروس اخس

(٢) الاملاقُ : الفقر والعوز

(٣) فى هذه الأبيات ينكر الشاعر على الانفصاليين دعوتهم «الاستقلالية» ويحذرهم من الخدعة الاستعمارية المنطوية تحت شعار « السودان للسودانيين » الذى أوصى به المستعمر وأملاه .

ساقوا الكم كأس خمر نشر ها عَبِقٌ … فهل جهلتم من الساقي وما ساقا ؟
فاستنبئوا العقل عن مكنونها وسلوا … عن طعمها ذلك الشعب الذي ذاقا
لو لم يكن بفمي ماء لجئت لكم … بحجة كانبثاق الفجر إشراقا
إن السياسة في شتى طرائقها … ما راقني لونها الزاهي ولا شاقا
باتت سلاحاً لدى الأقوى فأحكمها … ربقاً تشد به الضعفى وأغلاقا
إنا بنو النيل لا نرضى به بدلا … فما جفانا ولا يوماً بنا ضاقا
ولا أخص به داري ولا سكني … بل ساكني النيل تعميماً وإطلاقا
هذى سبيلي وهذا مذهبي بهما … أعطيت ربي والأوطان ميثاقا

✡ ✡ ✡

بني العشيرة لي نصح ولست به … مداجياً أتعامى الحق مذاقا
ضموا الصفوف وضموا العاملين لها … لكي تنيروا لهذا الشعب آفاقا
وقدموا العود واستبقوا ليوم غد … هذي الكرائم أجذاعاً وأحقاقا
لعل فيها لسرح الواديين حمى … لا يستراد[1] وللآمال مصداقا
وإن أبيتم فسموا الحزب مؤتمراً … أو برلماناً أوادعوه رشستاقا[2]
عسى الذي خلق الأشياء عن قدر … يزجي[3] لنا من سماء الفتح إغداقا

(١) يستراد : لا يطلب ارتياده .
(٢) رشستاقا : البرلمان الألماني
(٣) يزجى : يسوق . إغداقا : يقال أغدق المطر إذا كثر قطره ؛ فالاغداق كثرة انصباب المطر . والمراد هنا يزجى لنا خيراً كثيرا .

معايدة الأمير *

سَحَبَتْ نفحة الصَّبا أذيالا فأقلتْ بنـا سحاباً ثقالا
جاز أرضاً أحالها طائف المحل فأضحت سباسباً (١) ورمالا
دفعته يدُ الصبا وحداهُ نحو هذا الحمى وميضٌ (٢) تعالى
ثم ألقى العصا وحل عزَاليه (٣) وحيّا وبالنُّضارين سالا
تلك نعمى (٤) الأمير جاوزت الوصفَ وأربت على الغيوث انهمالا
عمر الخير كهفُ كل يتيم عمدة المرتجى إذا الدهرُ مالا
غمرتنا مواهب الفضل منه وحبانا عميمَ برٍ توالى
مغرماً بالندى يَرَى أن مالا لم يُعَوَّذْ بالبذل جر ابتذالا
يا ابن طوسونَ يا ابن ذى الحسب الجم ويا من ساد الكرام وطالا
قد رفعتَ السودانَ ذكراً إلى أن كاد يَمشى فى العالمين اختيالا
لك فى المعهد الذى شيد للعلم أيادٍ سارت بنا أمثالا
وجميلٌ إلى المدارس يُسدى وهباتٌ (٥) فى كل يوم توالى

---

* قيلت بمناسبة تبرع الأمير عمر طوسون — رحمه الله — بمبلغ ألف جنيه للمعهد العلمى بأم درمان

(١) السباسب هى القياق أو الصحراء الواسعة أو الأرض التى لا ماء بها ولا شجر

(٢) وميض البرق : تلألؤه ولمعانه .

(٣) العزالى . مصب الماء من الراوية أى فمها

(٤) شبه الشاعر بهذا البيت نعمى الأمير أمير المحسنين بسحابة وطفاء دفعتها يد الصبا وحداها البرق فشقَّتْ طريقها الى السودان متجاوزة تلك الصحارى أو السباسب حتى هطلت بالسودان

(٥) هبات الأمير عمر على السودان كثيرة فطالما وهب الكثير من ماله على المدارس والمساجد للعلوم العصرية وللعلوم الدينية وبفضل هذه الهبات وبفضل تشجيعه أخذ السودان قسطا كبيرا فى التعليم وتلك منة ويد لا تنسى .

معهداً حكمة ومثوى علوم　　كم عقدنا عليهما آمالا
ليُعيداً الى الشباب حياةً　　ويعيدا إلى الحياة رجالا
والمصلون فى ثناء[1] المحاريب　　يَعجُّون بالدعاء ابتهالا
كنت نعمَ المعينُ يا كعبةَ الجو　　دِ ولولاكمو غدت أطلالا
أسعدى بالبيان يا لغة العُر　　بِ وحلى عن ذا اللسان العِقالا
فلعلى أجزى الأمير ثناءً　　يتحدى القرونَ والأجيالا
ياجواداً أعدّ للعلم والأو　　طانِ منه جاهاً عريضاً ومالا
عَجزَ الناسُ أن يرَوا لك فيمن　　أنجبَ الدهرُ والملوكُ مثالا
طبتَ غرساً فكنتَ فى دَوحة المجـ　　ـد «على»[2] فرعاً زكا واستطالا
قد رعينا الجنابَ منكم خصيباً　　ووردناهُ سلسبيلا زلالا
وأصبنا فى عهدكم باردَ العيـ　　ـش فكنتم ردءاً وكنتم ظلالا
وسعيتم[3] لخيرنا فلأنتم　　كل كف يا ابن الكرام نوالا
ما كفرنا إحسانكم وقديماً　　كان داءُ الكفران داءً عضالا
أولستم بنى الألى زينوا الأر　　ض وسادوا الورى عصوراً طوالا
رفعوا من قواعد العلم للنا　　س وسنوا بالصالحات الفعالا
ما سهرتم للنائبات ونمنا　　لا ولا عن هواكم القلب مالا
قد صمدنا لحادثِ[4] الدهر حتى　　ضاق ذرعاً بنا وضاق احتمالا

(١) ثناء المحاريب أى بداخل المحاريب وهى الجوامع　(٢) محمد على باشا الكبير .

(٣) لمصر ولملوكها من قديم العهود رعاية وعطف على السودان فلمحمد على جد هذه العائلة ولاسماعيل تاريخ ناصع فقد عمروا المساجد ورتبوا لها كما قدمت رواتب من النقد للأئمة والمدرسين والمؤذنين وقرروا ان يعطى لهم فى السنة شىء من القمح كما ذكر ذلك الدكتور محمد فؤاد شكرى أستاذ التاريخ الحديث بجامعة فؤاد الأول

(٤) الحوادث كثيرة تلك التى صمد لها السودان تعلقا بمصر وبعرشها لأنهم عرفوا أن لا حياة لهم بغير مصر وأنهم هم الأخوة الأقربون . وما حوادث سنة ١٩٢٤ ببعيدة فقد مات فيها شباب وضرب بعضهم بالرصاص ونفى البعض منهم حتى مات وإلى الآن لم ير أهله قبره .

ما دهتنا الخطوبُ إلا وزدنا ... ها اعتصاماً بحبلكم واتصالا
وسرينا فى ضوئكم منذ كنا ... ننشدُ الحق والعلا والكمالا
فلكم فى القلوب منا ودادٌ ... لو تزولُ الجبالُ يوماً لزالا
كم غلا المرجفون حتى لظنوا ... كلما بالوجود عنا خيالا
بلغوهم جليةَ الأمر عنا ... حدثوهم أن الخيال استحالا
ليتَ شعرى هل للكنانةِ علمٌ ... بقلوب ذابت جوًى واشتعالا
أم تراها تدرى بأنا احتملنا ... فى هواها القيود والأغلالا
ما فقدنا الصبرَ الجميل وإن كنا ... فقدنا من الزمان اعتدالا
عنتٌ يُرهق النفوسَ وحالٌ ... لم نجدْ للافصاح عنها مجالا
ورأينا حسن الوفاء لزاماً ... فاصطفينا الأعظامَ والإجلالا
لرجال (١) كانوا بمصر بدوراً ... وكرامٍ (٢) شدوا الينا الرحالا

(١) لمصر فضل ويد طولى على السودان فلقد هاجر بعض السودانيين فى عهود ماضية الى مصر والتحقوا بالأزهر الشريف وتحصلوا على درجات وشهادات من الأزهر ورجعوا الى السودان كالشيخ الحسين ابراهيم زهراء وبشير نعمة والشيخ المضوى عبد الرحمن وفى العهد القريب جماعة وهم اليوم مشهود لهم بالعلم .

(٢) هناك كرام من رجالات مصر وعلمائها أتوا الى السودان واشتغلوا هناك بالقضاء الشرعى فتركوا به الأثر الحمد أولهم الشيخ محمد شاكر والشيخ محمد هارون عبد الرازق والشيخ مصطفى المراغى والشيخ محمد أمين قراعه والشيخ نعمان الجارم وآخرهم الشيخ حسن مأمون هؤلاء تولوا رياسة القضاء الشرعى وهناك قضاة مديرية كالشيخ أبو السعود وجماعة غيرهم لا تحضرنى أسماؤهم ومدرسون بالكلية أولهم أحمد بك هداية ناظرها والشيخ عبدالرؤوف سلام والشيخ الخضرى والشيخ الجداوى وهناك مآمير بحكومة السودان كانوا مثلا أعلى وقدوة صالحة أعرف منهم عبد الخالق الذى توفى بأم درمان وكان مأموراً وهمامحمد على التقيطى ومصطفى كامل والاثنان ماتا بالسودان وأحمد افندى عطية (عطية باشا) وزير الدفاع سابقا والموجود الآن بمصر . اعرف هؤلاء واعرف فيهم الشجاعة والعدل والنزاهة .

بلّغونا رسالةَ الأدب العا لى نثاراً والشعرَ سحراً حلالا
علّمونا معنى الحيــــاة وكنا قبلُ عن فهم سرها ضلالا
فســــقى الغيثُ تربة أنبتتهم ورعى منهم الإلهُ خــلالا
صغتُ فيهم بالأمس من خالداتى دررا فى سلك البديع تلألا
أو كزهر الربى ونشر الخزامى حمّلتْهُ ريح الجنوب الشمالا
فلماذا الصـــدودُ عنى ومالى لا أنال المزيد والأنفـالا
أقبل العيدُ فابتهجْ فيـه والبس سيدى من جـلاله سربالا
أسأل اللهَ أن يديمَ لك النعــمى ويوليك هيبةً وجلالا
ولأنتَ العيـــد السعيدُ وإنى لأرى وجهك المنير الهلالا
فلذا قد بعثتُ شعرى(١) وأرجو من لدنك القبولَ والإقبالا
قولُ حق ما ملتُ فيه الى التقــليد حاشا ولم أقـله انتحالا
لا اعتداداً فقدرُ مولاى سامٍ لا سؤالاً فقـد كفانا السؤالا
فاقبلنه يا أقومَ الناس قيلا واستسغهُ يا أيمنَ الناس فالا
وابقَ ياسيدى لمصر ملاذاً وبنى النيل والهـلال ثمـالا
ولدينِ الهدى قواماً وللفضـــلِ مناراً وللوجود جمالا

---

(١) أرسلت هذه القصيدة للأمير عمر رحمه الله بعد أن أرسل حوالة بألف جنيه مصرى للمعهد العلمى بأم درمان فجاءنى منه خطاب أنا الآن محتفظ به وأعده مفخرة من مفاخره وذخراً لى .

النهود

تحية الصديق خلف الله خالد

باتت تبالغ فى عَذلى وتفنيدى ... وتقتضينى عهودَ الخُرَّدِ الغيدِ
وقد نضوت الصبا عنى فما أنا فى ... إسار سُعدى ولا أجفانها السودِ
سئمت من شرعة الحبِ اثنتين هما ... هجرُ الدلال وإخلافُ المواعيد
لا تعذلينى فانى اليوم منصرفٌ ... ياهذه لهوى المهريَّة[1] القُودِ
لم يبق غير السرى عما تسرُّ له ... نفسى وغيرُ بناتِ[2] العيد من عيد
المدنياتىَ من رهطى ومن نفرى ... والمبعداتىَ عن أسرى وتقييدى
أثر تهاوى بالخرطوم فانتبذت[3] ... تكاد تقذف جلموداً بجلمود
توْمٌ تلقاه من نهوى وكم قطعت ... بنا بطاحاً وكم جابت لصيخود[4]
نجــدٌ يرفعنا آلٌ ويخفضنا ... آلٌ وتلفظنا بيــدٌ إلى بيد
وشدَّ ماعانقت بالليل من عنقٍ[5] ... يضنى ومن حيف أخدود[6] فأخدود
حتى تراءت لحادينا النهود وقد ... جئنا على قدَرٍ حتم وموعود
معالمٌ قد أثارت فى جوانحنا ... شوق الغرير[7] لمهضوم الحشا الرُّود
استغفر الله لى شــوقٌ يجدده ... ذكر الصبا[8] والمغانى[9] أىَّ تجديد

---

(١) المهرية القود يريد بها الأبل وهى مألوفة كثيراً بالسودان خصوصا بالبادية

(٢) أيضاً الابل

(٣) انتبذت أى قصدت إلى ناحية

(٤) قطعت أرضا ذات حجارة تتعب الرواحل فى حال السير

(٥) العنق هو السير الشاق (٦) الأخدود هو الحفرة المستطيلة فى الأرض

(٧) الغرير : غير مجرب للامور .

(٨) المراد أوان الفتوة واستيفاء اللذات (٩) المعانى : المنازل التى كانت بها الاقامة

وتلك فضلة كأسٍ ماذمتُ لها ... طعماً على كَبَرٍ برْحٍ وتأويد
إن زرت حياً(١) أطافت بي ولائده(٢) ... يَفْدِينى فعلُ مودود(٣) بمودود
وكم برزن إلى لقيايَ فى مرحٍ ... وكم ثنين(٤) إلى نجواى من جيد
لو استطعن وهن الساخات دمى ... رَشَفْنني رشفَ معسولِ العناقيد(٥)
يادار لهوى على النأى(٦) اسلمى وعمى ... ويا لذَاذَةَ أيامى بهم عودى
وذات طوق(٧) نزلنا تحت دوحتها ... وقد تغنت بأهزاج على عود
فقلتُ حيِّيتِ هل تدرين ما فعلت ... بنا التباريح(٨) من وجد وتسهيد
حتى أجدت لنا لحنَ الغريض(٩) قرىً ... وما بخلتِ على ضيفٍ بموجود
أنتِ الجوادُ على العلاّتِ(١٠) فاتخذى ... فينا جميلاً ومن هذا القِرى(١١) زيدى
ونوِّلينا فما فضل الجوادِ إذا ... ما لم يكن ذا نوالٍ غير مجدود
مثلَ الذى صار فى حفْل الندى خلفاً ... لخالد(١٢) خالد المعروف والجود
مولى السماح(١٣) فكم والى يداً بيد ... من غيرِ منٍّ ومحموداً بمحمود
رأى الجليلين(١٤) من مجد ومن حسب ... صنعَ الجميلين من شكر وتحميد
فهام بالحمـــد يفرى وفره ثمناً ... والحمدُ أكرمُ مذخورٍ ومنشود(١٥)
أخ حبانى من صافى مودته ... معينها وسقانى غير تصريدِ(١٦)

---

(١) المراد مسكن القبيلة (٢) الولائد جمع وليدة وهى البنت
(٣) المودود : المحبوب (٤) ثنين : أملن — ونجواى : مسارتى — والجيد : العنق
(٥) معسول العناقيد : الخمر (٦) النأى : البعد
(٧) ذات طوق : الحمامة المطوقة . والدوحة : الشجرة العظيمة
(٨) تباريح الشوق : توهجه (٩) الغريض : مغن مشهور قديماً
(١٠) على العلات : على كل حال (١١) القرى : مايقدم للضيف
(١٢) هو خلف الله خالد وهو أكمل من عرفته دينا وصدقا ونزاهة مدة مرفقتى واتصالى به ٣٠ سنة
(١٣) السماح : الكرم (١٤) الجليل : العظيم (١٥) المنشود : المطلوب
(١٦) التصريدُ : التقليل — والمراد أنه سقاه حتى ارتوى .

عرفته فعرفتُ الفضلَ مذ علقتْ | كفى به بطويل الباع صنديد[١]
إن فاخر الناسَ بالأنساب جاءهمُ | بين السراة من الخضر الجلاعيد[٢]
رهط المكارم حازوها بما سبقوا | فى مشهد بذوى الأحساب مشهود
والشيخُ حامدُ شمسُ الدينَ عرّفهم | بكل عارفةٍ منـــــه وتأييد
كساهمو حللَ الزلفى[٣] وسوّدهمُ | ولم يكن سؤددُ التقوى بمحدود
يا من هواه ومن ذكرى محبته | أشدو بها عند تصويبى وتصعيدى[٤]
دم للندى طودَ عزٍ لا يُرامُ علاً | تحيي المآثرَ من آبائك الصيد[٥]
فما مساعيك للجُلى[٦] بخافية | وما مقامك فى فضل بمجحود
ولست لائمَ أقوامٍ وقد جَبُنوا | فان أيسر ما قاسيتَ ما يودى
أثرت عيسىَ من شوقٍ اليك ولم | يكن لغيرك ايجافى[٧] وتوخيدى[٨]
لمـا رأيتكَ قد أقرضتنى حسناً | يُروى[٩] والبيتَ من برى وتمجيدى[١٠]
حملتُ من لؤلؤ البحرين فى كلمى | اليك أنفسَ منثور ومنضود[١١]
لا تسقينّى بكأس المادحين فهم | رُوّادُ مرحمةٍ عبادُ مقصود
وإن أكن غيرَ محسودِ الحظوظ ففى | فضل البيان[١٢] أرانى جِدّ محسود
أنا الغنىّ بما غيرى الفقيرُ له | لم يخب[١٣] يوماً ضياعزمى ومعقودى

---

(١) الصنديد : الشجاع أو الحليم أو الجواد أو الشريف وكل هذه المعانى تصح هنا
(٢) السراة : أشراف القوم الجلاعيد : الصلاب الشداد
(٣) الزلفى : القربى — وسودهم جعلهم سادة (٤) التصعيد : الارتقاء
(٥) الصيد : جمع أصيد والأصيد الملك أو الرافع الرأس كبرا
(٦) الجلى : الأمر العظيم (٧) الايجاف : نوع من سير الخيل والإبل
(٨) التوخيد : الاسراع فى السير (٩) يروى : يذاع فيتناقله الرواة لعظمه
(١٠) يقصد من بره وتمجيده تقديره وإكباره للشاعر
(١١) يقصد لأنجمانى فى عداد المادحين الذين يمدحون لينالوا أجراً على مدحهم
(١٢) البيان : التصرف فى فنون القول (١٣) يخبو : ينطفىء

فكيف إن ذكروا الإملاقَ أحذره … إن صحّ بالله إيماني وتوحيدي
فهاكَ مني ولا مَنٌّ عليك حُلىً … لم تخلُ من فضل تهذيبٍ وتجويد
حبرتُها لك في حال السرى[١] فغدت … وهي السليمةُ من حشوٍ وتعقيد[٢]
سُرى ليالٍ شربنا طيبَ ذكركمو … صرفاً على قبح صوتِ البومِ والسِّيد
والليلُ كالقبةِ الزرقا وأنجمُهُ … دمعٌ ترقرق في أجفانِ معمود[٣]
لعل فيها لكم معنى البشارةِ من … قميصِ يوسفَ أو عرشِ ابنِ داود
فان أصابت هوىً منكم فيا شرفي … أو لا ، فذا كل مقدوري ومجهودي

---

(١) السرى : السير بالليل
(٢) الحشو : مالا خير فيه — والتعقيد : الصعوبة وهو من عيوب الشعر
(٣) المعمود : من هدَّه العشق .

عهد جيرون

أرقتُ من طول هم باتَ يعروني ... يثير من لاعج الذكرى ويشجوني
منيتُ نفسيَ آمالا يماطلني ... بها زمانيَ من حين إلى حين
ألقى بصبري جسامَ الحادثات ولي ... عزمٌ أصدُّ به ما قد يلاقيني
ولا أتوق لحال لا تلائمها ... حالي ولا منزلُ اللذات يُلهيني
ولستُ أرضى من الدنيا وإن عظمت ... إلا الذي بجميل الذكر يرضيني
وكيف أقبلُ أسبابَ الهوان ولي ... آباءُ صدق من الغرِّ الميامين
النازلين على حكم العلا أبداً ... مَن زينوا الكونَ منهم أيَّ تزيين
من كل أروع في أكتاده لبدٌ ... كالليث والليثُ لا يُغضي على هُون
وقد سلا القلبُ عن سلمى وجارتها ... وربما كنت أدعوه فيعصيني
ما عذرُ مثلي في استسلامه لهوًى ... يا حالةَ النقص مالي حاجةٌ بيني
ما أنسَ لا أنسَ إذ جاءت تعاتبني ... فتانةُ اللحظ ذاتُ الحاجب النوني
يا بنتَ عشرين والأيامُ مقبلةٌ ... ماذا تريدين من موءود خمسين؟
قد كان لي قبلَ هذا اليوم فيكِ هوًى ... أطيعه وحديثٌ ذو أفانين
ولامني فيك والأشجان زائدةٌ ... قومٌ وأحرى بهم أن لا يلوموني
أزمانَ أمرحُ في بُردِ الشباب على ... مراسح اللهو بين الخُرَّدِ العين
والعودُ أخضرُ والأيامُ مشرقةٌ ... وحالة الأنس تغري بي وتغريني
في ذمة الله محبوبٌ كلفتُ به ... كالريم جيداً وكالخيزور في اللين
أفديه فاترَ ألحاظٍ وقلَّ له ... «أفديه» حين سعى نحوي يُفدِّيني

يقول لى وهو يحكى البرقَ مُبتَسِماً ... « ياأنتَ ياذَا » وعمداً لا يسمينى
أنشأتُ أسمعه الشكوى ويُسمعنى ... أدنيهِ من كبدى الحرَّى ويدنينى
أذرُ فى سمعه شيئاً يلَذُّ له ... قد زانه فضلُ إبداعى وتحسينى
فبات طوعَ مرادى طولَ ليلته ... من خمر دارينَ أسقيه ويسقينى
ياعهدَ جيرُونَ(١) كم لى فيك من شجنٍ ... بادسقاكَ الرضا ياعهدَ جيرُونِ
ولا يزالُ النسيم الطلقُ يحملُ لى ... ريّا الجنابِ ويرْويه فيرْوينى
واليومَ مذ جذبت عنى أعنّتَها ... هذى الظباءُ وولت وجهها دونى
وعارضَ العارضين الشيبُ قلتُ له ... أهلاً بمن رجحتْ فيه موازينى
كففتُ غربَ التصابى والتفتُّ إلى ... حلمى ولم أكُ فى هذا بمغبون
وصرتُ لا أرتضى إلا العلا أبداً ... ما قد لقيتُ من التبريح يكفينى

---

(١) جيرون هنا كناية عن مرتع لهو أيام الصبا ، فهو من ذكر المحل وإرادة ما كان فيه . وهو فى الأصل موضع من متنزهات دمشق ، وكثيراً مايذكره الشعراء مطلقيه على مواضع يعنونها فمن ذلك قول أبى بكر الصنوبرى :

ولى فى باب جيرون ظباء ... أعاطيها الهوى ظبيا فظبيا .

دارة الحمراء

قل للغمام الأربد[1] لا تعتمد غور السند
وحيِّ عنى دارة الحمرا وقل لا تبعدى
منازل يابرق أرو ت أمس غلة الصدى[2]
ياويحها كم نظمت شمل هوى مبدد
قالوا غداً يوم الفرا ق قلت بعداً لغد
يامتهمون هل لكم علم بحال المنجد[3]
صب بكم أمسى يعا نى صرف دهر أنكد
عطفاً مليكى إن فى كفيك ثنى المقود[4]
مالك قد عودتنى ما لم أكن أعود
قد نفد العمر وها وجدى بكم لم ينفد
ولى شبابى وانطوت أيام غصنى الندى
جادك ثجاج الحيا من مبرق ومرعد
لأنت ريحان القلو ب عدت أو لم تعد
فيا أخا البدر استمع ويا عوالم اشهدى
إن حلت عن ودى فلا أرضى الكمال مشهدى

---

(١) الأربد : الربدة بالضم لون إلى الغبرة ، والغمام الأربد المملوء ماء .

(٢) غلة الصدى : الغلة شدة العطش ، الصدى : العطشان

(٣) المنجد : الذاهب إلى نجد .

(٤) ثنى المقود بالكسر الحبل يشد فى الزمام أو فى اللجام تقاد به الدابة وتربط به .

لا صرّفتْ كفِّىَ فى الـ ـمهيَجاءِ عنانَ الأجرد (١)
ولا ازدهتْ بقائم الـ ـسيف ولا الرُّمح يدى
ولا ادَّرعتُ غير هيـًا ب حبيك (٢) الزرد
ياحسنَه وقد بدا لناظرى عن بُعُد
والشمسُ ألقتْ فى كؤو س الغروب ذوبَ العسجد (٣)
فهزَّ تحت درعه أعطافَ غصنٍ أملد (٤)
ياما أُحيلِىَ ما أرى من صلف (٥) وصَيَدِ
قلبتُ وكم سبا النهى بثغره المنضّد (٦)
أين لقيت يارشا (٧) فى الصيف حبَّ البرد
ردْ وحذار ياقطا (٨) فالحتفُ عند المورد
هيهات ما بالمستطا ع نيلُ هام الفرقد (٩)
محاسنٌ لو ظهرت يوماً لذاك السيد (١٠)
أنسته بيضاء القرى وحسن وادى الفرقد

---

(١) الأجرد : المراد به السباق والأصل فيه قصير الشعر ورقيقه .
(٢) ادرع : أى لبس الدرع • حبيك الزرد : الدرع
(٣) العسجد : الذهب
(٤) أملد : ناعم لين
(٥) الصلَفُ : الكبرياء ومجاوزة قدر الظرف والصيدُ مثله
(٦) المنضد : الفم المرصع بالأسنان الجميلة البيضاء .
(٧) رشأ : ابن الظبى
(٨) القطا : نوع من الطير شبه الشاعر نفسه بالقطا الظامى والمحبوب بالماء وحول هذا المورد حتوف
(٩) الفرقد : نجم يهتدى به
(١٠) يعنى به السيد توفيق البكرى إذ يقول فى قصيدته المشهورة :

أصبح وادى الفرقد أخضر كالسيف الصدى
كأنما كثبانه من قطع الزبرجد

سبحان رافع السما وات بغير عمد
لو شاء أدنانى الى ظل الجناب الأسعد
مأوى الحبيب ذى البها شمس الملاح الأوحد
لكنتُ كالنعمان فى سديره الممرَّد [١]
فى فتية كم بسطوا شمل البساط الأحمدى
إن تلقهم تلقَ بهم رهط العلا والسؤدد
نمرح فى تلك الربا ربل الحسان الخرَّد [٢]
بيض النحور [٣] العين أمثال الظباء الشرد [٤]
الطاهرات الذيل [٥] إن رأين كفَّ معتد
كأنهن ربرب [٦] ريع لصوت أسد
يهزنا من دوحه سجعُ الحمام الغرد
كأننا من طرب أمام شاد منشد
فعنه حدِّث لاعن الميلا [٧] ولا عن معبد
عيش كمعسول المنى أو كالربيع الأغيد [٨]
وهو لعمرى صورة من النعيم الأبدى

---

(١) الممرد : المطوّل
(٢) الخرد : الفتيات الأبكار لم يمسهن أحد .
(٣) النحور : جمع نحر وهو أعلى الصدر .
(٤) الشرد : الشاردة
(٥) الطاهرات الذيل : المراد صاحبات العفة . الأولى مغنية والثانى مغن .
(٦) الربرب : القطيع من (الظباء) (٧) الميلا ومعبدُ : ذكرهما كثير فى الكتب
(٨) الأغيد : الربيع ذو النبات الناعم المتثنى .

ذكرى حبيب

ألا هلْ أتى هنداً ولا زال بالحمى ملثٌّ(1) من الرضوان يهمي على هند
بأني حططتُ الرحلَ في خير بلدة عرفتُ بها رهطَ السماحة والمجد
وكلٌّ فتى تحكى السحابَ يمينُهُ
فليس بذى الشحِّ المطاع ولا المُكْدى
تقولُ إذا ماجئتهُ البحرُ زاخراً وكالنجم للسارى وكالعلَم الفرْد
فقد طوقونى منةً ملكوا بها فؤادى وأورى حسن سعيهم زَندى
وإن بدؤونى بالجميل فإننى سأجزيهم عنى الجليل من الحمد
وإن ضاع ماقدأسلفوا من صنيعة فما ضاع عند الله معروفهم عندى
وأقسمُ ياقضروفَ سعد(2) لمارمى بنا لبنيكِ الأكرمين هوى الرِّفد
ولكن أحاديثُ المنى وهى عادةٌ حسان كحسن الخال فى ناضر الخد
حللتُ فحلت لى بها كلُّ حبوة ومدَّ أمامى بردَهُ كلُّ ذى برد
وكم زارنى شرقَ البلاد وغربْها بلا سفر يُنْضِى الركّاب ولا قصد
شواردُ(3) ماسايرتها بتنوفة(4) ولا راعها كفى بسوْط ولا قيد.
من اللائى كم أضحت هوى كل مسمع وأعذبَ فى الأفواه من بارد الشهد

---

(1) الملث : المقيم ، فكأنه يقول للسحاب لاتفارق ديار هند

(2) قضروف سعد هى بلدة القضارف المشهورة ومركز من مراكز مديرية كسلا وبها أراض خصبة يزرع فيها السمسم والغلة بأنواعها وتروى الخضروات فيها بماء الأمطار فقط وبها أصدقاء للشاعر كالناظر الشيخ عبد الله بكر والأستاذ الشيخ عبد القادر عبد الباسط قاضيها الشرعى وقتذاك

(3) الشوارد : النوافر وهنا يعنى بها القصائد الممتنعة على غير القدير من الشعراء

(4) التنوفة : المفازة .

أعاتبُ أيامى وهنَّ فوارك [١] … أطلن شقائى فى التمنع والصد
وهم له فى القلب جولة ثائر … مَريد [٢] وغارات المسومة الجرد [٣]
فإن شئت زورى أو قفينى ذميمة … فما أنا بالوغل الجبان ولا الوغد
فهل يرهب الهيجاء قلب مشيع … وهل خلقت إلا لها قضبُ الهند
وإن تسألى يازينبُ ابنةُ مالك … فلله مالاقيتُ فيك من السهد
وكم ساجلت [٤] منى الخطوبُ فما نبا … وحقك حدُّ المشرفىّ ولا حدّى
وإن فاتنى قومٌ ولم أك دونهم … فذاك قضاءٌ ليس لى عنه من بدّ
وما تركت لى النائباتُ بسرّها … أخاً غير مطوىّ الضلوع على حقد
ولا ذنبَ إلا أننى كنتُ دائماً … أقارع [٥] عن آثار أسلافهم وحدى
فكيف بكم إن حلّ يومٌ كريهة … وبان ذوو الآراء والألسن اللُّدِّ [٦]
وجاءوا بأعلام البيان وجئتمو … لديهم بكَلٍّ [٧] لا يعيد ولا يبدى
هناك ترونَ الحقَّ أبلجَ واضحاً … وأنكمو أضللتمو سنَنَ الرشد
ألا لا رعى الله الزمان ولا رعى … تلظّى [٨] جمر فى الحشا دائم الوقد
هواىَ بنجدٍ والمقامُ تهامةٌ … وهيهات ماتدنو تهامة من نجد
هوًى زاده كرُّ الجديدين [٩] جدةً … سيبقى بقاءَ الوحى [١٠] فى الحجر الصلد
فيادارة الحمراء [١١] بالله بلغى … هناك حبيباً بين كثبانك الرُّبْد [١٢]

---

(١) الفركة : البغضة عامة ، أو بين الزوجين .
(٢) المريد: العاتى والذى يصعب مراسه (٣) المسوّمة الجرد : الخيل قصيرة الشعر رقيقته
(٤) المساجلة : المنازلة أو المقارعة أو المخاصمة (٥) المقارعة : المنازلة أو المدافعة
(٦) اللدد : شدة الخصومة ورجل ألَدّ بين اللدد . والبيان باللسان لذا وصف باللد .
(٧) الكل : الضعيف لايقوى على جلب الخير ولا دفع الشر
(٨) تلظى جمر يعنى اشتعال الجمر فى الحشا وهى هنا الضغينة والحقد
(٩) الجديدان : الليل والنهار (١٠) الوحى : الكتابة
(١١) دارة الحمراء هى ماء بقبيلة الكبابيش ببادية السودان ويتخذها ناظر الكبابيش مقراً له
(١٢) الكثبان الربد : التى يضرب لونها الى سواد وبياض .

بأنَّى لا أنسى وإن شطَّت النوى ليالى وصال غيرَ مذمومةِ العهد
منىً قد أخذناها من الدهر خلسةً بزهرة ذاك الحي فى عيشةٍ رغد
فلم يبق منها اليومَ إلا حديثُها وطيفٌ يريني الردَّ فى صورة الوعد
أجنُّ إليهم والديارُ بعيدة وإن كان لا يدنى الحنينُ ولا يجدى
فمن لى بمن يملى الأحاديثَ عنهمُ ويا ليت شعرى ما الذى أحدثوا بعدى
ويا هندُ لا والله ما خنتُ عهدكم ولكن ضروراتُ التجول والبُعد
وكم قلت فى هندٍ ودعدٍ موريّاً[١] وما أنا من هندٍ ولا أنا من دعد
وها أنذا ألقى المعاذيرَ طالباً
رضاكم وأبدى ضارعاً[٢] كفَّ مستجدى
فما أنتمُ إلا الكرامُ ذوو الندى وما ربعكم عندى سوى جنة الخلد
عليكم سلامُ الله كم هجتمو هوىً وجددتمو عهد الصبابة والوجد
متى يأذنِ المولى فنى ذمةِ السُّرى
وصولى وأيدى العيسِ ترقل أو تُخْدى[٣]
وإن عادت الأيام عدنا إلى الذى ألفناهُ من حسن الرعاية والود
وإلا فعند الله ياهندُ وحده مقاديرُ تجرى طالعَ النحس والسعد

* * *

عبر الأيام

لهفى على الأيام أسكنَ صنعها ضبع الفلاة عرين آساد الشرى
بالأمس أردتْ قيصراً واليوم قد ولدت لنا كسرى الملوك وقيصرا
من عاش يقرأ من خلال سطورها عبراً وينظر بعدُ أبشعَ منظرا

---

(١) تورية الشيء : اخفاؤه يقول أذكر هندا ودعدا مخفيا ما أريده حقيقة
(٢) الضارع هنا الخاضع الذليل
(٣) العيس هي الرواحل من الإبل وهي الركائب التي لا بد للمسافرين ببادية السودان من ركوبها والارقال والوخد : ضربان من سير الابل

يا علم خذ العلم

إلى الأستاذ أحمد محمد صالح

تذكرتُ عهدَ الصِّبا الباكرِ ومرتبعَ[1] اللهوِ من حاجرِ[2]
وأيامَنا الغُرَّ[3] في ظلّه وما للعشيرةِ من سامرِ
ومثوى[4] لداةٍ كزهر الربيع طيباً وكالقمر السافر[5]
وما بالمسارحِ[6] من شادنٍ[7] غرير[8] ومن شادنٍ نافر
وزينبَ سكرى بخمر النعيم تعثّر في مِرطها[9] السابري[10]
وقفت وقد كاد يشجي الجماد بكائي على الزمن الغابر
ألا هل لذا السربِ من عاذلٍ وهل لي في العتبِ من عاذر ؟
حللنَ لديَّ بحكم الهوى مكانَ السوادِ من الناظر
وجانبتُ في حبهن المشيرَ وعاصيت فيه هوى الآمر
فلما ذوى الغصن جاوزتني سراعا إلى مورقٍ ناضر
أخذن حلى كنتُ أولى بها فزينَّ بها الجيدَ من آخر
غفرتُ ولو كان في بردتي فتى الأمسِ ما كنت بالغافر
فياشيبُ ما أنت نعمَ الرفيقُ ولا مرحباً بك من زائر

(١) مرتبع : مكان يقضى فيه فصل الربيع (٢) حاجر : اسم مكان
(٣) الغر : أيام الطفولة (٤) مثوى : مكان الإقامة
(٥) السافر : الظاهر (٦) المسارح : المكان الذى تسرح فيه الماشية
(٧) شادن : غزال (٨) الغرير : الصغير الذى يسهل انقياده
(٩) المرط : كساء من خز أو صوف (١٠) السابرى : ثوب رقيق .

(يراد من القلب نسيانكم) (١) ووالله ما مرَّ بالخاطر
وكيف وقد صُغْتُ فى ذكركم جواهرَ من كامل وافر
وأن تقربِ الدارُ أسمعتكم شواردَ كالمثل السائر
فيا أحمدَ الخير نلتَ المنى
وحُوشيتَ (٢) من جدِّى (٣) العاثر (٤)
شدوتَ فأجرقتَ منا القلوب بما صغت من لفظك الساحر
وما ذاك بدعاً (٥) وقد هزها قديماً عراكُ (٦) الهوى الآسر
فأفديك أحمدُ من ناثرٍ ضليع وأفديك من شاعر
ولو ساعد القولُ أهديتُكم ثناءً كزهر الرُّبى (٧) العاطر
فبالأمس جئتَ لنا طالعاً بزهراءَ فى ثوبها الزاهر
أعادت لنا منك عهدَ (الوليد) وتهيامَه (٨) بابنةِ العامرى
وأبدعتَ حتى كأنَّ الرِّضىَّ يختالُ فى برده الطاهر
فزعنا وقد ماج بحرٌ بنا لِواذاً (٩) لرُبَّاننا الماهر
سرى (١٠) بالجاهل روَّادنا بغير ربىءٍ (١١) ولا ناصر
كما هامَ قبل وراءَ الجديد فجاء ببدعته (السامرى)
ولا أنكرُ الفضلَ لكننى أخاف لهم طفرة (١٢) الثائر

(١) بيتٌ لأحمد بن الحسين المتنبيء وهنا جيء به استعانة وتكثر هذه الطريقة فى شعر المولدين
(٢) حوشيت : نزهت ، جملة دعائية (٣) جدى : حظى (٤) العاثر : السيء
(٥) بدعاً : مستحدث ومستغرب (٦) عراك الهوى : يعنى به مايلقاه المحب من ألم وضنى
(٧) الربى : جمع ربون وهى ماارتفع من الأرض
(٨) تهيامه : أى شوقه والوليد هو البحترى إذ يقول فى قصيدة له:
يابنة العامري كيف يري قو مُك عدلا أن تبخلى وأجودا
(٩) لواذا : اللواذ هو الاستتار والاحتضان (١٠) سرى : سار ليلا
(١١) الربىء : الطليعة — ويريد الشاعر الخبراء والقادة والهداة
(١٢) الطفرة : الوثبة

فكن لهمُ فى طريق السُّرى   مناراً لدى السالك العابر
فقد ينفع القولُ من شاعرٍ   كما ينفع السوط من زاجر
تقـــدم وخذ عَلَمَ المصلحين   فى همـــة الفَلك الدائر
ودع جانباً لغد ماله   فما الغد فى الحكم بالجائر [1]
لبستَ الحياةَ [2] على مابها   ورمزت [3] الصريح من الخاثر [4]
فكيف يهزك سجعُ الحما   م وترتاع من نبأة الخادر [5]
وقد طلع (الفجر) [6] فاستقبلوا   طرازاً من الأدب العامر
وطوفوا بأركانه شاكرين   تنالوا به العونَ [7] من قادر
وقد لا ترى العينُ فيما ترى   جمالا كنعمى على شاكر
وإن تنصروا الضادَ ينصركمُ   وإلا تكن صفقةُ الخاسر
نروح ونغدو وراءَ الحياة   على بحر أرزائها [8] الزاخر [9]
أسارَى [10] هوىً ولكم غرنا   سرابٌ من الأمل الساخر [11]
تشابهَ فى شأنه المدلجو   ن [12] فأصبح ذُو الرشد كالحائر
فيا مبدعَ الكون هيء لنا   سبيلا لمستقبَلٍ باهر [13]

---

(١) الجائر : الظالم   (٢) لبست الحياة : المراد تناول كل جوانب الحياة
(٣) مِزْتَ : عرَفْتَ (٤) الخاثر : الغليظ من اللبن . والمراد تفرق بين الحق والباطل
(٥) نبأة الخادر : صوت الأسد ومن عادته انزواؤه فى مكنه كالعذراء فى خدرها
(٦) يريد مجلة « الفجر » لصاحبها ورئيس تحريرها المرحوم الأستاذ عرفات عبد الله وقد توقفت عن الصدور .
(٧) العون : المساعدة أو الظهير   (٧) أرزائها : مصائبها
(٩) الزاخر : المتد   (١٠) أسارى جمع أسير بضم همزته فى الجمع وفتحها . ومن جموعه أسْرى بفتح الهمزة وسكون المهملة .
(١١) الساخر : الضاحك ، الهازىء   (١٢) المدلجون : السائرون بالليل
(١٣) الباهر : اسم فاعل من بهر . يقال بهر القمر ، إذا غلب ضوءه ضوء الكواكب ومعنى باهر فى البيت مضيء .

وادي الزبده

بالله ياحلوَ اللَّمى [1] مالَكَ تجفو [2] مغرما
صددتَ عني [3] ظالماً أفديك يا من ظلما
هلا ذكرتَ يارَشا [4] عيشاً تقضّى بالحمى [5]
رفقاً بصبٍ راحٍ يهوى [6] طَيفَكَ [7] المسلما
يندب [8] أيام اللقا وحظُّهُ المقسّمَا
إن شامَ [9] من نحوكم برقاً أقام مأتما
ويكتم الوجدَ [10] وكم يَغلِبُهُ أن يكتما
للهِ محبوبٌ رأى حبةَ قلبي [11] فرمى
أعيذه من جائرٍ [12] حكَّمتُه [13] فاحتكما
مررتُ بالحيِّ ضحىً أروضُ مُهراً أدهما
مرتدياً من الشبا بِ ضافياً [14] مُنَمنَمَا
لقيتُهُ في أربعٍ بيضٍ كأمثال الدُّمى [15]
شابهنَ أزهارَ الربيعِ وحكينَ الأنجما

---

(١) اللمى : سمرة في الشفة تستحسن (٢) تجفو : تهجر
(٣) صددت عني : صرفت وجهك عني (٤) الرشا : ابن الظبي والمراد حبيبه .
(٥) الحمى : موضع حماية الإنسان (٦) يهوى : يحب
(٧) طيفك : خيالك عند النوم (٨) يندب : يبكي
(٩) شام : تطلع (١٠) الوجد : شدة الشوق (١١) حبة القلب : سويداؤه
(١٢) الجائر : الظالم (١٣) حكمته : اتخذته حكما (١٤) ثوب ضافٍ أي ممتع
(١٥) الدمى : جمع دمية وهي اللعبة

أو الجمانَ (١) نظَموا فريدَه (٢) فانتظما
وقفتُ فاستسقيتهُ (٣) وشدَّ مابى من ظما (٤)
جاءَ بماءٍ قلتُ هل حاجةُ مثلى منك ما ؟!
أنشدته من فاخرِ الشعرِ رصيناً (٥) محكَما
فبرَقَ لي مستلباً ومال نحوى منعما
طويتُه (٦) طيَّ الردا متَّعتُ من فمٍ فما
تصرَّم (٧) الوصل وكيف م ردُّ ما تصرما ؟
أحبتى هذى الدموعُ بعدكم غيثٌ (٨) همى (٩)
صيِّرتُ عن كرهٍ قرى السودان لى مخيَّما
ولي بمصرَ شجنٌ (١٠) أجرى الدموعَ عَندَما (١١)
فارقتُ مصر ذاكراً أرجاءها (١٢) والهرما
والنيلَ والجزيرةَ الفيحاءَ (١٣) والمقطما
ربوعُ خير طالما أسدتْ (١٤) إلى أنعما
مضنَّ وأيامُ الشبابِ الغضِّ (١٥) من لى بهما
وفتيةٍ سامرتهم (١٦) فاقوا الزمانَ هِمما

---

(١) الجمان : جمع جُمانة وهى الحبة من اللؤلؤ
(٢) فريده : الذى لامثيل له (٣) استسقيته : طلبت منه السقاية
(٤) الظمأ : شدة العطش (٥) الرصين : المحكم (٦) طواه : احتضنه
(٧) تصرم : تقطع وانفصل (٨) غيث : مطر (٩) همى : كثر نزوله
(١٠) شجن : حزن (١١) العندم : صبغ أحمر أى بكى بدمع كالعندم .
(١٢) أرجاءها : أنحاءها (١٣) الفيحاء : الواسعة . (١٤) أسدت : أدت وأعطت
(١٥) الغض : الطرى (١٦) سامرتهم : حادثتهم ليلا .

وعزمــةٌ صادقةٌ تنطحُ[١] أبراجَ[٢] السما
زين شباب حملوا مع السيوف القلما
هذا يمجّ[٣] حكمةً[٤] وتلك فى الهيجا[٥] دما
وكان غصنى مورقا والدهرُ لى مبتسما
أخذت أسبابَ الهوى واليومَ صارت حلُما
مالى وللعاجز يُطوَى عن حشاً تضرّما[٦]
يزجر[٧] لى كل غداة طيرَ نحسٍ أشأما
لما رأى أنى وطئتُ[٨] منهُ أنفاً مرغما[٩]
وأنه من مخلَبى[١٠] لولا التقى ما سلما
جاء بأسمى[١١] حيلةً منه وأصمى أسهما
ومن يرى التنكيل بى[١٢] نخراً له ومغنما[١٣]
أخطأتُ فى التعبير إذ قلتُ بمن والحقُّ ما
فى الدهر من صروفه معلِّمٌ لو علما
زرعتَ لكن سوف تجنى[١٤] ما خشيتَ الندما
هل لك أن تخبرَنى أين تركتَ الشمما[١٥]

---

(١) تنطح : تضرب والمقصود أنها تطاول أبراج السماء فى علوها وارتفاعها .
(٢) أبراج : جمع برج وهو المرتفع من الرؤوس (٣) يمج : يلفظ ويخرج
(٤) حكمة : علما ومعرفة (٥) الهيجاء : الطعان والضراب فى الحرب .
(٦) تضرم : اشتعل .
(٧) يزجر : المراد انه إذا رأى الطير آتيا من ناحية اليمين أثاره ليأتى من ناحية الشمال
(٨) وطئت : دست (٩) مرغما : صاغرا ذليلا
(١٠) المخلب : للجوارح من الطير كاليد للانسان (١١) أسمى : أرفع
(١٢) التنكيل : شدة التعذيب (١٣) المغنم : خير كسب
(١٤) تجنى : تجمع (١٥) الشمم : الإباء

ألا ترى فضْلَ النزال [١] مستميتاً مُعْلما
تنشقُ غيرَ حافلٍ فيه الغبارَ أقتما
جاء به يريدُ بى سوءاً على ما زعما
توسمٌ وربما أخطأ مَن توسما
فما أزاح كيدُهُ رضوى [٢] ولا يلملما [٣]
وما أراه واجداً نحو السماء سلما
متى رأيتم ضَبُعا [٤] يا قومُ أردى [٥] ضيغما [٦]
لا تستثيرا [٧] غضباً يثيرُ منى أرقما [٨]
أهلكَ عاداً قبل ذا بغيٌ وأفنى جُرْهُما [٩]
أبرمتما [١٠] شراً فرد م اللهُ ما أبرمتما
إنى أخافُ الله فى هجوكما [١١] والرحما
لولاهما هتكت [١٢] بالتقريع [١٣] من ستريكما
أصوغ [١٤] منه كلما يُروى وأروى كلما
أتركُ كلٌ من حدا [١٥] بالركب يحدو بكما
لأننى أرماكمو نبلا وأهدى منكما
ذا منطق الفصل وكم قد صغت منه حكما

---

(١) النزال : المصارعة . (٢) رضوى : جبل بالمدينة
(٣) يلملما : جبل على مرحلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن
(٤) الضبع : نوع من الحيوانات آكلة اللحوم (٥) أردى : أهلك
(٦) الضيغم : الأسد (٧) لاتستثيرا : لاتحركا (٨) الأرقم : ذكر الثعابين
(٩) جرهما : قبيلة معروفة (١٠) أبرمتما : أمضيتما
(١١) الهجو : الذم بالسيء من القول (١٢) هتكت : فضحت
(١٣) التقريع : اللوم الشديد العنيف (١٤) أصوغ : أصنع
(١٥) حدا بالركب : غنى له أثناء السير

وهو إذا استنطقته [١] عن الضرورى وجما [٢]
وإن نهضتُ مسرعاً نحو المعالى جثما [٣]
أو بعثتهُ الخلودَ فى الدنيا ببذلٍ [٤] أحجما [٥]
هل أنتَ عيسى الروحُ جئتَ اليوم تحيي الرمما [٦]
لا دَرَّ درى إن رفعتُ للدنايا [٧] قدَما
ما أرخص الحياةَ إلا أن أرانى مكرما
كم عفتُ شهدَ الذل واستمرأت [٨] عنه العلقما [٩]
ما ذاك إلا أننى أبيتُ [١٠] إلا كرما
لولا زمانٌ عاق [١١] من سعيي لكنتُ العلما
هذا وكم تبدى الليالى لى خلُقاً مذمما [١٢]
كم قدمتْ مؤخراً وأخرت مقدما
لكن أقولُ الحمدُ للهِ على ما أنعما

---

(١) استنطقته : طلبت منه الكلام (٢) وَجَم : صمت وامتنع عن الكلام
(٣) جثم : برك على ركبتيه (٤) البذل : العطاء (٥) الإحجام : الامتناع
(٦) الرمم : الموتى (٧) الدنايا من الأمر : وضيعه وحقيره
(٨) استمرأ : استعذب واستسهل (٩) العلقم : الحنظل (١٠) أبيت : رفضت
(١١) عاق : منع (١٢) مذمم : قبيح

عروس الرمال (١)

أرى النوى أكثرت وجدى وتذكارى — وباعدت بين أوطانى وأوطارى
وألزمتنى عن كره مصائرها — هذا الترحل من دار إلى دار
فارقت بالأمس فتياناً كأنهم — فى الجود إما تباروا خيلُ مضمار
كأنما أرضعتهم أمهاتهم — غيظ العدو وبرّ الضيف والجار
أفدى الأبيض أفدى النازلين بها — مثوى الأكارم أشياعى وأنصارى
شادوا بذكرى ولولاهم لما عشقت — هذى المحافل آدابى وأشعارى
من كل ندب (٢) كريم الطبع ذى خلق — سمح وليس بنمام ولا زارى (٣)
أوفى الأخلاء فى الجلى يضاق بها — ذرعاً وإن هيج فهو الضيغم الضارى
شروا من الحمد ما يبقى وغيرهم — باع الكرامة عن زهد بدينار
لو كنت كابن الحسين (٤) اليوم صغت لكم — ماقد أفاء على بدر بن عمّار (٥)
إن الذى قد كساكم من صنائعه — ثوب الفضيلة عرّاكم عن العار

* * *

(١) عروس الرمال هى مدينة الأبيض لأن أرضها بيضاء رملية وأجمل ماتكون فى أيام الخريف بعد نزول الأمطار فتخضر الأرض وتنبت بها الأعشاب ويكون لأشجارها وخصوصاً التبلدى جمال وروعة

(٢) الندب من الرجال هو الرجل الكامل الأريحى ذو الخلق السمح أى الخلق الكريم

(٣) الرجل الزارى أى الذى يكثر من ذكر معائب الناس

(٤) ابن الحسين المتنبيء الشاعر (٥) بدر بن عمار ممدوح المتنبيء

هل من رسولٍ إلى ليلى[١] فيُبلغها ... عنى تحيةَ إعظامٍ وإكبار
لم أنسها إذ سعت نحوى تودعنى ... استودعُ اللهَ منها خيرَ مختار
فى ليلةٍ لم ينمْ إلا الخلىّ بها ... ألقت على الناس والدنيا بأستار
سعتْ إلىّ وفى لألاء غُرتها ... نورٌ ذوتْ لديه الكوكبُ السارى
فيالها زورةً جاد الحبيبُ بها ... وساعةً تشترى منه بأعمار
وردٌ حبتنا به الجناتُ مؤتلقاً ... من صنع ربك لا من صنع آذار
وقد ظلمناه إن جئنا نشبهه ... بفأرة المسك[٢] أو بالمندل[٣] الدارى
ياقُبلةً ما أحيلاها بهمهمةٍ[٤] ... فيها معانى ابن زيدون وبشار[٥]
فهل لليلاىَ أن تولى الجميلَ بها ... ولو كنُغبةِ عُصفورٍ[٦] بمنقار
مُنّى قضينا ولم نظفر بها ولقد ... كانت ترى وهى منا قيدُ أشبار
ليهنكمُ ياكرامَ الحىّ أنكمُ ... فى جنةٍ بين نُوّارٍ وأنوار
وغانياتٍ كزهر الروض تسمعكم ... سجعَ القمارى بأعوادٍ وأوتار
ياليت شعرىَ هل ينسى الرفاقُ فتًى ... أمسى رهينَ تباريح وأسفار
فاستنبئوا نسماتِ الفجر عن خبرى ... فهى الأمينَ على غيبى وأسرارى
الليلُ بعدكم ليلُ السليم[٧] وما ... ذاك النهارُ سوى نارٍ بإعصار
لاهمَّ إن فاتنى ما قد خصصتَ به ... غيرى من الناس من نُعمى وإيثار
فامنن علىَّ وهبنى منك عارفةً ... وحطَّ مولاىَ عنى ثِقل أوزارى

---

(١) ليلى هذه سيدة مهذبة أديبة نزيلة الأبيض الآن
(٢) فارة المسك أى نافجة المسك
(٣) المندل الدارى : طيب ينسب إلى دارين بلدة بالبحرين
(٤) الهمهمة : ترديد الصوت فى الصدر
(٥) ابن زيدون وبشار : شاعران مشهوران فى الغزل
(٦) نغبة العصفور : مايأخذه بمنقاره من الماء
(٧) السليم هنا هو الملسوع يقال له السليم كأنهم يدعون له بالسلامة .

شمس الملاح

عاد ذاك الحبيبُ بعد جماح[1] راضياً بالذى جناهُ اقتراحى
وسقانى كأسَ الوصالِ دِهاقاً[2] وقد افترّ منه ثغر السماح
ما أبالى بالشمس يوماً وقد با ت نديمى بالأمس شمسُ الملاح
فكأنى وقد طرقت[3] فتاة الـ حىّ أمشى على رءوس[4] الرماح
وترانى مستخفياً بردائى خوف واش ألقاه أو خوف لاح[5]
عجباً أن أُرى الجبانَ وقد كنـ ـتُ قديماً أدعى بكبش النطاح
رشأ[6] يعتزى بمكسور جفن أين منه فعل الجفون الصحاح
ذو قوام كالسمهرى اعتدالا وخدود تحكى شميمَ[7] الأقاح
فانتهبنا إلصاق حرّى بحرّى نتناجى وهصرَ راح براح
صاحِ لو جئتنا وقد أسدل الليـ ـلُ رواقيه قلتَ نضوا كفاح
يده فى حمائل السيف منى ويدى منه فى مكان الوشاح
لم يرعنا فى ذلك الليلِ إلا هَزجُ[8] الحلى أو حفيف الرياح
هذه حالنا إلى أن تبدّى صائحاً فى النوام ديكُ الصباح

---

(١) جماح : فعلها جمح أى استعصى والمراد ركب الحبيب رأسه واستعصى .

(٢) دهاقا : مملوءة مترعة

(٣) طرقت فتاة الحى : المراد زرتها ليلا

(٤) أمشى على رءوس الرماح : يريد الشاعر أن يصف الصعاب التى صادفها وذللها للذهاب الى حبيبه .

(٥) لاح : لائم .

(٦) الرشأ : ابن الظبى .

(٧) شميم الأقاح : مايشم من الأقاح .

(٨) هزج الحلى : حركة حلى الحبيب .

آلام وآمال

ذكر الربوعَ[1] فبات غيرَ مُفيقِ | قلبٌ أسيرُ صبابةٍ[2] وخفوق
ذهب الصبا وهو الحميدُ وماقضى | منه حميدَ مآربٍ وحقوق
ن الهوى لكما علمتَ وطالما | أصمى[3] فؤادَ مشوّقٍ ومشوق
زار الملوكَ وجال فى حُجُراتهم | وأقام بينهمُ مَقامَ صديق
وكذاك ساقَ إلى الفضيلة معشرا | سحبوا ذيولَهُمُ على العيُّوق[4]
بدرَ السماء أرى شقيقكَ صادفى | بالمصميين بنفسجٍ وشقيق
سامرتُ جنح الليل فيك ولم أنل | يابدرُ غيرَ مرارة التأريق[5]
ويهزنى شجن إليك إذا بدا | بالجانب الغربى لمعُ بروق
فكأن دمع محاجرى لما هَمَتْ | مخضلتاىَ[6] مدامعُ الراووق[7]
ولقد ندمت لو ان ذلك نافع | إثر الرحيل ندامة ابن زُرَيق
ولكم نظمتُ من البيان قلائدا[8] | لك زنتها ببدائع التنسيق
وتحيةً حملتها ريحَ الصبا[9] | ممزوجةً برقائق التشويق
ماالبان[10] إما بنتمُ[11] بانٌ ولا | ذاك العقيقُ[12] المشتَهى بعقيق

(١) الربوع: جمع ربع وهى الدار . (٢) الصبابة : الشوق .
(٣) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه (٤) العيوق : نجم يتلو الثريا .
(٥) أرقه : أسهره ، ومرارة التأريق : آلام السهر .
(٦) مخضلتاى : عيناى (٧) الراووق : المصفاة .
(٨) القلائد جمع قلادة : ما يزين العنق .
(٩) الصبا : ريح لطيفة كثيرا ما تغنى بها الشعراء .
(١٠) البان : شجر . (١١) بنتم : فارقتم وبعدتم .
(١٢) العقيق : خرز أحمر جميل .

أوطانكم وطنى وإنَّ فريقكم ... أفديه دون العالمين فريق
ياهل تهبُّ لدىَّ من تلقائكم ... ريحُ الرضا ونسائمُ التوفيق
فأروحُ أدَّرِع الفلاةَ(١) يقودنى ... شوقى الصحيحُ وفعلُ أيدى النوق
وأفيق من جهد الصبابة مبرِداً ... منكم غليلَ(٢) فؤادىَ المحروق
فدواءُ هذا القلب نظرةُ مشفق ... لو تعطفون ورَشفة من ريق
وليهنكم أنى العصىُّ مقادةً ... أصبحتُ بالأشجان(٣) غير طليق
فلذاك بعتُ الروحَ بيع نسيئة(٤) ... لرضاكمو وسلكت كل طريق
وعصيت عذالى(٥) فما أنا فيكم ... بمطيعهم يوماً ولا بمطيق

* * *

ما أعجبَ الأيامَ كم دفعت بنا ... فى ذى الحياة لشدة ومضيق
أنا فى زمان عشتُ فيه بمعشر ... يجزَى الجميلُ(٦) لديهم بعقوق(٧)
مالوا إلى رأى الغوىِّ(٨) فمزقوا ... شمل التآلف أيما تمزيق
منحوه صفو ودادهم دونى على ... ما بيننا من ميزة وفروق
طرحوا المهند للعصا واستبدلوا ... بالأمس تغريدى(٩) لهم بنعيق(١٠)
ياراثدَ الأقوام ويحك فاستمع ... قول الحزامةِ(١١) لامقال الموق(١٢)

---

(١) الفلاة : الصحراء .
(٢) الغليل : شدة العطش .
(٣) الأشجان : الهموم .
(٤) نسيئة : تأخير . (٥) عذالى : الذين يلوموننى فى هواكم .
(٦) الجميل : المعروف .
(٧) العقوق : العصيان . والمراد هنا الاساءة فى مقابلة الاحسان .
(٨) الغوى : الضال .
(٩) غرد الطائر : رفع صوته وطرب به .
(١٠) النعيق : صياح الغراب .
(١١) الحزامة والحزم : ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة .
(١٢) الموق : الحمق مع الغباوة .

هلا برزتَ إذ الحوادثُ جمةٌ ولقد دعوك لها دعاءَ غريق
باتوا بها ضعفى وبتَّ بنجوة طرِباً لمضطرب الوشاح رشيق
ألهاك عن داعى الفضيلة دعوةُ الساقى وصوتٌ من فم الإبريق
ما أنتَ ياهذا بأول جاهل يختالُ بين قميصه المخروق
وظللتَ تعبثُ فى تراث أبيهم عبثَ الجناة بنائل مسروق
لو يعلمون لكان حظك فى الكرى ترديدَ آهات وطول شهيق
دع أسهمى اللائى بَرَيتُ نصالها ياسعدُ من رأىٍ ومن منطوق
وانثر كنانتك (١) التى أعددتها وأبنْ لنا كيفَ اتخاذ الفوق (٢)
وأرح فؤادمن اصطفوك لحلبة (٣) إن كنتَ بالتبريز (٤) جِدَّ خليق
سبق الكرامُ وقد جروا نحو العلا وشُغلتَ بالأعياء والتعريق
خدعتك نفسك ما الكمال بهينٍ ماذا دعاك إلى اقتحام النيق (٥)
لا أكفرُ الرحمنَ نعمتَه فلى فضلٌ بفضل لسانىَ المفتوق
وعجائب العزم الفتىِّ وإنه فى نائبات (٦) الدهر خيرُ رفيق
مالى أُخوَّفُ بالعباد وإنما أمرى إلى الخلاق لا المخلوق
مادمتُ سباقاً فليس بضائرى أبداً مقالُ مُدفَّعٍ مسبوق

(١) الكنانة : جعبة السهام .
(٢) الفوق : موضع الوتر من السهم .
(٣) الحلبة : محل سباق الخيل (٤) التبريز : التفوق
(٥) النيق : أرفع موضع فى الجبل
(٦) النائبات : الشدائد

إياك أعنى (١)

جد بالرضا وارحم حُشاشة وامق … دنف يؤرّقه ائتلاق البارق
لله من ظعنوا وكان قرارهم … بين الضلوع وبين قلبى الخافق
يا من أحبُّ سل الحجا عنى ودع … لمزاهرى صوتَ الغراب الناعق
لم أخلُ من حسد عليك فلا تضع (٢) … متجنياً ود الكريم الصادق
وأنا الذى خلدتُ ذكرك للملا … بالأمس فى ذاك البيان الرائق
قد كان لى فى أصغريك هوًى فلم … تَعبَثَنْ بطهرهما بنانُ السارق
سحقاً له ما رآه قطُّ جميلةً … إلا تخطفها اختطافَ الباشق
عقلٌ تزينُ به لساناً ينبرى … فى الحادثات كذى غُثاء دافق
ندعوك للجلّى فتدفعُ شرّها … وتردُّ عادية العدو الطارق
ماذا دها ذاك البيان وسحره … وأصمَّ أذنك عن دعاء الغارق
عد راشداً وارجع لما عودتنا … وانزع بعيداً عنك ثوبَ المارق
لا أدعى علمَ الغيوبِ وإنما … عندى لها نظرُ اللبيب الحاذق
يا طالب الرزق اتّئد مستيقناً … أن الذى سواك أكرمُ رازق
ما كان للمخلوق فى إيجادنا … رأىٌ ولكنا ابتداع الخالق

---

(١) اياك أعنى المخاطب بها أحد الأدباء الكتاب وهو مشهور بالسودان كان ذا مبدأ سياسى معروف وكان مدافعا شريفا وذا حجة قوية وللناس فيه آمال ، ويقول الشاعر أنى كنت لهذه الخلال التى فيه أحبه الى درجة العشق ، وكنت كلما قرأت الآية . لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ، فأرى بينه وبين الكتاب بوناً شاسعا وأراهم يعيد عليهم لحاقه ، ولكن تقلبت الأيام فرأيت أن هذا الأديب الكاتب انحرف عن طريقه وسلك طريقا آخر لايمت الى الوطنية بصلة فسبحان مقلب الأحوال وسبحان من لايتغير . واليه قصدت بهذه الاشارة « اياك أعنى » .

(٢) لم أخل من حسد عليك فلا تضع ، هذا صدر بيت لابن الفارض أورده الشاعر تضمينا

خواطر

لله صبٌّ معـــذبْ يهوَى الحسانَ ويطربْ
أضناهُ طولُ التصابى وذاكَ أصعب مركب
لم يقض من حب ذات الـــخلخال أيةَ مأرب [1]
هـواىَ إن تسألونى ذاتُ الخبـاء المطنب [2]
رمتْ فأصمت بسهم أعشـار قلب مقلب
قد لاح لى ضوءُ صبح من أفلج [3] الثغر أشنب [4]
يزيد فى العـين حسناً مهما قلى [5] أو تجنب
قلبي رهــينٌ لأحكا م ذى الجمال المحجب
مولى تردى بحسن وبالدلال تجـلبب
يا حاكمَ القلب : لبى نهبٌ لعينيـك فانهب
وفتيـــة نادمـونى يوماً بذات المحصَّب
بيض الوجوه كرامٍ لمثلهم صاحِ فاصحب
من كل شهم ظريف زان البيـاض المشرب
بدرٌ يحفُّ ببـدر وأغلبٌ حـذو أغلب
قد زوجوا ابنـة كرم بابن الغمـام فأنجب

---

(١) المأرب هو الغرض والمقصد (٢) المطنب : المشدود بالحبال والأوتاد
(٣) أفلج من فلج الأسنان وهو وجود مسافات بينها
(٤) أشنب أى ذو شنب ، الشنب : عذوبة ورقة وبرد فى الأسنان .
(٥) قلى : هجر وجفى .

ما لذةُ العيش إلا رضاعُ كأس يقطّب
كأسٌ متى ما حسوه وفى مفاصلهم دب
فما تميمُ بن مُر وما الأميرُ المهلب
وأين منهم وفاءً أبو المكارم مُصعب
سعتْ به ذاتُ دلٍّ فى ثوب وشيٍ مهذب
كَرْخيةُ اللحظ لكن تركية حين تُنسب
فلو رآها ابنُ حُجْر (١) ما هام فى أم جُنْدُب
يحوم بالصدر صِلٌ (٢) ويحرسُ الصدغَ عقرب
كأنّ بالثغر منها برقاً وبالكف كوكب
يا بدرَ تِمٍّ بغصن فى تل رملٍ مركب
صيغت معاصمه من نقيٍ درٍ مذوب
أعلاه إن قام يسعى بدرٌ تغطى بغيهب (٣)
سهمُ الكنانة نحوى من مقلتيك تَصوّب
دنوت فاحتاط كفى منه البنانَ المخضب
لوى لسالفة الظبي ذو الدلال المحبب
أعربتُ عما ألاقى من فرط عشق فأعرب
يا سالبَ الصبر إنى صب (٤) بحسنك معجب
كيف السلوُّ وهذا فضِيٌّ خديك مذهب

(١) ابن حجر : أمرؤ القيس . وأم جندب معشوقته .
(٢) الصل بكسر الصاد هى الحية التى لاتنفع فيها الرقية .
(٣) الغيهب : الظلمة والسواد وهو يشبه حبيبه حين يسعى كأنه بدر يشع من وجهه النور يغطيه ظلام الشعر الاسود الفاحم فاعجب للنور والظلام وقد اجتمعا فى مكان واحد .
(٤) صب : مغرم .

هلا رحمتَ معنًّى (١) على هـواكَ يونب
قلب متى قلت يكفف عن التصابى تأوّب (٢)
وسائل قال ما أحـلى الخندريس (٣) وأطيب
فقلت تعذب لكن ريقُ المليحة أعذب
هات اسقنى يامفدًّى وثلث السّقىَ واشرب
قديمةً لم نخبّرْ لها بأم ولا أب
ظننتُ إذ أفرغوها فى الكأس ناراً تلهب
واذكر طلولا (٤) تعفت وغن بالله واطرب
وقل سقتكِ الغوادى ديارَ هندٍ وزينب
أبدلتِ يامربعَ البيض الآهل اليوم ربرب
لهوت فيكَ زماناً لهواً رغيداً وملعب
قضيتُ أطيبَ عمر فى نعمةٍ أتقلب
لم أدر حتى استقلوا وطائرُ البين ينعب (٥)
وليس فيها علمنا مما قضى الله مهرب
فالآن أقفر (٦) ربعى (٧) وصار رأسىَ أشيب

---

(١) معنى : معذب متعب يلاقى العناء من أجلك
(٢) تأوب : رجع وعاود الكرة .
(٣) الخندريس : اسم من أسماء الخمر .
(٤) طلول : جمع طلل وتجمع على أطلال أيضا وهى الآثار الباقية من الديار التى درست
(٥) ينعب : يصيح ، وتستعمل لصوت الغراب وكانت العرب تتشاءم من صوته اذا نعب وتعده من نذر البين والفراق .
(٦) أقفر : أجدب وصار خاليا من النباتات والخيرات .
(٧) الربع : المنزل والمكان يرتبع فيه .

إن رمتُ وصلَ الغوانى استوهبتُ ما ليس يوهب
شرَّقت مذ شاب فودى وموسم اللهو غرَّب
لولا بياضُ عذارى ما كان برقىَ خُلَّب
عاتبتُ دهرى طويلا وليته اليوم أعتب
وعدَ الزمان أراه من كاذبِ الفجر أكذب
سهمُ المؤمِّل فيه مضللُ السير أخيب
أجوب بالعيسِ سهلا وسبسباً بعد سبسب
هذا فمال زمانى والدهر قد قيل قُلب (١)

واقعة حال

مر يوماً علىَّ ظبىٌ غريرٌ يتهادى كغصن بانٍ تأودْ
قلت هلا نزلتَ بالرحب منا نتناجى فقال لى لم أعوَّد
صدَّ عنى وما برحتُ أعانيه وأرقيه بالرصين المجوَّد
قلت: عطفا فقال: حسبكَ منى أن ذا آخرُ اللقا فتزوَّد

(١) قلب : متغير لا يستقر على حال .

الطرابلسية

مكانكمو إن الفخارَ هو الصبرُ إذا اشتبكت بيض الظبا[1] والقنا[2] السمر

إذا ضاق ذرعُ المرء مما ينوبه فليس له إلا المهندةُ[3] البتر[4]

فما رجل الدنيا سوى من يُعدها لنجدته إن مسه حادث نكرُ

ألا يابني الإسلام هذا حماكمُ وهذاك نورُ الحق فى ضوئه فاسروا

ولا تدعوا فى العود ليناً لغامز كثيرُ الرزايا فى سبيل العلا نَزْر

فإنى أرى الأيامَ تبدو كأنما لها فيكم فى كل شارقة[5] وَتر[6]

أبيحَ حماكم واستهينَ حريمكم وأقوت ديارُ الحق واستُبدل البشر

ولا بد إن لم تجعلوا السيف حاكما تفورُ بكم فى كل آونةٍ قدر

يروم بنو روما طرابلساً وقد غزوها بجيش ضاق ذرعاً به القفر

على غير ما ذنبٍ جنيتم وإنما نفوسٌ لهم أضحى سجيتها الغدر[7]

أثاروا وغى دارت رحاها عليهمُ وراموا بها فخراً ففاتهم الفخر

أعدوا لها من عُدَّة الحرب كلما يضيق به التعدادُ والبر والبحر

وقد جهلوا نصرَ الإله لدينه وما علموا أن الهلالَ هو البدر

وقد زعموا أن سوف ينجحُ سعيهم ولكنه زعمُ الأخاريف والهذر[8]

---

(١) الظبا : حد السيف (٢) القنا : الرماح

(٣) المهندة : السيوف (٤) البتر : جمع باتر وهو القاطع

(٥) شارقة : الشمس تظهر من المشرق (٦) وتر : بفتح الواو الذحل والثأر

(٧) سجيتها : شيمتها .

(٨) الأخاريف : الخرافات والهذر كثرة الكلام فى الخطأ والباطل

وكم غرهم طولُ الإناةِ وحلمكم ... وكم أضمروا شراً فحاق بهم شر
فلما رأوا ما لم يكن فى حسابهم ... وخانهمُ فيها التجلدُ والصبر
وزُحزحتِ الأقدامُ منهم تذرعوا ... بأقوال زور لا يبررها عُذر
أبيدوا فكانوا عبرةَ الناس بعدهم ... وحلَّق فى آثار موتاهم النسر
وقد كان ذاك الثغرُ أسودَ عابساً ... فلاح بريقُ النحر وابتسم الثغر
خذوها بنى الطليان بكراً فانها ... لعمركمو فى بابها الفتكة البكر
ألا إن حزبَ الله قد قدَّم القِرى ... لديكم فإن شئتم فمن مثله فاقروا
كأنكمُ عن حالهم فى جهالة ... تموج بكم أو سدَّ آذانكم وقر [١]
فقد فلَّقوا[٢] بالمشرفية[٣] هامكم ... وَحلَّى بعِقدِ الموتِ نحرَكمُ النحر
وأجلوكم عن ساحة الحرب غدوة ... بطعنٍ دراكٍ ضاق من هوله الصدر
وكم قبلكم سادوا الورى بوقائع ... أبيد بها من قبلكم عسكرٌ مجر [٤]
وقائعُ قد زانت صحائفَ ذكرهم ... كما زان جيدَ الكاعبِ العاطلِ الشذْرُ [٥]
وقد حقق الله المنى فأبادكُمْ ... فهاجت بكم ريح وماج بكم بحر
ألا فاشربوا كأس الجهالة مُتْرَعاً ... على نغم أوتارُهُ الغيُّ والخسر
وإن تجهلوا ما كان من سوء حالكم ... تعالوا فعندى عن مصابكم خبر

---

(١) الوقر : ثقل فى الأذن أو ذهاب السمع .

(٢) فلقوا : من فلق الى كسر عظام الرأس .

(٣) المشرفية : السيوف الجيدة تنسب لمشارف الشام وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف منها السيوف المشرقية .

(٤) المجر : الكثير من كل شىء والجيش العظيم .

(٥) الشذر من الذهب بوزن البحر ما يلقط من المعدن من غير اذابة الحجارة والقطعة شذرة ، والشذر أيضا صغار اللؤلؤ .

هو المركب الصعب الذى تركبونه ... وإن شئتمُ فهو التعسفُ والجور
وكم ساقكم نحو المهاوى اغتراركم ... وكم قبلكم ذاقَ النـدامةَ مغتر
أسائلكم صهبَ[(١)] الأعاجم هل درى ... دمستقكم[(٢)] كيف انطوى دونه الستر
فقد سلبته الحربُ نُطفةَ وجهه ... كما سلبَ المشتاقَ نضرته الهجر
تحجبَ لا يبدو لها خلفَ مضرب ... من الرمل لا يبديه لوم ولا زجر
ولم يدر أن المجدَ والفخرَ كلَّه ... معاطاةُ كأسٍ خمرها الكر والفر
خطبتم لعمرُ الحق من لستمُ لها ... بكفء ولم يوجد لها عندكم مهر[(٣)]
تخرصتمو فى ضمها فأبت لكم ... سيوفٌ رقاق من دمائكم حمر[(٤)]
فبؤتم يمينَ الله من كلِّ صفقة ... بغبن ولا لَبس إذا طلع الفجر
وفرسان حربٍ لا ترى الموت حاجزاً ... ولم يَثنها عن عزمها أنكم كثر
يهيمون شوقاً للطعان كأنهم ... عطاش المهارى[(٥)] قد أضر بها العشر[(٦)]
يذوقون طعم الموت حلواً وسائغاً ... على قدر ما يبدو لكم طعمه المر
همو نشقوا من نحوكم نشرَ[(٧)] عنبر ... فخاضوا بحاراً ينقضى دونها العمر
أراقوا على تلك البطاح دماءكم ... بحكم قضته فيكمُ البيضُ والسمر
فكيف بكم من بعد أن قد ظللتمُ ... يطوف بكم كأسُ الردى المر لا الخمر
وليت الذى أغراكمو شهد الوغى ... لينظر ماذا فيكمُ فعل الدهر
أولئك حزبُ الله جندُ نبيه الـكرامُ إذا استولى على الأنفس الذعر

---

(١) الصهب : الحمر ويقصد الشاعر حمر البشرة (جلد الجسم) .
(٢) الدمستق : القائد من الروم (٣) يريد الشاعر دخلتم الحرب ولستم أهلا لها
(٤) يريد الشاعر أن السيوف من كثرة التقتيل فى الايطاليين صارت حمراء من دمائهم
(٥) المهارى : الابل المهرية
(٦) العشر ... بالكسر : ورد الابل فى اليوم العاشر أو التاسع
(٧) النشر : الرائحة الطيبة

كأنكمو قومُ المدائن حيثما رموا بعصى موسى اللقا بطل السحرُ
ألا يابنى عثمانَ والعرب الألى مضوا وهمو فى الكون أنجمه الزهر
عليكم بإحدى الحسنيين فإنها هى الظفَرُ المبق علاكم أو القبر
فقد بعتمو أموالكم ونفوسكم على الله والأثمانُ عن ذلك الأجر
ألا هكذا سار الأوائلُ منكمُ يعدونه ذُخراً ونعم هو الذخر
وإنى متى أذكرْ طرابلساً وما بها فعلوا بالأمس آلمنى الذكر
نسوا أوتناسوا من نداكم عليهم جميلَ أيادٍ لا يحيط بها حصر
فكم منهم من معشرٍ هامَ سالياً لأوطانه قد هدَّ جانبَهُ الفقر
فجاءوا وكلٌّ الفقر ما اتصفوا به فلما استقاموا بين أظهركم أثروا
إلى الله أشكو هذه النوبَ التى عرتنىَ فيمن لا تنى دائماً تعرو
فقدتُ ثراءَ المال وازور جانبى ولم يبق لى إلا التوجعُ والشعر
هنيئاً لكمُ إذ كنتمُ ذادة الحمى ودام لكم فى كل صالحة ذكر
ولا برحت فى العود جذوة ناره ولا زال يغدو فى صفوفكم النصر

قال أيضاً

عجبتُ لأبناءِ الفرنجة كم عَتَوْا وكم ضيَّعوا فضلَ الثقافة والعقل
أتوا من طريف العلم كل تليدة وجاروا فكان العلم شراً من الجهل
أما كان فينا مهبِط الوحى دونكم وكان بنا مهدُ السماحة والنُّبلِ
رويدَكمُ لا ترهقونا وحاذرُوا
صدوراً من البلوى مَراجلُها تَغْلِى
ولا تجعلوا من شرعةِ البغى شرعةً فتستعجلوا يومَ المقاضاةِ والفصل

بنو أبي

قفوا فى رُبا كانت تحل بها سلمى فإنى أرى هجرانَ تلك الرُّبا ظلما
أسائلُ رسمَ الدار أين ترحلوا وهل أفصحت يوماً لسائلها العجما
على أنه ما كاد يُبقى لمدنف (1) بكاءُ الحياالوسمىّ(2) رسماً ولا وسما
منازلُ كانت للبدور منازلا فأضحت لريم الوحش من بعدها تسمى
وليل كمنقار الغراب أدرعته (3) وما صحبتى إلا المهند والكوما (4)
طرقت به من آل سلمى محلةً شغفتُ بها علّى ألاقى بها سلمى
فيافرحتى لما التقينا فقد جرت أحاديثُ وجد ما استطعنا لها كتما
نزلنا على حكم الصبابة والهوى على رغم عذال لنا أكثروا اللوما
تمتعتُ من لهو شهىّ ومنطق رخيم وخد كدتُ أقطعُه لثما
فما الثغرُ إلا عقد در منظم وما الجيدُ إلا جيد خاذلة أدمى
نعمتُ بها دهراً فحوّل حالَها نوًى قذف قد أعقبت وصلها صرما
وللدهر حكمٌ لا يرد قضاؤه فمن ذا الذى إن شاء رد له حكما ؟
فقد شاء أن أبقى بقوم أفيدهم ودادى وأجزيهم على جهلهم حلما
إذا قمتُ أبنى فى حماهم معاقلا من المجد راحوا يسرعون لها هدما
فلله كم لى فيهم من صنائع جسام وكم حمّلتُ نفسى بهم هما

---

(1) مدنف : دنف المريض كفرح ثقل .
(2) الوسمى : مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات
(3) ادرع : قضى الليل ويريد الشاعر أى لبسته كالدرع .
(4) الكوما : أصلها الكوماء وهى الناقة العظيمة السنام .

أناضل عن أحسابهم فى مشاهد ... يكلفنى فيها طلابُ (١) العلا غرما
وإن مارأوا من حادث الدهر أسهماً ... برمى تمنوا أننى ذلك المرمى
على أن أحشائى تذوبُ عليهم ... حناناً وحتى كدتُ أقضى لهم غما
وما نقموا منى ذنوباً جنيتها ... عليهم ولا عاراً أتيتُ ولا إثما
عذرتهمُ إذ أن شأنى وشأنهم ... لضدان مامن أبصرَ الأمر كالأعمى
ولو شئتُ أن أجزيهم عن صنيعهم ... شغلتُهمُ عنى بداهيةٍ دهما (٢)
وآذنتهم منى بحرب معجل ... وما كنت بالمختار قبل الجزا سلما
ولكن ثنانى عهدُ رب أخافه ... وحفظى فيهم ذلك السيدَ القرما (٣)
أباً طالما أسدى العوارفَ جمة ... إلىَّ وكم بر حبانى وكم نعمى
وعلمنى كيف الوصولُ إلى العلا ... وكيف لها أسعى إماماً ومؤتما
فيارحمة الله اغمرى جدثاً (٤) حوى ... بمرنحَ (٥) فى أحشائه الحزم والعزما
ويابرقُ طالعْ مطلع الفضل والندى ... وقل للسحاب الجون آيتك العظمى
سأصرف وجهى عنهمُ وعزائمى ... إلى نفر غر رضيتهمُ قوما
قرابةُ آدابٍ وإخوانُ حرفةٍ ... أصبتُ بهم من كل عارفة سهما
كرامٌ إذا ما جئتَ قلت محاسن الـ ... ورى نظمتْ فى سلك أخلاقهم نظما
هم القوم إن أدع استجابوا وإن أرد ... معيناً أعانوا إن زمانىَ بى هما

(١) الطلاب : مصدر طالب ، ويقال مطالبة أيضا إذا طلبه بحق — والاسم الطلب .
(٢) دهماء : سوداء لافرد لها .
(٣) القرم : السيد المطاع فى قومه وعشيرته .
(٤) الجدث : القبر
(٥) بمرنح هى البلد التى عاش فيها آباء الشاعر وهى تقع من أم درمان شمالا بنحو ٢٢ ميلا على ضفة النيل الغربية قرب جبل يقال له جبل السلطان .

ودعنيَ من ذكر القرابة إننى ... خبيرٌ إذا ما اغترَّ غيرى بالأسما
تصرفتُ فى حالاتها ووجوهها ... فاخلقتُها لبساً وأفنيتُها علما
فما الخالُ إلا من خلا لك قلبهُ ... وما العمُّ إلا من بإحسانه عما
وكائن رأينا من أخٍ قلَّ خيره ... بطيء عن الجلى[1] كأنَّ به سقما
ضعيفٍ كليلِ الفهمِ أكثر همه ... وأكبره أن لا يجوع ولا يظما
وإن خفَّ قومٌ للمعالى رأيته ... يجوسُ خلالَ الدور للشادن الألمى
وقد عابنى من لايقومُ بمشهدى ... وليس له مثلى الغداة ِ حمًى يحمى
ومن لو هوى نحوى بكل عزيمةٍ
وفى كفه الصمصامةُ[2] العضْبُ ما أدمى
وجاء بأموال التعاويذ والرُّقى ... وأشياءَ أخرى لا أرى ذكرها حزما
يَعُدُّ بها فخراً علىَّ وما درى ... بأنى أرى أمثالَ أمواله عُدْما
ومالأه قومٌ عن الحق فى عمى ... قلوبهمُ غُلفٌ وأذنُهمُ صَمَّا
زعانفُ[3] كراموا التى لو قبلتُها ... لما أوتروا قوساً ولا فَوَّقوا سهما
فصكوا[4] بأمثال الأضاليل سمعَهُ ... وقالوا له أنت المنارُ لمن أما
وراحوا بآمال يُرَجُّونَ نيلَها ... بطائر سعد منه فانقلبتْ شؤما
وكم نعمةٍ لله عندى عظيمةٍ ... حطمتُ بها[5] أنفَ المساجل لى حطما

(١) الجلى : الأمر العظيم والمهم من الأمور .
(٢) الصمصامة : السيف وأصله سيف معدى كرب الزبيدى ويطلق الآن على كرام الرجال ذوى العزمة والإباء .
(٣) الزعانف : رعاع الناس وسخفاء العقول
(٤) صكوا : ملأوا سمعه بالمفتريات والأضاليل .
(٥) حطمت بها : قطعت بها أنف المفاخر والمساجل .

فلا أمنعُ المولى ولا ذا قرابتى ولا الطارقَ المعترَّ معروفىَ الجما
وإن ذكروا حُرَّ القوافى فإننى حرىٌّ بإبراز المحبَّرةِ العَصْما
إذا أنشدتْ فى مَحْفِلِ الفضل عدها لحسن معانيها لسامعها غُنْما
وإن سلمت لى من خصالىَ أربعٌ وقلبٌ جرىء يأنف الذل والضيما
يدى ولسانى والفؤادُ الذى به أطول وعِرضٌ ليس يرضى لىَ الذما
خذوا، أو دعوا يا قوم كلَّ فضيلةٍ فإنى أُرانى عدتُ بالغرض الأسمى

تكريم أمير الشعراء

ياشاعرَ الضاد ياصنَّاجةَ العرَب[١] إسلم لدولةِ أهل الفضل والأدب
واستقبلِ العمرَ لا تعدوك جدّتُه تبلى بها جدّةَ الأيام والحِقَبِ
تدفق الناسُ فيهم كلُّ ذي أدبٍ ممن علمتَ وفيهم كلُّ منتخَبِ
وعندهم لك والتكريمُ رائدُهُم طرازُ وشيٍ من الأشعارِ والخطب
وإنهم لسوارٌ أنتَ معْصَمُهُ دزنتَهْ ورحىً دارتْ على قطب
ما أشرفَ البدرَ محفوفاً بهالتهِ وأجملَ الخمرَ فى عقدٍ من الحبب
فاصدح بوحيك ياشوقى وزف لنا شعراً يقوم مقام الجحفل اللجب
كم جئتنا منكَ بالآياتِ محكمةً ولم تجئنا بمبتورٍ ومقتضَبِ
فان رضيتَ أجزتَ القولَ من ضرب[٢] أو لا أثرتَ القوافى من سَنَا اللهب
فى ذمة الله والتأريخ منك يدٌ طولى وآمالُ شعبٍ فيك لم تخب
ستونَ شدْتَ بها للضاد منزلةً بين اللغاتِ بما أوليتَ من حدَب[٣]
كانت كئيباً فأضحت منك مشرقةً تزهو وكم بين بسامٍ ومكتئب
يا فخرَ مصرَ بماضيها وحاضرها وسعدَ مصرَ بهذا الشاعرِ الأربِ[٤]
ناضلت[٥] عنها فما خانت ولا وهنَت قواك فى غيرِ ما منٍّ ولا صخبِ[٦]

---

(١) صنّاجةً العرب لقب « يقال لأعشى بنى قيس لجودة شعره وخلعه الشاعر هنا على أمير الشعراء وهو ولاشك مبرز فى كل ضروب الشعر ولا ينكر عليه هذه الصفة الا مكابر وان فى مهرجانه الذى أقامته العربية بأجمعها لدليلا على أنه أحق بهذا اللقب وأهلا له »

(٢) الضرب هو العسل ويطلق على كل حلو الطعم .

(٣) حدب على اللغة : أولاها عنايته (٤) الأرب : الفطن اللبق

(٥) المناضلة عن الشيء : المدافعة عنه (٦) الصخب : شدة الصوت وكثرة الكلام

مواقف وقعُها في كل نازلة ... وقعُ السلامة في أحشاء مُضطرب
قم ذكرِ القومَ بالماضينَ ما فعلوا ... واذكرْ لهم كيف كانت دُولةُ العرب
واذكر أميةَ واذكر مجدَ هاشِمها ... والمنعمين بني حمدانَ في حلب
من لا يعابون في حالٍ إذا قدروا ... ولا تُغيرُ منهم سَورةُ الغَضَب
كانت بهم دولُ الإسلامِ في دَعة (١) ... ومن عزائمهم في مَعقِلٍ أشِبِ (٢)
أيامَ قد بسطوا ظلَّ الحضارةِ في الـ ... ـدنيا وجاءُوا لهذا الدهرِ بالعجب
حضارةٌ ما أباحت للضعيفِ حمىً ... ولا أجازت بحالٍ عزمَ مغتصِب
هل من رسولٍ إلى قومي فيُخبرهمْ ... أن لا سبيلَ الى العليا بلا تعب
وأن كلَّ فخارٍ لا يقام على ... دعائم الجد عقباه الى العطب
ألهاهمو زخرفُ الدنيا وما ملكوا ... عن المعالى وما أوتوه من نَشَب (٣)
مستعذبين كؤوسَ اللهوِ مُترعةً (٤) ... ببارد الظلِّ فيه باردُ الشنب (٥)
ظنوا الحصولَ على الألقابِ مكرمة ... والشؤمُ في هذه الألقاب والرتب
والناسُ قد سبحوا بالجوِّ في سفن (٦) ... ترمي بذى شَرَرٍ منها وذى شُطَبِ
غاصوا فلا خوفَ يثنيهم ولا نكرُوا ... في الليل جرجرةَ (٧) الآذيِّ (٨) ذي العبب
يا صادحَ الأيكِ غنِّ القومَ تلقَهمُ ... قوماً إلى نغم العلياءِ في طرب
فسرْ بهم واتخذ من عبقريتهم ... لدى قضية مصرٍ أشرفَ السبب
أرواكمو نيلُها الفياضُ كوثرُهُ ... وأنبتتكُم بها في تُربها الخصب

---

(١) في دعة : في أمن وخيرات حسان (٢) المعقل الأشب : القوى المتين
(٣) النشب : المال (٤) مترعة : ملأى
(٥) الشنب : الحدة في الأسنان مع برد وعذوبة .
(٦) يريد بالسفن هنا الطائرات ترمي بالنار وبالشطب أي بحديد يقطع كالسيوف
(٧) الجرجرة هنا الصوت (٨) الآذى ذى العبب أى البحر ذى الزبد والمتدفق

وانشر لنا فكانُ القولِ ذُو سَعةٍ طوَ الكَ الغرَّ فى أبرادها القُشُبِ[1]
من اللواتى إذا أرسلتَها انبعثتْ كالماءِ للنارِ أو كالماءِ للعشبِ
فكم أثرتَ وكم أحييتَ من هممٍ هامت بمنصدعِ الآراء منشعبِ
واهاً لمصرَ وأوقاتٍ سعدتُ بها لقد تقضَّتْ ولما أقضِ من أرَبِ
يخونني الصبرُ إن غالبتُ دونكمُ حرَّ اشتياقى ودمعاً جدَّ منسكبِ
عندى لكم يدُ فضلٍ لستُ أجحدها يَدُ الزناتىّ[2] مولى العلمِ والحسَبِ
سريتُ فى ضوئه حيناً يُقوِّمُ من عودى ويُفسِحُ لى من صدره الرَّحبِ
وحرمةُ الدين والآدابِ جامعةٌ ولا اعتبارَ لبُعْدِ الدارِ والنسبِ
لولا الحظوظُ وأن اللهَ قاسمُها ما بتُّ أعجزُ عن إدراكِ مطَّلَبِ
لعلَّ فى هذه البلوى تحيقُ بنَا خفىَّ سرٍ وراءَ الغيبِ محتجبِ

---

(١) جمع قشيب وهو الجديد .

(٢) الزناتى هو الأستاذ الكبير الشيخ عثمان زناتى أستاذ اللغة العربية بالمدارس الحربية المصرية ولقد كان الشاعر تلميذا بالمدرسة الحربية انتظم بها سنة ١٨٩٩ وأقام بها عامين كان موضع رعاية هذا الأستاذ ولقد رأى فيه الأهلية للأدب فكان يعطيه القطعة الشعرية من نظمه ويكلفه بحفظها . ويقول الشاعر إن الأستاذ الزناتى ثانى اثنين كانا يحببانى فى الشعر حفظا وانشاء أحدهما أبى . رحمهما الله وبرد ثراهما .

ذكرى حافظ

أبت[١] هذى المنازلُ أن تبينا[٢] ... فقطعنا القلوب بها حنينا
وأرخصنا[٣] بها المهجَ[٤] الغوالى ... دموعاً وانهمارَ[٥] السحبِ جُوناً
فقدنا عندها زُهراً كراماً ... لقد أضحى الزمان بهم ضنينا[٦]
وودعنا بهم غفلاتِ[٧] عيشٍ ... نعمنا فى غضارتهن[٨] حينا
نسائلها ونعلم ما تُلاقى ... من البلوى وتجهلُ ما لقينا
منازل كم بها حاجاتُ نفسٍ ... لقد قُضىَ الشبابُ وما قُضينا
سُقيتِ غيثَ منهلاً أبينى ... لنا وعن الأحبة خَبّرينا
لعلكَ يا جهينُ أصبت علماً ... فقولى نسمع الخبرَ اليقينا
أتَى ريب المنون[٩] فهدَّ ركناً ... بحافظَ لا رعى اللهُ المنونا
هوى صرح البيان ومنذ أودى[١٠] ... فقدنا ذلك الشعرَ الرصينا
ومنبعَ حكمةٍ ومنارَ هدى ... لطلاب العلا والطامحينا
جلا[١١] للناس بالبؤساء سفراً ... فبذَّ[١٢] به الكرامَ الكاتبينا

---

(١) أبت : امتنعت
(٢) تبينا : تفصح وتظهر
(٣) أرخصنا : بذلناها رخيصة
(٤) المهج : جمع مهجة وهى الروح أو دم القلب
(٥) الانهمار : الانصباب
(٦) ضنينا : بخيلا .
(٧) غفلات : الغفل محركة السعة من العيش
(٨) غضارتهن : نعمتهن وحسنهن
(٩) ريب المنون : حوادث الدهر
(١٠) أودى : هلك
(١١) جلا : أظهر وأوضح
(١٢) بذ : فاق

وبرّزَ فى القريض بخالداتٍ نواصعَ فى نحور[١] الخالدينا
قلائد لؤلؤ نظمت رطابا[٢] وحقك ما استعرن ولا سُبينا
من السهل الممنع ليس رخواً ضعيفاً صاغه متشاعرونا
أضاء فأشرقت تلعات[٣] نجد وأقصى الشام وانتظم الحزونا[٤]
أحافظُ طبت فى الأحياء ذكراً وطبت موسداً فى الهالكينا
غدت لك بيننا ذكرى حبيب مجددة مدى الأيام فينا
فإن تنس المواقف وهى كثر ومنها دنشواى فما نسينا
دلفت[٥] إلى العميد بها جريئاً ولم يرهبك سيف الفاتحينا
وقد ملأوا الفضاء بسابحات تنزى[٦] بالفوارس مُعْلَمِينا[٧]
وجيشٍ فى عداد الرمل ضقْنَا به والبحرُ ضاق به سَفِينا
فثار وقد أبى إلا خضوعا له فأبت قَنَاتُك[٨] أن تَلِينا
وحاشا لم تضق بالأمر ذرعا[٩] ولم تَلْقَ الحوادثَ مستكينا[١٠]
وما باليتَ أن نَلْقاك يوماً قتيلَ هوى الكنانةِ أو طعينا

---

(١) نحور : جمع نحر وهو موضع القلادة من الصدر .
(٢) رطابا : ناعمة سهلة الألفاظ (٣) تلعات : مرتفعات أو منخفضات
(٤) الحزن : ما غلظ من الأرض .
(٥) دلفت : تقدمت ونهضت (٦) تنزى : تعدو
(٧) معلمينا : عليهم شارة الفروسية .
(٨) القناة : الرمح والمراد كنت قوى الشكيمة .
(٩) ضاق بالأمر ذرعا : لم يطقه ولم يقو عليه .
(١٠) مستكينا : مستضعفا

أبنت لنا النضالَ وكيف تُصمى[١] سهامُ العزَّل المستضعفينا
فلو قالوا ابتدع[٢] لهمُ مثالاً لقلتُ همُ الكليم[٣] بطورسينا
سعى يرجو من النار اقتباساً فعاد لأهله المولى المكينا
فأنت أفدتنا أدباً غزيراً وعدت فزدتنا الخلق المتينا
طرحتَ أخا السفاسق[٤] مستعيضاً لسانَ الصدق بين الآخرينا
فلم ندمم بنانك فى ضراب ولم ندمم[٥] به اللَّبِقَ المبينا
وصفت به الصبوح فبت تنسى[٦] «ألا هبي بصحنك فاصبحينا»
ولما أن نسبتَ أثرت فينا بسحر بيانك الداء الدفينا
معانٍ لو تأملها الغوانى لذبن هوًى ومِلْنَ لها غصونا
فأنت ولستُ أغلو فخرُ مصرٍ وفخرُ بنى العروبةِ أجمعينا
فإن نظموا لك الذكرى عقوداً فقد ألبستَهُمْ أمس الثمينا
فيا سهمَ المنيةِ أىَّ شهم أصبتَ وأىَّ ذى خَطَر رزينا
سقى الرحمن تربك كل يوم من الرضوان ثجاجاً هتونا[٧]

* * *

---

(١) تصمى : ترمى فتقتل

(٢) ابتدع : استحدث .

(٣) الكليم الخ : يقول ما مثل من تأدب بأدب حافظ وسار على نهجه فى الشعر إلا كمثل موسى صلوات الله عليه ذهب يريد قبساً وجذوة فعاد نبياً . وقراء أدب حافظ أرادوا الأدب فعادوا مع الأدب بأخلاق عالية وشجاعة نادرة .

(٤) السفاسق : السيف .

(٥) ندمم بنانك الخ : لم ندمم يدك تحمل السيف وتضرب به ولم ندمم قلمك حين تكتب .

(٦) تنسى الخ وصفت الخمر فأنسيتنا وصف الشاعر لها فى قصيدته التى مطلعها ... ألا هبى بصحنك فاصبحينا .

(٧) الثجاج الهتون : المطر المنصب جداً

بنى مصر الكرامَ ولا برحتم … مثالا للشعوب العاملينا
سعيتم نحو غايتكم كراما … وذدتم[١] دونها مستبسلينا
تحررتم ونحنُ بشر حال … نكابده ونرسف موثقينا[٢]
وقد نزلت بنا محن شداد … أذاقتنا من البلوى فنونا
أذلت أنفسَ الأحرار منا … فباتوا بعد عزتهم قطينا[٣]
خذوا بيد البلاد فثقفوها … وكونوا فى حوادثها المعينا
أعينونا فنحن بنو أبيكم … لنا حق ونحن الأقربونا
لنا بالدين والفصحى[٤] ائتلاف … وثيق ضم شعبينا قرونا
ونيلٍ فاض كوثَرُهُ فأجرى … بواديه الحياةَ لنا مَعينا
ولستُ بيائس فالله بر … سيبرز ذلك البطل الأمينا
أخا الهمم الذى إن قارعوه[٥] … ودِينَ فليس يعجز أن يَدِينا[٦]
فمن يهوى الحياة ولم يقدر … لها ثمناً يمت كمداً وهوناً
وقد رحبت لذى ظفر وناب … وضاقت بالعجاف المستنينا
أسأنا فهمها فلذا ترانا … نغالط فى الحقيقة حائرينا
ضربنا فى مناكبها اعتسافاً[٧] … فتُهنا فى مجاهلها سنينا

---

(١) ذدتم : دافعتم

(٢) موثقين : مربوطين

(٣) قطينا : أى عبيد وخدم

(٤) الفصحى : اللغة يعدد الشاعر أنواع العلاقة بين مصر والسودان وهى كثيرة وأهمها اللغة والدين والنيل وهناك غير هذه .

(٥) قارعوه : ضاربوه

(٦) يدين : يذل غيره

(٧) اعتسافا : على غير هدى .

رمى الله البــلاد بشر قوم ... تمادوا فى الغــواية خادعينا
أطالوا فى القصور وكيف شيدت ... (تضىءُ حجارةً وتضوع[1] طينا)
نعم هى كالقصور ممردات[2] ... ولو عَقَلوا لأسموها سجونا
وقالوا ذاك أزكاهم طعــاماً ... وذا أندى بعارفة يمينــا
فيا أمل البلاد ومن غدوتم ... لمرتبــةِ الزعامة سابقينا
أهــذا كل ما ترجو بلادٌ ... تعانى الويلَ عمن تعلمونا
وحتى أمس كانت خَيْرَ دار ... تَنُوَمُ وكانت الحرمَ الأمينا
أغذّوا[3] السير وادّلجوا فانى ... أرى حمدَ السرى للمدلجينا
وهبوا من سباتكم[4] وجوزوا[5] ... بنا هذى المفــاوز[6] أو دعونا
لنا عزم وعنــد الله بابٌ ... سنطلبُ منهما الفتح المبينا

(١) تضوع : تفوح وهذه الشطرة تضمين من شعر شوقى رحمه الله .
(٢) ممردات : القصور المردة الملساء .
(٣) اغذوا السير الخ الاغذاذ الاسراع ، يقول للزعماء عليكم بالعمل والجرى وراء الحرية فقد طال سباتكم .
(٤) سباتكم : نومكم (٥) جوزوا : سيروا بنا
(٦) المفاوز : المهالك ، وهنا يريد بها ما يبيته المستعمر من محن وما يضمره من فصل السودان عن مصر حتى إذا تم فصله لا قدر الله فهناك يفصل السودان إلى أمارات وممالك صغيرة ولا يخفى ما فى هذا من موت أبدى .

أحمد الصاوى

• هذه مراسلة بيني وبين الأستاذ الشيخ أحمد الصاوى القاضى

يا ساجعاً فوقَ البِشَامَه[1]   هيجتَ من صبٍّ غرامَهْ
رفقاً فقد ذكرتني   يامُشبِهي طَلَلاً بِرامَهْ
أعفَتْهُ أيدى الحادثا   ت وأبعدتْ عنى كرامَهْ
للهِ صبٌّ راعَهُ   برقٌ بأعلا الشامِ شامَه
أعدى أعاديه الرقيبُ   ولائمٌ فى الحبِّ لامَه
ياليلُ مالَكَ لاتَنى   تَبتَزُّ[2] عن جَفنِي مَنامه
يا ليلُ بدرُكَ آخذٌ   بالأمس من بَدْرى تمامَهْ
واللهِ ما الروضُ العطيرُ   سَقَتْه أنفاسُ الغمامه
والراح فى يدِ شادنٍ[3]   غَنِجٍ[4] يَمُدُّ الىَّ جامَهْ[5]
بألذَّ من وصلِ الذى   قد زُرْتُ فى لَهَفٍ خيامَهْ
حتى انتهيت لِخدْرِه   ونَزَعْتُ عن قمرٍ لثامَهْ

---

(١) السجع هنا هدير الحمام . والبشامة الواحدة من البشام وهو شجر طيب الرائحة يستاك به
(٢) تبتز : تستلب
(٣) شادن : الغزال بعد أن يقوى ويستغنى عن أمه
(٤) غنج من معانى الغنج ملاحة العينين
(٥) الجام : إناء من فضة

قَبَّلت منــه مبْسِماً (١) كالشهد أو ريق المُدَامه
فرَنا (٢) وبات مُطَوِّقاً من ساعدىَّ طوق الحمامه (٣)
فالآن أسرفَ فى التَّجَنُّــب مانِعاً حتى سلامَه
يا هاجرى حَمَّلتَنى من طرفك الساجى (٤) سقامَهْ (٥)
صلْ من صفا لك وِدُّهُ فالحرُّ من يرْعى ذمامَه
ماذا يضُرُّكَ لو منَنْــتَ بزورة تروى أوامَهْ (٦)
ما كان أبْرَدَهَا على كَبِدٍ تنازعنى انقسامَهْ
واهاً لليلٍ كم شقَقْـتُ له بسيف الفجر هامَهْ
يا مُتْهِماً يشتاقُ نجداً أين نجدٌ من تهامه
ولرُبَّ خِلٍ نام عن نَصْرى غفرتُ له أثامَهْ (٧)
أنهضته فى حاجــةٍ من ظُفْرِ حاجاتى قُلامَه
فرجعتُ لم تقْبِضْ يدى رَسَنَ الطِّلاب ولا زمامَهْ
أغْضيتُ عنه وفى الحشا سرٌّ يُطالبُنى اكتتامَهْ
للهِ مَنْ هَدَّ التَّصَبُّرَ ظالماً وفرى سنامَهْ
دهرٌ يَمُدُّ شراكَهُ أبداً ويَبْرى لى سهامَهْ
قضَّيْتُ خمسة أشهرٍ حاولْنَ من جَلَدِى انصرامه

---

(١) المبسم بوزن المنزل الثغر . (٢) رنا اليه : أدام النظر
(٣) كناية عن تمام الإحاطة .
(٤) الساجى : الساكن
(٥) سقامه : السقام المرض ، والمعنى لقد جعلتنى بنظراتك الساكنة الوادعة مريضاً لا أستطيع الفكاك من أثرها .
(٦) الأوام : العطش (٧) الآثام : الأثم . والرسن محركة للجمل كاللجام للفرس

حتّى انبرى المولى الهما ... مُ الشيخُ أحمدُ ذو الشهامه
فأزانَ جيد مطالبي ... وأعارَ حاجاتى اهتمامَهْ
ما الناس إن كشّفتهُمْ ... وعلمتَ من بدءٍ ختامَه
إلاّ ضروب مراتبٍ ... ولكلِّ مرتبةٍ علامهْ
تلقاهُ وهو المُقْتفي ... سننَ الصلاح والاستقامهْ
بينَ اصْطناعِ صنائعٍ ... وبناءِ معروفٍ أقامه
رُفِعَتْ له في جَيش أهل الفضل ألْويةُ الزعامه
إن أنتَ لم ترَ قبلَ ذا ... لَبقاً فَرُح واسمع كلامَه
إن قال شعراً قلت ما ... أحْلَى قريضك وانسجامه
يا حائزاً قصبَ العلا ... يا سيداً أرجو دوامَه
لا زلت في بيت الفضا ... ئلِ والمعالى كالدّعامه
حتّامَ دهرُكَ خالطاً ... بحلالِ منزعِه حرامَه
وإلامَ لا ينفكُّ يُبْدى في ذوى الفضل انتقامه
ولقد أقولُ وفي الحشا ... منى أسى يُذْكى ضرامَه
سبحانَ من قسم الحظُو ... ظَ فلا عِتابَ ولاَ ملامه

المعاهدة

صحا الزمانُ فردَّ اليومَ ما ظلَمَا
وخاب ما ظنَّه الغالى وما زعما
وأظهرَ اللهُ من أمر الكنانة ما
قد كان سراً وراءَ الغيبِ مُكتَتَمَا
ردَّ الحقوقَ وأعطاها طَوَاعيَةً [1]
من كانَ بالأمس مُغْتَزاً ومُحتَكِمَا
حتى غدتْ مِصرُ أرسى من مقطَّمِهَا
ركناً وأرهبَ من كَهْفِ اللَّبَاة [2] حِمَى
خمسون عاماً تَقَضَّتْ وهى تحمل من
جِبْتِ [3] القوىِّ ومن طاغُوتِه لُجُمَا
حتى إذا طلعتْ شمسُ السعود بها
ودبرَ الأمرَ مولى الأمرِ فوقَ سما
أهاب بالمصطفى النحاس فى نَفَرٍ
كانوا له فى طِلَابِ الحقِّ مُدَّعَمَا
باعوا النفوس رخيصاتٍ فما سئموا
مُرَّ النِّضَالِ ولا واللهِ مَا سئِمَا

(١) طواعية : طاعة
(٢) اللباة : كقناة، أنثى الأسد ويقال فيها اللبة واللب
(٣) الجبت والطاغوت : كناية عن سطوة الاستعمار وجبروته واستيلائه على مقاليد الأمور

ما عابهم أنهم أُسدٌ وان حَملَتْ
أيديهمُ الخَيزرانَ اللَّدْنَ والسَّلَمَا
لو كنتَ ثَمَّ رأيتَ البَرَّ مُضطَرِباً
بالدَّارعين وشمتَ البحر مُضطَرِمَا
واستبدلَ الجوُّ عن هامى غمائمه
طيراً أبابيلَ[١] تجتابُ[٢] السَّما زِيَمَا[٣]
فى صورةِ الطيرِ إلا أنها حَمَلَتْ
سَمَّاً وتَقذفُ من مِنقَارِها حَمَما[٤]
مواقفٌ يُعقَدُ النصرُ المبينُ بها
لمَن يكونُ بحَبْلِ اللهِ مُعتَصِما
فَعَادَ مُستَخلِصاً منهم معاهَدَةً[٥]
كالفجرِ يَبدُو فَيَجلو نورُهُ الظُلَمَا
بمحكماتٍ من التبيان فَصَّلَهَا
بالدر منتثراً كالدرِّ مُنتَظِما
وإنها النعمةُ[٦] الكبرى وقد نَزَلَتْ
بالغاصبينَ ومن أذنابهم رُجُماً
فَلْتَجرِ مصرُ بها واليمن فى سَنَنَ
وليخدم السعدُ يُمنَاهُ كما خَدَمَا

---

(١) أبابيل : أى فرقا وهذا يجىء فى معنى التكثير وهو من الجمع الذى لا واحد له
(٢) تجتاب : تقطع مسافات فى سيرها (٣) زيما : أى متضامة بعضها الى بعض.
(٤) حمما : الحمم الفحم . (٥) هى معاهدة ١٩٣٦ .
(٦) كونها نعمة كبرى بالنسبة لذلك الوقت أما الآن فان شعب وادى النيل قد تحدد أهدافه فى الجلاء ووحدة الوادى.

أنعِمْ به ونِعِمَّا السهم سَدَّدَهُ
رَمى فصادَفَه التوفيقُ حينَ رمى

فكان للشرقِ نوراً يُستضاء به
فى الحادثاتِ ومأمولاً ومُعْتَصَما

وحرَّكَ العُربَ فى أقصى جَزِيرَتِهمْ
وهَزَّ طَيْبَتَها الزهراءَ والحرَما

ما فازَ بالمجدِ والعلياء غيرُ فتى
يَلْقى الخطوبَ ويَلْقى الشَّرَّ مبْتسما

* * *

أبطالَ سِيشَلَ أحيا اللهُ ذِكرَكُمُ
من مات مُستَشهِداً منكم ومن سَلِمَا

لا يَحزُنَنَّكمُ(١) حالُ الأُلى سَقَطُوا
صَرْعى الأمانِى وخاضوا فتنةً عَمَمَا

تفيؤا أمس جهلاً ظلَّ غاديةٍ
ليس الكريمَ وليس البارِدَ الشَّبِمَا

ملُّوا السُّرى وظَلَلْتُمْ فى مُكابدةٍ
تخلَّفوا ومشيتُمْ للعُلا قُدُما

* * *

(١) لا يحزننكم : فى هذا البيت والبيتين بعده ينعى الشاعر على الذين وقفوا من النحاس وصحبه موقفاً غير كريم بعدم مواصلة الجهاد والصمود لفظائع الاستعمار فقد استطالوا طريق الحرية فوهنت عزائمهم .

بَنُوا الكنانة ما أشهى الحديثَ بهم
إلى النفوس وما أغلاهُمُ قِيَما
زدني سؤالاً أزِدْك اليوم معرفةً
بهم فما كان ذو جهلٍ كمن عَلِما
ما حيلتي بمُجِدٍّ في غَوايته(١)
يَمشي وَقَدْ زَادَهُ ضوءُ النهار عمى
هُمُ الكرامُ فكم فيهم أخُو ثقةٍ
حلو الشمائل تَنْدى كَفُّهُ كَرَما
يُولِي الجميلَ ويستَهْوِيك عارفةً
كالغيث يمَّمَهُ العافون(٢) حَيْثُ همى
بثُّوا المعارفَ بالسودانِ فازدهرتْ
به وشادوا منار العدل فانتظما
ولا وربك . ما كانوا لَنا أبداً
بقاسطين(٣) ولا كُنَّا لهم خَدَما
حِصْنٌ نعِمْنا به حيناً فَمُذْ لَعِبتْ
يدُ السياسةِ مال الحصنُ فانهدما

* * *

---

(١) الغواية : الضلال .

(٢) يممه العافون : أى قصده ، والعافون جمع عاف ، وهو كل طالب حاجة أو رزق كالمعتفى

(٣) قاسطين : القاسط الجائر عن الحق من القسط بالفتح . وفى هذه الأبيات يشير الشاعر إلى أن بعض المصريين فى الفتح الأخير قد كانوا مخلباً للاستعمار الانكليزى بخلاف أوائلهم الذين خدموا السودان قبل الثورة المهدية فقد كانوا على جانب عظيم من النزاهة والعدل والاستقامة.

لا أُكذِبُ الله . كم جرّعتُ من غُصَص
من بعضهم ولكنْ ذُقْنا بهم ألمَا
فما بنوْا كالذى كانت أوائلُهُمْ
تبْنِى ولا حسَباً صانُوا ولا شَمَمَا
رضُوا من المجدِ أن أثروا فما طَمِعُوا
فى الصالحات ولا ذاقوا لها طعما
جار الزمانُ فجئنا نستجيرُ بهم
من الخطوبِ فكانوا الخصمَ والحكما
وما درى القومُ أنا أولياؤُهُمُ
لسنا السوائمَ بالمرعى ولا الغَنَمَا
لولاهُمْ ما اضطرحْتُ(١) السيف تعرفُهُ
كَفِّى ولا رَضيتُ من بعْدِهِ القلما
سيفٌ تمنَّيتُ أن ألقى العدوَّ به
تحت العَجاجَةِ يوم الروع مُنْتَقِما
ولستُ إن فاتنى حَظٌّ بمبتئس
لعلَّ فى العمرِ الباقى لنا قِسما
عندى لمصرَ وللغُرِّ الكرام يدٌ
والحر من بات يرعى العهدَ والذِّمَما
يا أيها المصطفى يا من نَلُوذُ به
يا خيرَ من ذادَ عن أوطانه وحَمَى

---

(١) لولاهم ما اضطرحت : يشير الشاعر الى بعض زملائه فى المدرسة الحربيــة فقد كانوا السبب فى كراهته للمدرسة وخروجه منها .

دُمْ للكنانة مشكورَ الفَعَالِ ومن
يبخَلْ بشكر على نُعْمى فقد ظَلَما
أرضيتَ ربك . أرضيتَ المليك . وما
أجلَّ قدر ذوى الإحسان عندهما
فاسمع فَديْتُك منى اليوم مَعتَبةً
ولم أكن فيكمُ مذ كنتُ . متهماً
فقد شَجانىَ(١) أن كانت جُهُودُكمُ
وقفاً على مصر والسودانُ قد حُرِما
لنا حقوقٌ وأسبابٌ بكم فتى وصلتموها وصلتم للعلا رَحِما
أدركهُ . أدركهُ حتى لا يضيع وكن
عوناً تجدْ منه فى الّلأواء(٢) خَيْر حمى
سَلْ عنهمُ « وقعة التّل الكبير(٣) » وسلْ
إن شئت من قرأ التأريخ أو رقما
وأنت أدرى بما لاقوا فقد حُصدوا
حصداً وما زحزحوا عن موقفٍ قدما
وانظر إلى النيل فى دُفّاعه(٤) أبداً
ينساب فى مصر لا بُطئاً ولا أمما

(١) شجانى : حزنى (وطربنى) ضد والمراد هنا الأول . (٢) اللأواء : الشدة .
(٣) وقعة التل الكبير مشهورة وكانت بين الانكليز من جانب وبين المصريين من جانب بقيادة عرابى باشا المشهور وكان فى الجيش جنود سودانيون فلما تراجع الجيش المصرى ثبت هؤلاء السودانيون حتى فنوا عن آخرهم ولم ينج منهم أحد كما جاء فى تاريخ الرافعى .
(٤) الدفاع : بالضم . دفعة الموج والسيل ، والمعنى أنظر الى النيل فهو يندفع الى مصر وينساب بغير بطىء ولا مهل .

فان خـــلا لبنى (التَّاميز) لاحتكروا
مَـعِينهُ فاشتهيتـم منه جُرْعة ما
وإن نسيتم فلا تنسوا أسود شرى[١]
تفـنن الدهر فى تشتيتهم ربمـا
سيموا العذاب وأوذوا فى سبيلكُم
عاشوا جيـاعاً وماتوا بالجنوب ظما
بالأمس أغنت يَدَ العافى أكفهُمُ
واليوم أشبعت العِقْبانَ والرخَما
يهفو فؤادى وإنى ما ذكرتهُمُ إلا جرى الدمع من عينّى منسجما
أراقب النجم بالأسحار أنشده عنهم واستخبر الريّان فالعلما

٭ ٭ ٭

فاروقُ قم بجـلال الملك معتصماً
بالرأى وارفع من الشورى لنا علمـا
وكن لمصر . تكن للشرق قاطبةً
بيتاً يطَافُ بركنَيْهِ ومُلتَزما
آباؤك الغرُّ ساداتُ الملوك بنـوا
ملكا قد انتظم النيلين والهـرما[٢]

---

(١) أسود شرى : يعنى بهم الشباب السودانى الذى ثار على الانكليز بالسودان فى حوادث سنة ١٩٢٤ وقد ضرب البعض منهم بالرصاص ونفى البعض الى الجنوب فماتوا هناك ولاذنب إلا أنهم أبوا أن يحنثوا فى يمين عليهم لصاحب الجلالة مليك مصر .

(٢) انتظم النيلين والهرما : هذه عائلة محمد على الكريمة فقد انتظم ملكها وسلطانها النيلين والهرم . فنى عهدهم وأيام ملكهم السعيد شجعوا العلماء وأدروا عليهم الخيرات واكتشفت البحيرات ورفعت عليها الأعلام المصرية وكانت قبلهم مجاهل لاتعرف .

فقتَ الملوكَ وأبنـــاء الملوكِ وقد
ساوَوْكَ نجـــراً ولكن فُتَّهم هِمما
أنت الكريمُ فإما قلتَ مفتخـــراً
أبي وجدي احتجزت المجد مُستَلِما
هما اللذانِ إن استَقصيتَ ما اتصفـــا
به لقيتَ النـــدى والفضلَ حيثُ هما
أو قلتَ من رجُلُ الدنيـــا وواحدُها
مـــدُّوا اليـــك بإعظامٍ يداً وفما
تضوعتْ عن أياديكم شمائلكُم
تَضَوُّعَ الزهرِ حياهُ الندى فَنَما
فكم شهدتُ لدى السودانِ مُجتمعاً
يرْوي حديثَكَ مُرفضـــاً ومُلتئِما
ومسجداً(١) بك معموراً ومدرسةً(٢)
خلَدْتَ بالجـــود يا مولاي بينهما
مكارمٌ خلّد التـــأريخ سيرتهـــا
عَلَّقْتَهنَّ على جيـــد العُلاَ نُظُما
لبستُم التـاجَ تاج الملك مؤتلقاً
ولو قَدِرْنا لصُغْناهُ لـــكم كلِما

(١) أما المساجد فقد أنشئت وعمرت فى عهد هذا المليك الصالح وفى عهود آبائه وقرروا لها مرتبات من النقد والقمح للأئمة والمدرسين .

(٢) كثير من المدارس أنشئت بالسودان فى هذا الزمن الأخيـر . وقبل سقوط الخرطوم أنشئت مدرسة أو مدارس بالخرطوم فتخرج منها علماء أجلاء ولايزال بعض من تخرج منها حياً الى اليوم بالسودان .

البَابُ الثاني

رثاء

رثاء أبي

حي الديارَ وسلْها كيف أرداها[1] ريب الزمان[2] بسهمٍ ما تخطاها[3]
وحيِّ من قدثوَوْا[4] فيها وقل لهمُ يرعاكم الله بالسُّقيا[5] ويرعاها
إن الليالي ذوات الغَدْرِ راعيةٌ ختَّالة ونفوس الناس مرعاها
ماأصبحوا من مرامها على دعَةٍ[6] إلا وأمسوا على خوف بمغزاها
كم يأملُ الناسُ آمالاً فيدهمُهمْ[7] موتٌ يعاجلهم من حيث مأتاها[8]
أما ترى عاديات الدهر[9] قدقلبت ظهرَ المِجَنِّ[10] وأبدت سوءمسعاها
وكان عهدى بها تسطو على مهل واليوم صالت[11] بيمناها ويسراها
بالسيد السند بن السيد السند الرا قى سماءَ فخارٍ عزَّ مرقاها[12]
هو الشريفُ بن نور الدائم بنُ أبي الـهدى الذى نالَ منها ما تمناها
الطيبُ الذى طابت شمائله[13] فحاز[14] من درجات الفضل أسماها[15]

---

(١) أرداها : أهلكها (٢) ريب الزمان : حوادث الدهر .
(٣) ماتخطاها : أى ما أخطأ إصابة الهدف (٤) ثوى : أقام
(٥) يرعاكم الله بالسقيا : دعاء بالخير (٦) الدعة : الهدوء والسكينة
(٧) يدهمهم : يفاجئهم (٨) من حيث مأتاها : أى يأتيهم الموت من حيث كانوا ينتظرون تحقيق آمالهم .
(٩) عاديات الدهر : أحداثه (١٠) قلبت ظهر المجن : تنكرت له
(١١) صالت : وثبت (١٢) مرقاها : درجاتها
(١٣) شمائله : خصاله الحميدة (١٤) حاز الموضع : سلكه وسار فيه
(١٥) أسماها : أعلاها وأرقاها

من كان جيدُ[١] الليالى قبل نشأته عطلاً[٢] فكان لها عقداً فحلاها
تعشقته المعالى نطفةً فلذا قبلَ التمائم آختته وآخاها
به الفضائلُ ماسَت فى مطارفها[٣] زهواً وأبدت من البشرى ثناياها[٤]
فحض[٥] الرشد[٦] للغاوى[٧] وأوضح[٨] من محجة[٩] الحق للقصاد أهداها
لو أن من حلمه مثقالَ خردلة من فوق مضطرب الأمواج أرساها
يزيل عن مشكلات العلمِ منطقُهُ براقعَ الوهم عن زاهى محياها
وإن تكلم فى علم السلوك له فيه عباراتُ ذوقٍ ما أحيلاها
سلوا مآثره هذى فإن لها خبراً فهل جاءَ ذو فخر فساماها
واستنبئوا الليلَ يورى عن مساجده فإنه طالما فى الله أدماها
دعاه مولاه محبوباً على عجل لمقعد الصدق فى المأوى فلباها
واستخلصتْ روحهُ الأملاكُ يقدمها الروحُ الأمين لعليين مسراها
يا دهرُ جرعتنى من فقده غصصاً قد كان إن نزلت سوحى تولاها
ما نالنى سوء أيامى وجئتُ إلى حماه إلا أتانى حسن عقباها
لله أشكو زماناً من تقلبه أقرَّ عينى به واليوم أبكاها

---

(١) الجيد : العنق (٢) عطلا : خاليا مما يحلى به .
(٣) ماست : تمايلت . مطارفها : المطارف أردية من خز مربعة لها أعلام
(٤) الثنايا : مقدم الأسنان . والمراد أن الفضائل والمكرمات تمايلت محلاة بأردية المجد الذى يزينها
(٥) محض : أى أخلص
(٦) الرشد : النصح (٧) الغاوى : الضال
(٨) أوضح : بين (٩) المحجة : الطريق

فازورّ[١] جانب حصنى[٢] بعد منعته[٣] ... وساورتنى[٤] الرزايا من خباياها
ياشمس ملةٍ خيرِ الخلق كم منن[٥] ... بفقدك اليومَ فى الدنيا فقدناها
قد كنتَ مصباحَ هدى يستضىء به ... فى غيهب[٦] السير قوم راقبوا الله
أعطاك ربك فلك[٧] العلم ترسف فى ... طوفان صدرك مجراها ومرساها
رباك فى حجر طهرٍ من عنايته ... والروحُ منك[٨] بمحض[٩] السر غذاها
وألهم اللهُ نفساً منك زاكيةً[١٠] ... فجورها[١١] فى مراميها وتقواها
لذا حللت من العلياء غايتها ... ومن مقامات حال القرب أسماها
رضعت من ثدى أخلاق النبوة فى ... مهد السلوكِ كثيراً من مزاياها
وقد تجلت بطور الشرع نارُ هدى ... فكنت يا سيد الأبرارِ موساها
سُقيت من حانة التقديس كأس طلاً ... فهام كل فتىً من طيب ريَّاها
سموت[١٢] ياجبهة التقوى وغرتها[١٣] ... فنعل نحرك فى أعلا ثرياها[١٤]
لا قرَّب الله أيام النوى[١٥] فلقد ... راحت بنا وهى تحدو من مطاياها
استمنح الله أجر الصابرين على ... جليل رزئك[١٦] يامن قد علا جاها[١٧]

---

(١) أزور : تصدع
(٢) الحصن : جانب الحماية
(٣) المنعة : القوة
(٤) ساورته الرزايا : خالطته المصائب
(٥) منن : جمع منة وهى العطاء
(٦) الغيهب : الظلام
(٧) الفلك : السفينة
(٨) الروح منك : المقصود بها هنا نفس الشخص
(٩) محض : المحض الخالص الصافى
(١٠) النفس الزاكية : النفس الطاهرة
(١١) الفجور : ضد التقوى .
(١٢) سموت : علوت وارتفعت
(١٣) غرة كل شىء : أوله
(١٤) الثريا : نجم فى السماء
(١٥) النوى : البعد
(١٦) الرزء : المصاب الجلل
(١٧) الجاه : المنزلة الرفيعة

ولو تُفدَّى لبادرنا بأنفسنا ريب(١) المنون ولكن ما وجدناها
مضى لحال رفيقيه(٢) اللذين هما أحبارُ أمةِ خير الأنبيا طه
لكنه إن يغب عنا فما برحت فينا كرامته العظمى وبشراها
أو غاض(٣) فى الترب بحر الجسم منه فما غابت جواهرُ رشد قد عرفناها
أبثُّ(٤) لله أحزانى التى عظمت وحر نارٍ شديد الشوق أذكاها(٥)
واستدرُّ على ترب تضمنه من صوب سارية(٦) الرضوان أرواها
تُرْبٌ هى الجنة المأوى لنازلها أعظم بساكنِ جناتٍ وسكناها

---

(١) ريب المنون : المقصود به الموت (٢) يعنى أباه وجده
(٣) غاض : قل (٤) أبث : أشكو
(٥) أذكاها : ألهبها (٦) صوب سارية : انسكابها .

آمـــال

يامخبرى بحديث أهلِ البان ومروِّحى بالجزع من نَسْمان
أعِدِ الحديثَ فدتك نفسٌ مولَعٍ يبكى الطلولَ [1] بمدمعٍ هتّان [2]
بالله هل وادى العقيقِ وماؤه الــعذبُ الزلالُ وضالُه المتدانى
كالعهد زاهٍ زاهرٌ أم غيرت منه السنونُ وطارق الحدثان [3]
قسماً بعهد لم أخنه ومنتدًى سامرتُ فيه أحبتى وزمانى
إن حقق اللهُ المنى [4] وتبدلت [5] تلك النوى [6] ورجعتُ للأوطان
لأجدنَّ من المشاهد روضةً غنَّا وأسقيها بدمع قان [7]
واهاً [8] على أيامىَ القُدُمِ التى أرخيتُ فيها من فضول عنانى
أيامَ كنتُ مسامراً [9] شمس الضحى
والبدرُ والأفلاكُ [10] من نُدْمانى [11]
يا بالى [12] الأطلال [13] قل لى هل درى أهلوك أن الشوق قد أبلانى [14]

---

(1) الطلول : الآثار
(2) هتان : غزير
(3) الحدثان : الليل والنهار
(4) المنى : جمع أمنية وهو ما يتمناه الإنسان
(5) تبدلت : تغيرت
(6) النوى : البعد
(7) قان : غزير قاتم
(8) واها : كلمة للتألم
(9) مسامراً : محادثا ليلا
(10) الأفلاك : جمع فلك وهى النجوم
(11) ندمانى : جمع نديم وهو صديق الشراب .
(12) يابالى : يخاطب ما اندثر وهلك .
(13) الأطلال : وهى الآثار الباقية من المنازل .
(14) أبلانى : من البلى وهو الفناء

إنى حملت من الصبابة والأسى ... ما ليس يحملُ مثلَه الثقلان[١]
لو كنتَ شاهدَنا عشيةَ ودعوا ... وحدا[٢] الظعائنَ سائق الأظعان
ورأيتَنى أمشى وراء حُمُولهمْ ... ورأيتَ سكب[٣] الدمع من أجفانى
لعلمت أن لواءَ أربابِ الهوى ... بيدى وأنى لا أُقاسُ بشان
حملَ النسيمُ نسيمَ نجدٍ مرةً ... فى طيــه منكم إلىَّ معانى
فيها طرائفُ من محاسن ذكركم ... لى ما أحيلى وَقْعـها بجنانى[٤]
أصبحتُ من شرف انتسابى بعدها ... علماً[٥] أتيه بكم على الأكوان
قد كان أقرانى[٦] بحب جنابكم ... كثراً[٧] وأما اليومَ مَنْ أقرانى ؟
لا درَّ درَّ[٨] الحادثات فإنها ... هدّت صروحَ[٩] وقاية وأمان
نزلت على آلى فأخلت دورهم
وسَلوت[١٠] بعد نزوحهم[١١] سلوانى[١٢]
حطت بسوح أبى . وشيخ عشيرتى ... عبدِ المجيدِ مدير أهلِ الحان
وأمين دين اللهِ خازن سره ... محمودِ مصباح الهدى الربانى
فأولاك هم بصرُ الزمان وسمعهُ ... وهمُ لأهل الفضل كالعنوان

---

(١) الثقلان : الإنس والجن
(٢) حدا الظعائن : جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج وأطلقت هنا على الإبل .
(٣) سكب الدمع : انسكب أى انصب .
(٤) جنانى : قلبى (٥) علما : أى مشهورا كالجبل
(٦) أقران : جمع قرن وهو الند للانسان .
(٧) كثرا : أى كثير عددهم (٨) لادر در الحادثات : أى لا كثر خيرها
(٩) الصروح : جمع صرح وهو كل بناء عال .
(١٠) سلوت الأمر : نسيته (١١) نزح عن الدار : ابتعد عنها
(١٢) سلوانى : السلوان : النسيان .

وسموا الزمانَ وذللوا من صعبه ... وأتوا به ما ليس فى الحسبان
بمعارفٍ وعوارف قدسيةٍ ... كالشمس لا تخفى على انسان
لم يختلف فى فضلهم وكمالهم ... أبداً على مر العصور[١] اثنان
نزلوا على حكم الليالى بعد أن ... كانت تُرى منهم بحال العانى[٢]
ودعوتُ إخوانى وأين مكانهم ... منى ألا لهفى[٣] على إخوانى
لله قلبٌ فى المقطم[٤] بعضُهُ ... والبعضُ منه فى ذرى[٥] حلوان
ومتى ذكرتُ من الجلال جلالَهُ ... وعظيمَ برٍّ منه لى وحنانَ
وثلاثةً خلفَ الطريق بمرح[٦] ... هاج الهوى وتحركت أحزانى
فتسابقوا نحو الممات بجمعهم ... كتسابق الأجياد يوم رِهان
قد ذكرونى حين كانوا فى الدنا ... يتسابقون لطالبي الإحسان
خَفِّض حمامَ البان عنك وخلنى ... وحدى أنوحُ على أهيل البان
كم بين مشتاقٍ ينوحُ ومدعٍ ... للشوق يصطنع البكا ويعانى
فبقيتُ بعدهمُ أعانى[٧] جيرةً ... يا شدَّ ما عانيتُ من جيرانى

---

(١) العصور : الأزمنة

(٢) العانى : الأسير الخاضع الذليل ، والمراد من هذا البيت أن آله نزلوا على حكم الزمان ورضوا بما جاء به من أحداث ، وقد كانت الليالى طوع أمرهم كالأسير الخاضع الذليل يأمرونها وتأتمر أى يسخرونها ويملأونها بالفضل والمكرمات

(٣) ألا لهفى : تحسر وحزن (٤) المقطم : جبل شرقى مدينة القاهرة

(٥) ذرى : أعالى والمراد أن قلبه لفرط تعلقه بآله الذين احتوتهم تربة مصر فى جبال المقطم وأعالى حلوان كأنه قطع قطعا مع كل طائفة منهم قطعة .

(٦) بمرح : اسم بلدة .

(٧) أعانى : من المعاناة وهى شدة الاحتمال للمكروه . والمراد أنه بعد ذهاب آله تنكرت له جيرته ونسوا ما كانوا يلقونه من أهله من بر ومكرمات ، واستبدلوا بالفضل منقصة وبالإحسان إساءة وهو يحتمل فى هذا منهم الكثير .

في كل يوم والحوادثُ جمة(١) يتطلعون(٢) لمخبرٍ ينعانى(٣)
إن ينكروا فضلي وعظمَ تفوقي وجميلَ سعيي للعلا ومكاني
ما بالهم قصروا وطلت عليهم وسبقتُ مرتاحاً إلى الميدان
وتركتهم تكبو بهم هماتهم يتسكعون بذلةٍ وهوان
ولكم أتيتُ من القريض بآية كبرى تزينُ مواضعَ التيجان
يا سعدُ قل لهم الغداةَ ليدعوا أدبي وعقلي أو يدي ولساني
بأبي ومن كأبي . افتخرت وفتكم بالزهر أعمامي أمانِ الجاني
فلئن زعمتم أن فيكم مثلَهم قولوا فلانٌ في كمال فلان
فأولاك آبائي الذين بطولهم طالت يدي وسموتُ من ساماني
وبهم نطحتُ اليوم أبراجَ السما وعلا على نهر المجرة شاني
سادوا وشادوا(٤) صرح(٥) مجد باذخٍ(٦) بالمكرمات مُثَبَّتِ الأركان
والغيرُ في بحر الغوايةِ(٧) سابحٌ أبداً يهدمُ ما بناه الباني

---

(١) جمة : كثيرة

(٢) يتطلعون : يترقبون

(٣) ينعاني : يأتيهم بخبر وفاتي ، والمراد أنه كثرت حوادثهم حتى لايخلو يوم منها ، بل يترقبون الناعي يأتيهم بخبري

(٤) شادوا : بنوا ورفعوا

(٥) الصرح : البناء العالي المرتفع

(٦) باذخ : البذخ الترف والمقصود بجد واسع مملوء بالمكرمات .

(٨) الغواية : الضلال

هم صيروا نهج[1] الهداية واضحاً للطالبين قصيهم[2] والدانى[3]
نظروا إلى الدنيا بعين بصيرة فتحولوا عن ذا الوجود الفانى
مالى أحاولُ من مآثر فضلكم ما بعضهُ فى العد قد أعيانى
ها كم عقوداً قد نظمت جمانها من درٍّ أجفانى ودرٍّ بيانى
استمطرُ الرحمنَ جلَّ جلالُهُ
وهو الكريمُ سحائبَ الرضوان
لتزورَ طاهرَ بقعةٍ شرُفت بكم فترودَكم بالروحِ والريحان
يا أهلَ ودى ليت من جعل النوى
حظى ومن سلب الذى أعطانى
لمَا أدارَ عليكمُ وسقاكمو كأسَ المنية بالكبير سقانى
أما وقد عزَّ المزار فهذه عينُ الإله تراكم وترانى

(١) النهج : الطريق الواضح البين .
(٢) القصى : البعيد .
(٣) الدانى : القريب . ومعنى هذين البيتين أن آله رفعوا صروح المجد وسادوا قومهم بما بذلوه من مكرمات ، وثبتوا بجدهم هذا ، بينما غيرهم يسبح فى بحر الغواية والضلال دائماً أبداً ويهدم ما بناه غيرهم من البنائين للمجد .

محمد البدوى

مرثية فقيد الإسلام الشيخ محمد البدوى شيخ علماء السودان

فقد الكرام كرامِ أمة أحمد   خطب يهد عزيمة المتجلد [1]
قف بى أخىَّ على طلولهم [2] ولو   مقدار وقفة ناشد أو منشد
اقضى بها حق الوداد على فى   عرصاتهم [3] وأبلُّ من نقع الصدى [4]
لله عبرة مدنف [5] مهما يقل   لشؤونه [6] كفى انهمالك تزدد
أمسيتُ فى أرق وطول تفكر   يا سعد هل لمؤرَّق من مسعد
يا دهر قد ألفتْ خطوبك ساحتى   وأراك تنظرنى بعين الأرمد
ولئن تناصبنى العداء مغاضباً   فالدهر للحر الكريم بمرصد
مات الإمام محمد البدوى من   أحيا لنا شرع النبى محمد
قطب العلوم المحتبى بردائها   وببردها يومَ المشاهد مرتد
كان المديد الظل والحامى حمى السودان   شاهد دعوة المستنجد
قد ظل فى ذات الإله يساجل الأ   هوا بسيف للهدى لم يغمد
ما عاقه عزم الضعيف ولم تخن   مسعاه همة عاجز متبلد
فكأنه العذب الفرات لمهتد   وكأنه الملح الأجاج لمعتد

---

(١) الجلد : الشدة والقوة ، وتجلد : تكلف الجلد .

(٢) الطلول : جمع طلل وهو الشاخص من آثار الديار .

(٣) عرصات : جمع مفرده عرصة ، العرصة الفضاء بين الدور .

(٤) الصدى : العطشان   (٥) المدنف : الذى لازمه المرض

(٦) الشئون : مجرى الدمع .

حتى استقام الحقُّ بعد غوايةٍ(١) طالت وغيم جهالةٍ متلبد
قد ضم بين جوانح محشوة حلماً فؤادَ مجرب ومسدد
لم يسترح للمدح بل لم يرض من دنياه إلا بالكفاف السرمدى(٢)
أغناه عن صفو الحياة وزهوها فى اليوم ما يجنيه من ثمر الغد
لم يأل فى نصح العباد ورشدهم جهداً ولم يك فيه بالمتردد
مَنْ للضعاف ومن يكافح عنهمُ بطش القوى وجورَ(٣) دهرهم الردِى
يتلهفون أسى عليه وقد رأوا من حادث الأيام ما لم يُعهد
كشف النقاب عن العلوم فزفها خوداً(٤) تفوق على الحسان الخرَّد(٥)
من للعلوم جميعها ولفقه ما لكٍ الإمام وللحديث المسند
وبيانها وبديعها وأصولها والمنطق المتعسر(٦) المتعقد
قد كنتَ نور معارف يعنو إليـه فراشُ لبٍّ الحائر المسترشد(٧)
قد سودته خلائقٌ بيض بها يسمو لأبعد غاية لم تنشد
ونواظرٌ(٨) قد زانها بمراود السـر الطويل المر لا بالإثمد(٩)
ما ارتاب حتى زار آخر مرقد قد ضمه سَقياً(١٠) لذاك المرقد
إنى أعزى كل أمة أحمد بمصيبة الحبر الإمام محمد

---

(١) الغواية : الضلال (٢) السرمدى : الدائم
(٣) الجور : الظلم . (٤) الخود : المرأة الناعمة
(٥) الخرد : جمع مفرده خريدة ، المراد البكر التى لم تمس .
(٦) المتعسر : مايصعب استخراج معناه (٧) المسترشد : الطالب للرشد والهداية
(٨) النواظر : المراد العيون (٩) الإثمد : حجر للكحل
(١٠) سقياً له : دعاء له بالسقيا .

ياضيفَ أكرم من قرى[١] رح في رضا مولاك للحسنى وصدق الموعد
أدناك ربك واصطفاكَ لقربه وهى انفرادك بالمقام الأوحد
قد زينت لك دورٌ أشرف مقعد وقصورُه وكثيرُ حور نهد[٢]
ونزلتَ أكرم بقعة قد خصها بك ربها بحلول سعد الأسعد
قسمتَ وقتك بين تدريس وبـين ترحم وتعطف وتهجد[٣]
وسلكت درب أولى الزهادة والتقى حتى اقتدى بك كلُّ صب مقتدى
أقدمت إقدام الكرام وقمت فى مرضاة ربك ساهراً لم ترقد
قد حزتَ من كل الفضائل قسمة تركتك ترفل[٤] فوق هام[٥] الحسد
وعلو نفس لو حكيتُ نظيره وهو المحال قرنته بالفرقد[٦]
عذراً لمن لم يحص غرَّ مناقب ومتى يحم حول النهاية يبتدى
قد كنتَ شمس هدًى وضوء معارف وعظيم مكرمة وعذب المورد
واجتزت معترك الحياة وأنت فى سفن النجاة ببحر علم مزبد
تبكيك بالدمع المورد أمـةٌ باتت بحزن فى الفؤاد مجدد[٧]
ومعاهد كانت بكم مأهولةً[٨] أمست كباقى الوشم[٩] فى ظهر اليد

---

(١) قرى الضيف : قدم له الطعام . المراد بأكرم من قرى الله سبحانه وتعالى
(٢) النهد : جمع ناهد والناهد التى كعب ثديها .
(٣) التهجد : قيام الليل
(٤) ترفل : تتبختر وتختال (٥) هام : جمع هامة والهامة الرأس
(٦) الفرقد : النجم الذى يهتدى به (٧) مجدد : متتابع لاينقطع
(٨) مأهولة : عامرة .
(٩) الوشم : الأثر الذى يحدثه غرز الإبرة ووضع مادة خاصة .

أحوادثَ الأيام ما أبقيتِ لى جلداً[١] على نوب الزمان[٢] الأنكد
أُبعدتُ عن ماء الكرام فصرت انـــثرُ حرَّ دمع للطلول معبد
ياسيداً ترك الحياةَ مؤججاً بحشاىَ جمرةَ لوعة لم تخمد
قد كنت تحبونى[٣] الجميلَ مردداً[٤] وتجل منزلتى وترفعُ مقعدى
فعلامَ لا أبكى الدموع دماً إذا ما غبتَ عنى فى ضريح موصَـد؟[٥]
نفسى تغالطنى كأنك لم تمت وهواىَ أن تبقى بعمر مخلَّد
يا سبتُ قد أذكرتنى سبت الحســين وكنت ثانىَ يومه المتفرِّد
قسماً لقد هدَّ الزمان بموته صرحَ[٦] العلوم وزهر روضتها الندي
وتقلص الظلُّ الظليلُ وكورت شمسُ الكمال وغاب بدر السؤدد

---

(١) الجلد : القوة
(٢) نوب الزمان : مصائبه
(٣) تحبونى : تمنحنى
(٤) مردداً : مستمراً
(٥) موصد : مغلق
(٦) الصرح : القصر

وَا آسِفا على يُوسُف *

دعانى إنّ قلبي اليومَ سالى[1] دعانِى مالعــذّالى[2] ومالى
نفضتُ يدى[3] فما أنا ذو شباب أُسرُّ به ولستُ خلىَّ بال
أبعدَ الأربعين وقد تلتها ثلاثٌ وهى مرحلةُ الكلال[4]
أُعاطى الراح[5] أو أردُ التصابى[6] فما عذرى الغداةَ[7] وما مقالى
وما طيبُ الحياة لذى مقامِ على مضض[8] وحالٍ غير حال
تجاذبهُ الصفا نوبٌ[9] الليالى وكم يحدو أواخرَها الأوالى
لحاكِ اللهُ[10] من ليلات هجر عراضٍ فى تجنّيها طوالِ
فمن يجهلْ مساعى الدهر إنى عرَفتُ الدهرَ معرفتى بحالى
أُساجله[11] فيرمينى وأرمى فلا أنفكُّ عمرى فى نزال[12]
وبِى وله إذا حققتَ ثأرٌ كلانا من سعير[13] الغيظ صال[14]
سلامُ اللهِ لا يعدو عراصاً[15] نعمتُ بها وأيامى الخوالى[16]

---

* هو المرحوم الشيخ يوسف بدرى التاجر المشهور وصديق حميم للشاعر

(1) سالى : ناس من النسيان

(2) عذالى : لائمى

(3) نفض يده : تخلى عنه

(4) الكلال : الاعياء والتعب

(5) الراح : الخمر

(6) التصابى : ضرب من الشوق

(7) الغداة والغد : اليوم القادم

(8) مضض : وجع وألم

(9) نوب : جمع نائبة وهى المصيبة

(10) لحاك الله : أى قبحك ولعنك والمقصود الليالى

(11) ساجله : فاضله

(12) نزال : نضال

(13) سعير : نار

(14) صال : مكتو

(15) العراص : جمع عرصة وهى البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء .

(16) الخوالى : الماضيات .

عراصٌ ما ذممتُ العيشَ فيها عرفتُ بها الأخَ الحسنَ الفَعال
أخ أودى[١] فجاءتني الرزايا[٢] كما نشطتْ وحقّك من عقال[٣]
وثقتُ به فكان لدى عوناً يوالى[٤] بالمودة[٥] من أُوالى
أنادى : ما ليوسفَ فى سُبات وكيف يجيبُ من تحت الرمال !!؟
مضى ففقدتُ من لو كان حياً لما باليتُ مِن أن لا أبالى
سموتَ إلى العلا وكفاكَ فخراً بأنك بالسجايا[٦] الغرِّ حال[٧]
كأنك قد ملكتَ لكل قلب بما أُعطيتَ من ذاك الجلال
كأنك للنوائب حين تدعى فرندٌ[٨] زانه حسنُ الصقال[٩]
ذكرتُ خلائقاً[١٠] لك أذكرتنى فتيتَ المسك أو نشرَ[١١] الغوالى
وبشراً بالعفاةِ يكاد يحكى رُواء[١٢] البدر فى شرف الكمال
فتؤثر[١٣] من يسود[١٤] بفضل عقلٍ
على من سودته[١٥] فضولُ مال[١٦]
وأعدى[١٧] ما تكون لذى طباعٍ يُرى فيها التفاخُرُ والتعالى

---

(١) أودى : مات
(٢) الرزايا : جمع رزية وهى البلية
(٣) العقال : القيد
(٤) يوالى : من الموالاة وهى ضد العداوة
(٥) المودة : المحبة
(٦) السجايا : الخلال
(٧) حال : متحل بها ومتزين
(٨) الفرند : وشى السيف
(٩) الصقال : اللمعان
(١٠) خلائقا : طبائعا
(١١) النشر : الريح الطيبة
(١٢) الرواء : البهاء
(١٣) تؤثر : تفضل
(١٤) يسود : يتميز ويرتفع
(١٥) سودته : جعلته سيداً
(١٦) فضول مال : زيادة المال والغنى
(١٧) أعدى : أى تكون أكثر تباغضا وعداوة .

على الدنيا وقد أضحت خـلاءً سلامٌ فهى أخلقُ بابتذال[1]
كرامُ الناس للدنيا جمالٌ وما حظُّ الفتاة بلا جمال
ولم أر مقسطاً[2] كالموت يملى على التأريخ أقداراً[3] الرجال
عجبتُ من الألى قدماً أداروا بيأسهم[4] رحى[5] الحرب السجال[6]
فما تركوا التريك وقد أعدوا دروعاً[7] تُرتدى[8] يوم النضال[9]
يريدون الحياةَ فلو تراءت على جبلٍ لطاروا بالجبال
ولو كان الحِمامُ[10] شبيهَ ماء لما شربوه إلا باجتيال
وأنت فدتك نفس أخٍ وفيٍّ مشيت اليه مِشيةَ ذى اختيال[11]
شربتَ الكأس كأس الموت صرفاً[12]
فكنت رديف[13] أينُقه[14] العجال[15]
كأنك واجدٌ فيها تمانى[16] لذاذةَ شاربِ الماء الزلال[17]
رعى الله المهيمنُ نفسَ حر يحاذر عيشَ ذى عرض مذال[18]
رأى أن ليس فى الدنيا بقاءٌ وأن العالمينَ إلى زوال

(١) الابتذال : الامتهان والتحقير (٢) مقسطا : عدلا
(٣) أقدار : آجال (٤) بيأسهم : بقوتهم
(٥) الرحى : العجلة تدور والمقصود اشعال نار الحرب .
(٦) السجال : المستمرة .
(٧) الدروع : تلبس للوقاية عند الحرب وهى تصنع من الحديد وتغطى الصدر والبطن
(٨) ترتدى : تلبس (٩) النضال : الحرب
(١٠) الحمام : الموت (١١) اختيال : عجب وكبر فقد انتحر بأن ضرب نفسه بالرصاص
(١٢) صرفا : خالصا صافيا (١٣) رديف : تابع
(١٤) أينق : جمع ناقة (١٥) عجال : سراع
(١٦) تمانى : تقاسى (١٧) الماء الزلال : العذب الصافى
(١٨) مذال : ممتهن .

فأقدمَ وهو ذو ظن جميـــل ... بذى الصفح الجميل وذى النوال(١)
فقيدَ الفضلِ هل خُبرتَ أنى ... ضَنِيتُ(٢) وأن ثوب الصبر بال(٣)
وأنى أينما وجهتُ طرفى(٤) ... تراءى منك لى طيفُ الخيال(٥)
وخبِّرنا فهل حالُ اضطرار ... دعاك إلى السرى(٦) أم حال قال(٧)
وتلك عزيمةٌ لك صادفتها ... من الأقدار داعية ارتحال(٨)
فلو أرجأتها لقضيتَ حقاً ... عظيماً نحو صحبك والمعالى
ونحو أخيك من أضحى كئيباً(٩) ... وآلكَ إنهم من خير آل
ولم ألكُ دونهم(١٠) ولئن تناءت(١١) ... بنا رحمٌ فلى حبل اتصال
صحيحُ هوىً وودٍ لم يشوه(١٢) ... نضارةَ خده(١٣) كلفُ(١٤) الملال(١٥)
ولو تفدى إذاً لفدتك نفسى ... وما غاليتُ فيك ولن أغالى
ولستُ عن البكاء بمستفيقٍ ... وما أنا عنك طول الدهر سالى(١٦)

---

(١) النوال : العطاء
(٢) ضنى : أثقله المرض
(٣) بلى الثوب : خلقت جدته
(٤) الطرف : العين
(٥) طيف الخيال : مجيئه فى النوم
(٦) السرى : المشى ليلا
(٧) قال : مبغض
(٨) الارتحال : كثرة التنقل
(٩) كئيباً : حزينا
(١٠) دونهم : أى أقل منهم منزلة
(١١) تناءت : تباعدت
(١٢) يشوه : يقبح
(١٣) نضارة خده : حسن رونقه .
(١٤) الكلف : لون بين السواد والحمرة وهى حمرة كدرة تعلو الوجه .
(١٥) الملال : السآمة
(١٦) سال : ناس من النسيان .

سيد العرب علي التوم *

قفْ بمَثوَى السَّماحِ قبرِ عليٍّ
زَيْنِ أهلِ النَّدى وَزَيْنِ النَّديِّ
جدَث ضمنوه حُلْوَ السجايا ومُحَيَّاً كَبَارق الْوَسميِّ
ضلَّ مَن يعشَقُ البقاءَ وماذا في حياةٍ يَشقَى بها كُلُّ حيٍّ
يا كريمَ الجوارِ لُقِّيتَ بُشرَى جنَّةِ الخُلدِ في جوار النَّبي

---

* الشيخ على ابن الشيخ التوم ابن الشيخ فضل الله بك ابن سالم . هو ناظر قبيلة الكبابيش المشهورة بالسودان ومن البيوت العريقة فى الرئاسة فقد تولى آباؤه منذ قرون رياسة هذه القبيلة ، وجده فضل الله بك هذا جاء الى مصر وتشرف بالمثول بين يدى الخديوى فاعطاه لقب «بك» وهو لقب لم يعط فى زمانه لأحد من رؤساء العشائر بالسودان لغير اثنين فقط . «فضل الله هذا وأحمد ابو أسن» ثم لما شبت الثورة المهدية بالسودان كان رئيس هذه القبيلة والده الشيخ التوم فقتله المهدى وصودرت أموال قبيلته فظلوا طوال مدة المهدية وهم أفقر القبائل ولما استرد الجيش المصرى السودان سنة ١٨٩٨ قابل الشيخ على التوم كتشنر باشا ومعه كبار القبيلة فاسند اليه رئاستها فقام بأمرها بحزم وعزم لا مثيل لهما وأتى فى ادارته بالعجب العجاب . وكان له من الخلال مالا يوجد فى غيره من النظار . فقد وسع رقعتها وحدودها حتى صارت تحد شمالا بمديرية «دنقلا» وجنوبا بمديرية «الأبيض» وغربا بالصحراء التى من ضمنها «وادى هور» الذى ينتجع اليه الكبابيش شهور الشتاء لرعى الابل فيلتقون هناك مع قبائل العرب التابعين لفرنسا . ولقد كان للشيخ على التوم هذا مكانته عند الانكليز بالسودان ويجلونه اجلالا منقطع النظير . فاعطوه أشرف الأوسمة وأعظم كساوى الشرف وهو ثالث ثلاثة اعطوا لقب «سير» . السيد على الميرغنى . والسيد عبد الرحمن المهدى . والشيخ على التوم . ومن هنا يفهم القارىء . من هو على التوم . وما بالك برجل تولى هذه الرئاسة ولم يملك من الدنيا الا حمارا لايساوى جنيها واحداً . كما ذكر هو بنفسه وكما يذكره المقربون إليه ومات وهو أغنى زعيم بالسودان وقبيلته أغنى القبائل كل هذا فى مدة لاتتجاوز ٣٨ سنة . وفيه من الخلال «التواضع» يعطى كل ذى حق حقه . وخصوصاً أهل الدين وكان يقبل يد كل منهم مهما =

= صغرت سنه ولا يجلس أمامهم إلا على الأرض « كريما » يعطى أهل الفضـل العطاء الجم ويقرى الضيف . ويحمل الـكل . ويعين على نوائب الزمان . وزكيا فقد كان لا يؤتى من هذه الناحية فقد سمعت بل تيقنت أن بعض الانكليز يأتون وفى حقائبهم نظم وأوضاع يريدون أن يقيدوه بها فيجابهه يقابلونه لايسعهم إلا الرجوع بها من حيث أتوا . ساهرا على راحة قبيلته « فقد كان لا ينام ولا يقر له قرار إذا كان أحد أفراد قبيلته واقعا فى مشكلة من المشاكل التى تقع كثيراً بين القبائل البدوية . فيذلل صعابها بماله وعقله وجاهه . وكان يجتهد أن لا يتدخل الانكليز فى قضايا هذه القبيلة وان لا يعرفوا من دخائلها شيئاً . ولك أن تعلم أنه طوال هذه المدة لم تقدم ضده قضية من أحد من قبيلته إلا ثلاث مرات انتهت بفوزه وعوقب الشاكون فالتمس العفو عنهم فقبل التماسه . واسأل الله أن يوفق أبناءه على السير بهذه الخطة الحكيمة ولما مات بنت له حكومة السودان ضريحا فخماً « بالحمراء » وهى كما يبنى على الأولياء عندنا مقره فى رحلة الصيف . وقد قيض الله له كاتباً أديباً أميناً هو محمد الـكامل بخيت فنقش هذه الأبيات الأربعة فى لوح من نحاس وضعها على قبره وعدد فيها ما كان له من الأوسمة ورتب الشرف وتاريخ وفاته ولذا فإنى ان أعطيته أو أعطاه الناس سيد العرب فما أنا ولا هم بمخطئين ولو أن زعماء القبائل عندنا ساروا على هذا النهج لما وصل الحال به إلى ما وصل من الفقر وسوء المآل

ليت الـكواكب كانت لى فأنظمها   عقود مدح فما أرضى له كلمى

محمد سعيد العباسى

يوسف بدري

فـة وقفةَ الشوق بين الأثـْل[1] والضالِ[2]
نُحَيِّ دارسَ[3] آثارٍ وأطـــلال[4]

واستسقِ جفنْكَ هطالاً[5] يجـــودُ به
إنْ لم يكِ المزنُ[6] يا هذا بهطـال[7]

وسلْهُ عن ساكنيه أيَّةَ سلكوا
لعل يُجدى سؤالُ المربع[8] الخالى

يا منزلا كنتُ أمشى البَخْتَرِيَّةَ فى
ظلاله وورائى فضلُ أذيالى

إن تُمسِ منك رحابُ الفضل دارسةً
فالدهرُ ذو غِيَرٍ شتَّى وأهـوال

وقد تكونُ وما تَبلى[9] محاسنها
زهراءَ كالثغر من زهراءَ معطال

كأنها اليومَ لما غاب سامرُها[10]
دارُ الذين استقلوا منذُ أجيال

---

(١) الأثل : شجر وهو نوع من الطرفاء
(٢) الضال : السدر البرى
(٣) الدارس : القديم البالى
(٤) الأطلال : بقايا الآثار
(٥) الهطال : المقصود بها هنا الدموع الغزار
(٦) المزن : المطر
(٧) الهطال : الكثير النزول
(٨) المربع : منزل القوم فى الربيع خاصة .
(٩) تبلى : تفنى
(١٠) سامرها : سمارها

فطالما كنتِ مصطافاً ومرتبعاً[١]
لنا وقبلةَ حاجاتٍ وآمال

أغدو مع النفر الأعلينَ مدرعاً[٢]
نُعمى الشباب وأمسى ناعمَ البال

والعيشُ كالزهر فى جناته عبق[٣]
وطالعُ الدهر فى سعدٍ وإقبال

وكم شربنا بجمع الشمل صافيةً
كالصَّرْخَدية[٤] قد عُلَّتْ بسلسال

إذ مُنتدى[٥] الفضلِ ناديناً وخمرتُنا
مما يدارُ بكأس المنطق العالى

فيا زمانَ تدانينا[٦] ألا خبر
ويا غُدوى ألا عودٌ لآصالى[٧]

من مبلغ الصحبِ[٨] فى سنارَ[٩] قد رقدوا
ألهتهم[١٠] اليومَ عنا شدةُ الحال

أنا على العهد ما خنا ودادهم[١١]
وأننا دائمو بثٍّ[١٢] وتسآل

(١) مصطافا ومرتبعا لنا : أى جئتنا صيفا وربيعا
(٢) مدرعا : أى مرتديا درع الشباب .
(٣) عبق : فياح (٤) الصرخدية : الخمر .
(٥) منتدى : مكان الندوة ومعنى هذا البيت أن بجمع أهل الفضل هو ندوتنا ، وشرابنا فيه تتناسب مع مجلسنا وهو تداول المنطق العالى الذى يدعو للفضل .
(٦) تدانينا : قربنا (٧) الآصال : جمع أصيل وهو وقت ما بعد العصر
(٨) الصحب : جمع صاحب وهو الرفيق (٩) سنار : مدينة بالسودان
(١٠) ألهتهم : أى شغلتهم وصرفتهم (١١) ماخنا ودادهم : أى ماضعف ودهم وحبهم
(١٢) دائموا بث : أى دائموا حزن

وحالكٍ بتٌّ فى لألآء أنجمــه
أملى رسائلَ أشواقٍ وإجــلال
بعثتهـا طىَّ أردان الصَّبا لهــمُ
تحوى طرائفَ تفصيــلٍ واجمـال
جعلتُ منهـا لآذان المــلا شنفاً
قد رُصعتْ بفــريد الجوهر الغـالى
تلك القوافى وقــد جاءت محبرةً
« ليوسفٍ » الخير من مأثور أقـوالى
الطـاهرِ الذيلِ محمودِ السريرة ميـ
ـمون النقيبةِ فى حــل وترحال
من سنَّ للناس نهجَ الصــدق فاستبقوا
فعلَ المقلَدِ فى قولٍ وأفعــال
يهوَى النــدى فسؤالُ السائلين له
لُقيَـا المبشـِّر أو تغــريدُ مِيهَـال
فلو يرى الناسُ ما بالناس من كـرم
رأوهُ ذا غررٍ[1] منــه وأحجال[2]
لا بالعنيــدِ ولا الممنوع نائله[3]
ولا الذى كان يُزْهى زهوَ مختـال

---

(١) غرر : جمع غرة وغرة كل شىء أوله .
(٢) أحجال : بياض (٣) نائله : عطاؤه

إن المحـــامدَ أغلى ما يباعُ وهل
شرى المحامدَ إلا كلُّ بَذّال[١]

فليبتن المجـــدَ بانوه الغداةَ فما
قوَامُهُ غـــيرُ إحسان وإجمال

لله درُّكَ من ذى فطنةٍ أرِبٍ
قوالِ فصلٍ[٢] لدى الشورى[٣] وفعّال[٤]

يا عُظمَ ما ضمَّ منك القبرُ من كرم
وطيبَ تربٍ على خديك مُنْهَال

أقدمْتَ لم تَلْتَفِتْ نحو الحياةِ وما
قد ذُقتَ بالأمس من رَاوُوقها الحالى

إن يُصْمِكَ[٥] اليومَ سهم الحادثات وقد
عاقتك حالُ النوى عن نجح أعمال[٦]

فـــذاكَ حكمُ بديع الكائنات له
عـــلمُ الخفيين ؛ أرزاقٍ وآجال

فربما وهبَ الحظُّ امرءاً ضرعاً
مضللاً راح يسعى سعىَ ضـــلال

وبات أشقَى بنى الدنيـــا أخو همم
يُنْمِى لكل طويل الباع مفضال !!

(١) بذال : أى كثير العطاء
(٢) قوال فصل : كثير قول الحق الذى يفصل عن الباطل
(٣) لدى الشورى : أى عند التشاور (٤) فعال : كثير لفعل ما تشير به
(٥) يصمه : يعيبه (٦) عن نجح أعمال : عن إنجاحها .

أفديه ما عافها[١] جبناً[٢] ولا فَرَقاً[٣]
حاشا ولا خوفَ إملاق[٤] وإقلال[٥]
لكنها نفسُ حرٍ لا تقر[٦] على
طعم الأمرين من قهر[٧] وإذلال
فاختارَ ما اختاره حرصاً يذود[٨] به
عن الكرامة لا حرصاً على المال
لا كالذى زعموا — يا إفك[٩] ما زعموا —
وما أثاروه من قيلٍ ومن قال ! !
فلا يرى الغر[١٠] إمهالَ العزيز له
عجزاً ولا هو منه حالُ إهمال
إن عاش عاش كأرباب الهوى وغداً
بغضبة الله فى يوم الجزا صال
يا هولها ساعةً يُجزى المُليمُ بها
صاعاً بصاعٍ ومثقالا بمثقال
يُبلى[١١] الكرامُ بمقدار الذى وهبوا
من الكمال بحساد وعذال

---

(١) ماعافها : ما كرهها
(٢) جبناً : الجبن ضد الشجاعة
(٣) الفرق : الخوف
(٤) الإملاق : الفقر
(٥) الإقلال : انتقاص الرزق
(٦) لا تقر : لاتسكن
(٧) القهر : الغلبة
(٨) يذود : يدافع ويمنع
(٩) الإفك : الباطل
(١٠) الغر : الغرير المغرور
(١١) يبلى : يبتلى .

أما سـواهم فانى لَـتُعليمُ بهـم
هم الخليـون من هم وأشغال
فان بلوتهم(١) صـدقاً وعارفة
فالقومُ أصـدق منهم لامعُ الآل
حتـام أقطعُ أوقاتى بذكـرهم
مالى أُدنسُ أوراقى بهـم مالى؟
يا نازحاً(٢) أنا أهـواه وأذكـره
ذكرى الشباب وذكرى عهدهِ الخالى
إن تسألِ اليومَ عن شأنى وعن خبرى
فإن ثوب اصطبارى(٣) بعـدكم بالى(٤)
وإن سـلوتم(٥) فلا والله ما أنا فى
حبى لـكم ياكـرامَ الحىّ بالسالى
أنوح(٦) إن شمتُ(٧) برقاً من ربوعكم(٨)
شوقاً وهل نافعٌ نَوْحى وإعـوالى(٩)
وإن يك الدمعُ يقضى حقّ ذى كرم
لسنا وحقك فى هـذا ببخـال

---

(١) بلوتهم : اختبرتهم
(٢) يانازحا : ياراحلا عن الدار (٣) اصطبارى : صبرى
(٤) بالى : قديم (٥) سلوتم : نسيتم
(٦) أنوح : أبكى (٧) شمت : علمت وعرفت
(٨) برقا من ربوعكم : أى خبرا من دياركم
(٩) اعوالى : بكائى .

وقــــد يخففُ عنى ما أكابده[١]
أنّى لمن سبقــــوا نحو الردى[٢] تال
لاهُمّ[٣] إنك أنت المستعـــان به
وأنت فى كل حال سامع كالى[٤]
فالطف بيوسفَ وأغفر ذنبه كـــرماً
إذ ما أتاك وعامله بإفضـــال
فبحرُ عفوك بحـــرٌ لا يـكدره[٥]
وزر[٦] امرىء بات يشكو ثقل أحمال
ووال[٧] وانصر ذوى القربى فليس لهم
سواكَ من ناصرٍ يرجى ومن والى
هم أهلُ ودى وأحبـــابى الذين رعوا
صـــدقَ الوفاء بلا نقصٍ وإخلال
حتى لقد وصلوا حبــــلى بحبلهم
كأننى بين أعمــــامى وأخـــوالى
فرهطه رهطىَ الأدنون إن ذُكروا
وآله زين أرباب الحجى[٨] آلى

(١) أكابده : أعانيه من المكابرة وهى التعب
(٢) الردى : الموت والهلاك (٣) لاهم : دعاء وأصله اللهم
(٤) كالى : حافظ حذفت للضرورة .
(٥) يكدره : يعكره (٦) الوزر : الذنب
(٧) وال : من الموالاة أى النصر (٨) الحجى : العقل .

التليب

رثاء المرحوم الشيخ ابراهيم التليب

عاد روضُ الكمال بعد اخضرَارِهْ ... يَبَساً واستحالَ حسنُ ازدهاره
فقدَ الغابُ ليثَهُ والمروءا ... تُ فتاها والسرحُ حامى ذماره
بكتِ الأرض مَهْبِطَ الفضل منها ... والسماءُ الوضاءَ من أقماره
يومَ أودى فتى الفُتُوَّةِ ابرا ... هيمُ[1] ربُّ الحجا وبانى مَناره
التقىُّ الأوابُ حلو السجايا ... الصفىُّ الوفىُّ عند اختباره
والذى كان والزمانُ عنيدٌ ... ملءَ صدرِ الزمانِ فى إكباره
نورُ هَدْىٍ وهيبةٍ ألبساه ... عزةَ التاجِ وهو بين نمَاره[2]
كان يسمو بفضلِ علمٍ وحلمٍ ... حاملاً منهما لأسمى شعاره
وهما قيمةُ الفتى فإذا ما ... نقصا ظل ناقصاً فى اعتباره
يا له مخلصاً كثيرَ وفاءٍ ... بَزَّ[3] فيه الكثيرَ من أنصاره
إذ يراهُ الصديقُ أحسنَ ما كا ... نَ يُرَى للصديق عند عِشَاره
صدمةٌ هَدَّت القُوى وأثارت ... بصداها طيرَ النهى عن مطاره
فكأن السودانَ إذ فقدتْهُ ... خدُّ حسناءَ سُلَّ عن جُلَّنَاره[4]

---

(١) ابراهيم هذا هو الأستاذ الشيخ ابراهيم التليب معروف بالسودان قاطبة بشعره وأدبه وورعه ونفسه الأبية وتقواه وكان يقول الشعر بسهولة زائدة فيخرجه فى رصانة وابداع قلّ أن يجاريه شاعر فيها .

(٢) النمار جمع نمرة وهى رداء يلبس فى أرض الحجاز معروف

(٣) بز : فاق .

(٤) الجلنار : زهر معروف تشبه به خدود الحسان

شاعرٌ إن شدا حسبناه يروى معجزات القريض عن بشاره
فإذا راز(١) من عصىّ القوافى فهى طوعُ اقتداره وابتكاره
عبقرىٌّ يجلو المعانى كما يختارها فى البديع من مختاره
لم يعقه عن نظم غضّ اللآلى نثره النيرات ضمن نثاره(٢)
يقتنى من ديباجها الخسروانى(٣)
قشيباً(٤) والناس أسرى معاره
طاف كأس الردى عليه كما طا ف على البيد أجدلٌ(٥) بمثاره
فتعالى الإله خالق كأس كلُّ من فى الوجود صرعى خماره
كلُّ شىء فان فلا الفلك الدوّ ار يبقى على اتساع مداره
قدرٌ غالبٌ وسبقُ مراد وفق أمر المريد باستئثاره
علمُ سرّ الوجود وصفٌ قديمٌ صانه فى المكنون من أسراره
قل لمن رام للتسلّيب لحاقاً وادعى فى الفخار مثل فخاره
دع غيمار العلا وذر قصب السبـ ـق لذاك السبّاق فى مضماره
لا تخاطرْ واربأ بنفسك لا يغـ ـرقك هذا الخضمُّ فى تياره
وارض منه بحيثُ أقعدك اللهُ م قصياً(٦) أو إن أبيت فباره
باره(٧) فى طلابه للمعالى فى حجاه(٨) فى عزمه فى وقاره

---

(١) راز الأمر : حاوله (٢) النثار : النثر
(٣) الديباج الخسروانى معروف
(٤) قشيباً : جديداً .
(٥) الأجدل : صقر معروف أصغر من الحدأة وهو لا يقتات إلا بالعصافير يثيرها من أماكنها ويطير وراءها فيقتل وله سرعة فائقة فى الطيران حتى أنه يسمع له صوت كصوت القذيفة .
(٦) قصياً : بعيداً
(٧) باره : جاره (٨) الحجا : العقل وبعد النظر

فى نَداهُ فى علمه فى عفاف ... زانهُ فى الدُّرىّ من أشعاره[١]
وأن اسطعتَ والمواهبُ شتّى ... باره فى تقوى القلوب[٢] وجاره
ما شهدنا إلا بما قد علمنا ... إذ نَقَلْنا الصحيحَ من أخباره
والذى إن رويتموه رويتمْ ... سفرَ نَقْدِ الرجال عن أحباره[٣]
عاش ما عاش وهو جدُّ أبىٍّ ... لم يُدَنَّسْ من الزمان بعاره
يؤثرُ الخلَّ بالجميل ويحبُوهُ ... وفضلُ الكريم فى إيثاره
فاذا جئتَ ناره قلتَ فيها ... حاتمُ الجودِ إذ يَشبُّ لناره[٤]
فسلامٌ على ثرًى مَنْدَلِىّ[٥] ... ضَمَّهُ والمِسكِىّ من أحجاره
ما لكسرى الأطيار لم يُبْدِ حكما ... صادقاً فى هَزَارِنا[٦] وهَزاره
بُلبلٌ فى أوكاره أمس أشجا ... نا[٧] وطارَ الغداةَ عن أوكاره
ما صَبا للأعواد حاشا ولا كا ... ن المغنِّى المفتنَّ فى أوتاره
كان يشدُو شَدْوَ الحمام ويُملى ... نسماتِ الربيع[٨] فى أسحاره
لهفَ نفسى على زمانٍ تقضىً ... ما قضينا المحمودَ من أوطاره
قد صحبناهُ ناشئاً ووليداً ... واصطفانا قبل اخضرار عذاره
ولبسنا الشبابَ فيه بُرُوداً ... وانتشقنا منهُ شميمَ عراره[٩]

---

(١) الشعر الدرى : ما يشبه الدر فى صياغته
(٢) تقوى القلوب : مخافة الله (٣) الأحبار : العلماء .
(٤) شب النار : أوقدها .
(٥) المندل : عود طيب الرائحة يستعمل بخوراً (٦) الهزار : طائر جميل الصوت
(٧) أشجانا : شوقنا .
(٨) نسمات الربيع هنا أشعار هذا الأستاذ فقد كان فى بعض لياليه وهو كثير الذكر اذا غلب عليه الهيام والوجد يقول القصيدة والشعر الرائع على طريقة السادة المتصوفة وله شعر كثير لو جمع لكان ذخراً .
(٩) العرار : نبت طيب الرائحة .

واقتبلناهُ بالسعـادةِ حتى ... حلَّ هـذا المشيبُ فى أكداره
هل يعودُ الشبابُ يوماً كما كا ... ن حميداً تجُرُّ فضلَ إزاره ؟
يا ربوعاً ما أحسنَ العيشَ فيها ... لو نَجَوْنا من هول هذى المكاره
ما احتيالى والأمرُ أمرُ مليكٍ ... نحن أسرى المحتومِ من أقداره
كم أردتُ الثَّوَاء[1] فيكِ ولكن ... ذا اختيارٌ قد جاءَ بعد اختياره
ضاق صبرى بفقدِ من لو نَعوْنى ... وهو حىٌّ لضاق ذرعُ اصطباره
ولئن رحتُ بالجوى[2] فيهِ وحدى ... أنا وحدى جَنَيْتُ أشهى ثماره
كان عندى لسابقِ الدهر ثأرٌ ... فاستقادَ الزمانُ منى لثأره
ما بقائى من بعد أن راح صحبى ... واستقلَّ القطينُ[3] فى سُمَّاره
ركبوا مدلجين كرَّ الجديديـن[4] وذا مركبٌ لعمرى فَارِه[5]

صِرْتُ رهنَ النوى وأضحى جنابى
مُوحِشاً من رَبَابِهِ ونَوَاره[6]

يا شديداً على الطغاةِ إذا جا ... رُوا خفيفاً على العشيرِ وجاره
أبداً أقطعُ الليالى ادكاراً ... وكمالُ الهوى دوامُ ادكاره
بتُّ مستعبراً[7] ولى فيك حبٌّ ... قم فواسِ المحبَّ فى استعباره
أنت ناءٍ عنَّا فمن لمريد ... رام علمَ اليقين فى استخباره ؟
كان يدعوك للجليـلِ وللغا ... مضِ فى ذِى الحياةِ باستفساره

---

(١) الثواء : الاقامة
(٢) الجوى: شدة الشوق.
(٣) القطين هنا يراد به الظعن
(٤) الجديدين : الليل والنهار
(٥) الفاره : السريع النشط
(٦) رباب ونوار : أسماء قيان فى الزمان الأول
(٧) المستعبر : الحزين أو الباكى

قُلْ رَشيداً مَتى وكيف التلاقى
يا لَوَعْدٍ أمضَّ طُولُ انتظاره[١]

وبأىّ الدارين عَرَّس[٢] صحبٌ جثموا[٣] بالردى على أحفاره[٤]
إن جهلنا فربَّ مستُور علمٍ قد رفعتُمْ بالموتِ من أستاره
كنتمُ أمسِ مثلَنَا فانطلقتم وحَجَلْنَا[٥] فى القيد تحت إساره
عقنْنِى منطقى وكان يُوَافيـنى كنشرِ الرياضِ غبَّ انتشاره
وزمانٌ قضَّيتُهُ عامين منـهُ فى عتابٍ له ومَيْنِ[٦] اعتذاره
غيرَ ما زنتُهُ بذكرى حبيبٍ مثلَمَا زانَ معصمٌ من سوارِه
إن تروْنى أحسنتُ فهو جنىٌّ من جنتَيْهِ[٧] ولؤلؤٌ من بحاره
أو إذا ما كبَا جوادى فعندى عبراتٌ تسقى ثرى آثاره
جارُكَ اللهُ لن تُراعَ وهل ريعَ امرؤٌ فى ضمانه وجواره
قَرَّ عيناً وابشر بمقعدِ صدقٍ لكَ منه فى جَنَّةِ الخلدِ داره

---

(١) امض طول انتظاره أى أتعبنى طول هذا الانتظار بعد فراقك
(٢) التعريس : نزول السفر فى الليل يعنى به قبور الموتى
(٣) جثموا : رقدوا (٤) الاحفار : القبور
(٥) حجلنا : مشينا كالمقيدين (٦) المين : الكذب
(٧) جني الجنتين : ثمارهما .

عبد القادر عبد الباسط

في رثاء المرحوم فقيد الفضيلة الأستاذ عبد القادر عبد الباسط القاضي

ما لهذا الدهر في صيال وختل[1]   يغتلي في حرب الكرام ويصلي
قد دعونا فما أجاب دعاءً   وعذلنا فلم يرق لعذل[2]
نحن فيه أسرى أمانٍ وأنضا   ءُ خيالٍ من الحياة وظل
في خداع السراب[3] ينساب بالقا   ع وكالطبع صاح من ذات دلّ
وقديماً أجملتُ بالدهر ظناً[4]   فرماني بهجر علوى وجمل[5]
ضقتُ ذرعاً فيا زماني إن جد   تَ ببعض المراد جدتُ بكلي
ما ثوائي[6] ومن رواحلي الهمُّ   المعنّى ومن جوى الحزن رحلي
ضلّ سعيُ امرىءٍ يريد حياةً   أقنعته[7] منها بعيش الأذل
يقطع العمر وهو في الطول[8] المر   خي غروراً بليتني ولعلّي
لا تسلني عما جناه زماني   واعنائي[9] من الزمان وويلي

* * *

(١) الختل : الخداع   (٢) العذل : اللوم
(٣) السراب : مايرى في الظهيرة كأنه ماء .
(٤) أجملت بالدهر ظنا : أحسنت الظن به   (٥) علوى وجمل : علمان لحسناوين
(٦) الثواء : الإقامة   (٧) اقنعته : أرضته
(٨) الطول : حبل تربط به الدابة لترعى .
(٩) العناء : التعب .

مرحباً بالخطوب مرحى[١] فزورى ... وانزلى يا منـــونُ منى بسهل
واصرفى الكأسَ عن بنان[٢] عليم ... أبخمر ملأتِها أم بخـــلِّ ؟
ناولينى التى استقلتْ بعبد القـــادر[٣] الشهم ذى الحجا والعقل
خطفته المنونُ فى ومضةِ البر ... قِ وظـــلِّ الغمامةِ المضمحل
ساعدى[٤] إن نازلتُ دهرى وسيفى ... وسِنانى الذى اختبرت ونصلى
قد طلبتُ الخلَّ الوفىَّ فلـــما ... أن بدا لى استغنيت[٥] عن كل خل
لم أُصبْ مثله صفياً وظنى ... أنه لم يُصبْ من الناس مثلى
ليت أنى لك الفـــداءُ وإن لم ... تُبق منى الأيامُ إلا أقلى
ما بيانى وقد نَكـِرْتُ بيانى ... ما دموعى والدمع جهد المُقِلِّ[٦]
وسأبكى عليـــك ما سجعت ورْ ... قا[٧] بكائى على الشباب المولى
لا كذاك الذى ارتضاه لبيدٌ ... فلبيدٌ سنَّ البكـــاءَ لحول
يا رعى اللهُ عهدَهُ من كريم ... سار نحو العلا فكان المُجَلِّى[٨]
بجنابٍ خصبِ النواحى وساحٍ ... وارفات[٩] الظلال للمستظل
أذهبتْ مالَه الحقوقُ ونفسٌ ... صاغها الله من سماحٍ وبذل[١٠]

---

(١) مرحى : كلمة استحسان

(٢) البنان : الأصابع .

(٣) التى استقلت بعبد القادر هى كأس المنون — والحجا : العقل

(٤) ساعدى : الساعد معروف والمراد عدتى لملاقاة الخطوب وسيفى وسنانى

(٥) استغنيت: أغنتنى صداقة هذا الخل الوفى عن جميع الأصدقاء وما أرخص الحياة بعده
ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأقوام

(٦) جهد المقل : غاية ما يستطيعه ... (٧) الورقاء : الحمامة

(٨) المجلى : السابق ... (٩) الظل الوارف : المتسع الطويل الممتد

(١٠) البذل : العطاء والجود

ويميناً ما كان يوماً بذى المنّ(١) إذا ما أسدى ولا بالمدلّ
أريحيّ حُلوُ الفكاهة يلقا كَ ببشر يحلو الفؤاد ويُسْلى
هو بين الصحاب كالأملِ الحلو وكالغيث(٢) زارهم بعد محل(٣)
ليس كالباقيات والأمل الصا لح شىءٌ يبنى الرجالَ ويُعْلى
يا ثراهُ اغتبط ويا رحمة اللـه اغمريه ومن عَلٍ فأطلى
ومُرِى البرقَ أن يجدّ فيحدو كلَّ جون من الغمائم جَثْل(٤)
فَيُروّى من الأحبةِ داراً هى دارُ الندى ودار الفضل
ما بها حاجةُ العطاش ولكن عادةٌ سنها ذوو الشعر قبلى
علمتنى كيفَ الوفاءُ وكانت مستزادى(٥) وأهلها الغرُّ أهلى
أسلمتهم إلى النوى(٦) عادياتٌ بددتْ بعدهم هَوَاىَ وشملى
ما أقاموا بها بياضَ نهار لا ولا استمتعوا ولو بعض ليل
يا أبا يوسفَ الذى أنت عندى نسخةٌ من ذاك الإمامِ الأجل
أنت أشبهتَهُ بثاقب رأى(٧) وقضاءِ عدلٍ ومنطقَ فصل
فاستمع راشداً(٨) وهاكَ حديثى وإن اسطعتَ أن تُبين فقل لى
كيف حالُ الألى(٩) أصابوا نعيما وَعلَوْا فى الدنيا بحول وطول(١٠)
ملؤوها جيشاً وكم قد أجالوا بين أرجائها سنابكَ(١١) خيل

---

(١) المن : إظهار المعروف واصطناعه
(٢) الغيث : المطر (٣) المحل : الجدب
(٤) الجثل : الكثيف من كل شىء (٥) مستزادى : المراد أنه كان يذهب إليها كثيراً
(٦) النوى : البعد
(٧) الرأى الثاقب : النافذ (٨) الرشد : الهداية
(٩) الألى : الذين (١٠) الحول والطول : القوة والغلبة
(١١) السنابك جمع سنبك وهو مقدم الحافر

أتراهم أمسوا نظائرَ قومٍ ... شغلوا بالمليك عن كل شغل
راقبوا اللهَ مخبتين وكانوا ... إن يسيروا بالأرض ساروا بمهل
ورضوا من دنياهمُ بلباس ... خشنٍ واستغنوا بأيسر حلٍّ
ثم ما الفرقُ بين نَيرون والعا ... دلِ كسرى فيم ترى وهرَقْل[1]
إن هذين شدَّ ما رعيا من ... حرماتٍ وذاك جِدٌّ مُحلٌّ
« لست أدرى ولا المنجمُ يدرى » ... فكلانا ضُلاّلُ خلطٍ وجهل[2]
ربِّ إنا عبيدُ إحسانك الجمِّ ... دهتنا هذى الخطايا[3] بحمل
أنت بابُ الرجا فإن ترضَ مولا ... ىَ شملتَ الجانى بأوسع حل
وعفاءٌ[4] إما غضبتَ على ما ... قدَّم العبدُ من فروض ونفل
وبأمس لا كان أمس دفنّا ... خيرَ مولّى فأوْله البرَّ أول
وأحِبْه[5] من رضاك برداً سلاماً ... وبدار الرضوان أَسمى محلٍّ
ياغياثَ[6] الراجى ويا غافرَ الذ ... نب اغتفر ما جناه ثم اغتفر لى

---

(١) كان نيرون يتلهى بإيقاد النار وإلقاء الناس فيها — وكسرى من ملوك الفرس — وهرقل كان تابعاً لدولة الرومان .

(٢) خلط وجهل : المراد عدم الاهتداء .

(٣) الخطايا : الذنوب .

(٤) العفاء : زوال الانتفاع — والمعنى فى هذا البيت والذى قبله — يارب أنت الرجاء ولاحول للعبد فإن شئت صفحت عن المسيء وشملته بعفوك وإحسانك وإن غضبت فلن ينفع العبد ما قدم ...

(٥) احبه : امنحه — أسمى محل : أرقاه .

(٦) الغياث : المنجد .

المرحوم الشيخ حامد محمد على



كم تمنيتُ أن أحُلَّ مكاناً قد ثواهُ وأن يَحُلَّ مكانى
وأناديه أن يؤوبَ وهل آ بَ إلى حيٍّ عنزةَ القارظان

* * *

لا أخافُ الأحداثَ بعدَكَ فلتَجْـ ـرِ سراعاً إلىَّ ملءَ العنان
ليس بينى وبينك اليومَ إلا خُطوةٌ للَّحاقِ أو خطوتان

(محمد سعيد العباسى)

حامد محمد علي

ماالثريا[1] هذي ولا الفرقدان[2] خالدات كلاّ ولا النيّران[3]
لا ، ولا هذه العوالمُ ضلّتْ في تقرّي[4] سحيقها[5] العينان
فهمُ سرّ الوجودِ فهمٌ تعالى عن محيط العقولِ والأذهان
كلُّ هذا من صنع ربك سوّا هُ وسماهُ بالوجودِ الفاني[6]
ليتَه حين أبدع الكونَ أعطا ني فؤاداً غيرَ الذى أعطاني
أتلقّى به الصعاب وأمشى بين أحشائها قوىّ الجنان
كلُّ شيء سهلٌ على النفسِ إلا ماتعانى من فرقةِ الإخوان.
جرفتْ هذه النوى خلصائى[7] واحداً واحداً بغير توانى
وبروحى أفديهمُ غيرَ أنى ليسَ لى فى حكم المنايا يدان
أنا أشقاهمُ تخلفتُ عنهم حين ولّوا كالخيل يوم رهان
يا مديراً سقى العشيةَ صحبى أين حظى من فضلِ هذى الدّنان[8]
لا أريدُ الحياة بعد نداما ىَ كفانى ، فقد مَلِلْتُ كفانى

---

(١) الثريا : نجم معروف .

(٢) الفرقد ولد البقرة . والفرقدان نجمان قريبان من القطب

(٣) النيران : الشمس والقمر

(٤) تقرى عن الشيء : بحث عنه وتتبعه

(٥) السحيق : البعيد .

(٦) الوجود الفانى : هو كل هذه الوجودات : من جماد وحيوان وهواء وماء ، أو هو كل ما عدا الحق سبحانه وتعالى فالله يقول : كل شيء هالك إلا وجهه .

(٧) خلصائى : جمع خلص بالكسر وهو الخدن ، ومن تصفيه ودك

(٨) هذى الدنان : هو كأس المنية وداله مكسورة جمع دن بفتح المهملة

قد يراها الجهولُ دارَ نعيمٍ ويراها العليمُ دارَ هـوان
لذةٌ لم تدم ، وأطيافُ نعمى[١] مُنيحُوها لِشِقوةٍ وامتحان
حامدُ : استلهم البيانَ وقل لى إن وجدتَ البيانَ فى الإمكان
كيفَ أمسيتَ فى التراب ضجيعاً ؟ كيف أصبحتَ يافتى الفتيان ؟
أألفتَ الثواءَ[٢] فى خشن القبـرِ وحيداً بعد الحشايا[٣] اللدان[٤]
ذقتَ طعمَ الحياةِ حلواً ومراً وعلمتَ الحياةَ علمَ مِرانِ
وتركت الدنيا ، وداراً لدار وشهدت الأخرى شهُود عيانِ
فهل الناسُ مثلُ عهدك ناسٌ وهلِ الجارُ ثمَّ كالجيران ؟
أم هى الأرضُ وهى أمٌّ رؤومٌ[٥] نزعت مابهم من الأدران[٦]
لهفَ نفسى على حِجاهُ . . وعزم منه أمضى من الصقيلِ اليمانى
وكأن الأمَّاتِ إذ أرضعته أرضعته البيانَ دون اللِّبان
لو تَرَاهُ فى صحبه ، ومن الدَّا رِ عراصٌ تموج كالمهرجان
قلتَ : ذا خالدُ الندى ابنُ يزيد[٧] فى نَدِىِّ السراةِ من شيبان

---

(١) أطياف النعمى : هو خيالها ؛ فان نعمة هذه الدنيا زائلة لاثبات لها كخيال طائف بالمنام
(٢) الثواء : الاقامة ، يقال ثوى بالمكان إذا أقام به .
(٣) الحشايا : الفرش الوثيرة ؛ واحدها حشية .
(٤) اللدان : اللينة
(٥) أم رؤوم : عطوف تحنو على أولادها (٦) الأدران : الأوساخ
(٧) خالد بن يزيد : هو ممدوح أبى تمام إذ يقول فيه

إذا افتخرت يوما ربيعة أقبلت مجنبتى مجد وأنت لها قلب
يجف الثرى منها وتربك لين وينبو بها ماء الغمام وماتنبو
بجودك تبيض الخطوب إذا دجت وترجع عن ألوانها الحجج الشهب

يرسلُ الحكمةَ اللطيفةَ في لفظٍ رصينٍ بصوته الرنان
فَيهزُّ القلوب هزاً ويعطى السمع منهم شيئاً كرجع المثانى
أو دعاهُ داعى المروءة لَبَّى باهتزازٍ .. كهزَّةِ النشوان
يبذُلُ العرفَ وهو غيرُ فخورٍ لا يباهى ، وليس بالمنان

***

يا شحيحاً يخوضُ في لجج الديباج[1] زَهواً والمخملِ الخسرواني[2]
إحْيَ أو مُتْ ، فليس في الناس إلا هازىءٌ من حقير شأنِكَ شانى
إنما الناسُ في الحقيقةِ أخيا فٌ[3] ، وإن ضمَّ شملَهُمْ أبَوَان
فرَّقتهمْ هذى الطباع على ما بينهم من تَقارُبٍ .. وتدانى
فترى ذَا باللَّمسِ شوكَ قَتادٍ لا يُدَانَى ، وذاك كالريحان
وتأملْ في النار تُزْجى دُخاناً ثم قل لى : ما فضلُ هذا الدخان ؟

***

فسقى الغيثُ تربةً أودعوها طاهرَ الذيلِ ، طاهر الأردَان
الكريمَ الذى يَعِفُّ عن الفحشاء حتى بقلبه .. واللِّسان
رُبَّ زهراءَ ، لا عروسٌ من الزِّنجِ عليها ، قلائدٌ من جمان[4]

---

(١) لجج الديباج : كناية عما يلبسه المترفون من ثياب الحرير ؛ فكأنها من كثرتها عليهم لجج يخوضون فيها ، والمخمل نوع منها .

(٢) الخسروانى : نسبة لقرية بواسطة تنسب اليها الثياب الحريرية

(٣) اخياف ، الفرس الأخيف : احدى عينيه زرقاء والأخرى كحلاء . ومن المجاز هؤلاء اخياف أى مختلفون

(٤) هذا البيت فى الأصل للمعرى رحمه الله يصف فيه الليل يقول فيه :

ليلتى هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جمان

فأخذه الشاعر وتصرف فى صدره يصف به صديقه فقال :

رب زهراء لاعروس من الزنج عليها قلائد من جمان
صد عنها والمال غير قليل وجفاها والعمر فى عنفوان

صدَّ عنها والمالُ غيرُ قليلٍ   وجفاها .. والعمرُ فى عُنفوان
علم اللهُ أن هــذى السجايا   فيه ، والناسُ من قصىٍّ وذَان
تركتْ فى سمع الزمان دَوياً   كدوىِّ الأذان فى الآذان
كم تمنيتُ أن أحُلَّ مكاناً   قد ثَواهُ(١) وأن يَحُلَّ مكانى
وأُناديه أنْ يئُوبَ وهــلْ آ
بَ إلى حىٍّ عَنْزةَ(٢) القارظان(٣)
عجبَ الناسُ من سكوتىَ عاماً(٤)   هابنى بَعضُهمْ ، وبعضٌ لحانى(٥)
زعموا أننى سلوتُ ، ومن لى   يابن أمى بنعمةِ السلوان ؟
يا رفيقَ الصبا وعَيْبةَ سرى   مذ ثلاثين حجةٍ .. وثمان
أنتَ لا تجهلُ الذى بك ألقى   من وجيبٍ(٦) بين الضلوع الحوانى
جُرحكَ اليوم فى فؤادى جديدٌ   وجديدٌ غداً ... وفى كل آن
لا تلمنى آخى فما الذنبُ إلا   لزمانى .. ولُمْ عوادى الزمان
فهو منى كما عهدتَ : كلانا   مُمعنٌ فى تراشقٍ وطعان
لى عليه دينٌ ، وأنت عليمٌ   كيف قاضيتُه ، وكيف لوانى(٧)

---

(١) ثوى : أقام . يقال للغريب إذا أقام ببلدة : هو ثاويها .

(٢) و (٣) أصلها عنزة بالفتح وسكنت النون للضرورة والقارظان هما يذكر ابن عنزة وعامر بن رهم خرجا فى طلب القرظ (ثمر السنط) فلم يرجعا فقالوا : لا آتيك أو يؤوب القارظان .

(٤) و (٥) كان المتوفى صديقا للشاعر وكان المنتظر أن يرثيه عقب وفاته ولكن حالت دون ذلك العوائق . ولحانى : لامنى .

(٦) وجب القلب وجيبا : خفق . وقلب وجاب شديد الخفقان

(٧) لواه : مطله قال الأعشى :

يلويننى دينى النهار واقتضى   دينى إذا وقذ النعاس الرقدا

بدواهِ تنوشنى[١] لو تراءت لجبانٍ أطرْنَ لُبَّ الجبان
لا أخافُ الأحداثَ بعدَكَ فَلْتَجْـ ـرِ سراعاً إلىَّ ملْءَ العنان
ليسَ بينى وبينك اليوم إلاّ خُطوةٌ[٢] للّحاق أو خُطوتان
تتعاطى هناك أنباءَ قومٍ عَللّونا بكاذباتِ الأمانى
كلّهم يدّعى علياً[٣] ... وكلٌّ قال أمّى بنتُ ابنِ عبدِ المدَان[٤]
شبَّ أسلافُهم لبيضةِ طيرٍ قد أجارُوه نارَ حربٍ عَوانِ
وأراهُمْ قد آثرُوا باردَ العيْـ ـشِ بَعيداً عنّا وعمّا نعانى
وبنُو الغربِ حولَنا يتعاوو نَ عُواءَ الأسودِ والذُّؤبانِ
لو أصابوا الأمواتَ لانتهبوهم قرَماً للأشلاءِ والأكفان
ما لهذى السيوفِ ظَمْأى فَرَوُّو ها ، ورَوُّوا حدائدَ المُرّان
أثْقِبُوها . أكن لكم مثلَ ماكا نَ ابنُ حمدانَ[٥] فى الوغى وابنُ هانى[٦]
ودعونا من هذه الخُطَّةِ النّكراءِ وامشوا على هدى القرآن

---

(١) تنوشنى : تتناولنى ، قال دريد :
نظرت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصى فى النسيج الممدد
(٢) خطوة : كناية عن قرب المدة وهو يقول انه لاحق به قريبا ....
(٣) يدعى الانتساب الى سيدنا على رضى الله عنه .
(٤) ابن عبد المدان : يشير الشاعر الى الأبيات المشهورة :
ولو أنى بليت بهاشمى خؤولته بنو عبد المدان
لهان على ما ألقى ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلانى
(٥) و (٦) ابن حمدان هو سيف الدولة . وابن هانىء هو الشاعر الأندلسى المشهور

فهو أولى بكم وأزكى انتساباً من فلانٍ هذا وبنتِ فلانِ
وأرى الآنَ أن أثوبَ فقدشطَّ مُنذِ اليومَ بي جوادُ البيانِ
يا شريفَ « الفؤادِ والنفس والآ مالِ » قم فاستمعْ شريفَ المعانى
هاكهُ عِقْدَ سؤددٍ وفخارٍ وبديعاً من صنع هذا البنانِ
هو سمطٌ من لؤلؤ عبقريّ ما حوتْ مثلَهُ نحورُ الحسانِ
عُمرُكَ الأولُ انقضى فادّرعْه تتمتعْ منه بعمرٍ ثانِ
نمْ قريراً يا حامدُ بنُ عليٍّ فى جوار المهيمنِ الدَّيانِ
غافرِ الذنبِ قابلِ التَّوب مولى كم يُجازى المسيء بالإحسانِ
ربِّ إما منحتَ أيَّ تقيٍّ جنةً قل لحامدٍ جنتانِ
وأنلْه منك الضمانَ فما فى الـناسِ أولى منهُ بهذا الضَّمانِ

البَابُ الثالِثُ

مقتطفات

مداعبة

يا خليلا تخذتُه لى خليـــلاً وإماماً رضيته لى إماما[1]
أنا أشكو اليكما صرفَ دهر صوَّبَ اليومَ نحو شخصى سهاما
لى حبيبٌ قد كنت آمل أن ير فع عن عاتقى الخطوب الجساما
حولته عنى الليـالى وقِـدماً كان لم يرض غيرَ قلبى مقاما
صدَّ عنى من غير جرم على أنـــى وربى أرعى لعهدى ذماما
بعتُ ودى له ببخسٍ وليت الـــبخس ذا فى مغبة الحـال داما
درست آى وده فاستحاضت عن قطيع الأوانس الآراما
ساعتى فى هواه يوماً أراعـــيها احتراماً واليوم لى فيه عاما
وهو إن مر بى يمر كما مـــر كرام باللغو مروا كراما
لم يرق لى أن أنبرى نحوه أُبـــدى ازوراراً أكيل بالجام جاما
خان عهدَ الهوى زماناً فأضحى بملامى مولعـاً مستهـــاما
أودعَ الأسطر الركيكة نقـداً وعتاباً فى طيهـا ومــلاما
ألِفَ الهجر والتشكى فحاكى ألِفاً فى الهجـــاء عانق لامه
شدَّ ما قد أضاعنى مع حفظى لودادى وشد ما قد تعـامى

---

(١) الخليل هو الأستاذ الشيخ ابراهيم التليب والإمام هو الخليفة الامام دوليب والمداعب هو الأستاذ الشاعر الشيخ أحمد المرضى القاضى .

تخميس بيتى الشيخ الشبلى رضى الله عنه

هواى أنتم وهل فى ذاك من حرج أنتم ملاذى وأنتم فى الدجى سُرُجى
يا سادة قويت فى حبكم حججى
(لا أبرح الباب حتى تُصلحوا عوجى وتقبلونى على عيبى ونقصانى)
قلبى بكم يا سراة الحى فى شغف دمعى بعهد ربوع الظاعنين وفى
بالله عطفاً على صب لكم دنف
(فإن رضيتم فيا عزى ويا شرفى وإن أبيتم فمن أرجو لعصيانى)

تشطير بيتين مذكورين بالنفحات السمانية

(عن مذهبى فى حبكم لا أذهبُ) يا من همُ غيثُ القلوب الصيِّبُ
أخفى الهوى وأصدُّ عن إبدائه (وعذابُ قلبى فيكم مستعذَبُ)
(وإذا تكرر ذكركم فى مسمعى) فالوجدُ يرقصُ بالفؤاد ويلعب
يا سادتى أو مرَّ طيبُ حديثكم (فالذكرُ يحلو والمسامعُ تطرب)

وقال أيضا

أمتْ حدَّ هذى النفس إن شئت أن تحيا
ودَعْ هذه الأغيارَ واسلُ عن الدنيا
وإن رمتَ من خمر المحبين شربةً فهيا اتبعْ واسلك طريقتهم هيَّا
شرابٌ أدارَ العارفون كؤوسَهُ هناك فلا (علوَى الوليد ولا ريَّا)
متى ظلعت شمسُ السلوك تفجرتْ ينابيعُ تروَى إن ظفرتَ بها ريَّا
وتلبسُ من نورِ الخلافةِ خلعةً
وتطوى حجابَ البعدِ فى سرِّها طيا

وقفة بجبل السلطان فى ممرح الطيّبية

ولقد رأيت بحصنِ مَمْرحَ مرّةً حللَ الطبيعة فى سناءٍ باهر
فأهاجت الذكرى مآثرُ سادةٍ كانوا حصوناً فى الزمان الغابر
ما زلت مذ بانوا وبان تصبرى أرعى طلولهم بعين الساهر

وقال فى المعنى المتقدم

إن حصناً فى مَمْرَحَ اليومَ أضحى رافلاً فى برودِه النضرات
نسج الغيثُ هذه الحللَ الخضـ ـرَ عليه فراق فى الشاخصات
زيَّنَتْه وزانها فتبدَّى كالحُلِى فى معاصم الخَفِرات
أذكرتنى به المآثرُ سادا ت كراماً جحاجحاً قادات
هذه دورهم فقف بى رويداً نقض دينَ الهوى لدى العبرات
وأسكب الدمعَ فى طلولهم واذ كُرْ معى صاحِ صادقَ الآيات
أنا ولهانُ أسكرتنى حميًّا ذكركم لا بخمر هاك وهات
يا كراماً فقدتهم عِيلَ صبرى هل تجودوا أفديكمُ بحياتى
أو تَرِقُّوا لحال صبٍّ حزينٍ صدم الدهرُ شملَه بالشتات

وقال أيضا

بالله للهِ سرْ فى طاعةِ اللهِ ودع مقالَ عذولٍ بالهوى لاهى
وقف على قدم الآدابِ ملتزماً جهادَ نفسِكَ تَرْبَحْ رحمةَ الله
طريقةُ القوم خذها عن أئمّتها ولا تكن صاح عن أقوالهم ساهى
لِترْتوى من شرابِ القوم صافيةً يَظَلُّ شاربُها بين الورى زاهى
لى سادةٌ وصلوا حبلى بحبلهم وشرفونى على أقدارِ أشباهى
حتى لقد صرتُ بعد النكر معرفةً بجبهم وسما فوق السما جاهى

وقال أيضاً

إلى الله أشكو صرفَ دهرٍ معاندٍ تباريحَ مجروح الفؤادِ حزين
قضى بافتقادى جيرةً عزَّ فقدهُمْ علىَّ فأقصاهم وزاد شجونى
هم القومُ كانوا لى على الدهر ساعداً لتحقيق آمالى وحسنِ ظنونى
سأحفظُ فيهم ذمةَ اللهو والهوى وأسكبُ فى الأطلال ماءَ شؤونى
شُغِفتُ بهم حباً فزاد توجعى وطال إلى أهل الخيام حنينى
فوجدى بهم وجدُ الحمائم فى الضحى تجاوبُ بالتغريد فوق غصون
رعى الله هاتيكَ الخيامَ وأهلها وأروى ثرى الأحبابِ ماء دجون
فإن عشتُ عاش الود فى القلب سالماً وإلا فلى فضلٌ بحسن يقينى

وقال أيضاً

رأيت مرة فيما يرى النائم صديقا لى عزيزا عندى وقد مات وهو من بيت ملوك (العبد اللاب) بالسودان وهو أكرم من رأته عيناى وسمعت به أذنى وهو « الشيخ الأمين » ولد مسمار . رأيته يقول لى لِمَ لم ترثنى فقلت له لقد رثيتك فقلت :

مضى لسبيل الله من كان للورى غياثاً مغيثاً ناصراً وكفيلا

على أنه لم يسبق لى أن رثيته فلما انتبهت من النوم وجدتُ البيت مطبوعا على مرآة قلبى فأتبعته بأبيات ثلاثة هى :

فمالى أرانى بعدَهُ لستُ مفنياً دموعى ومالى إن بكيتُ طويلا
هو الموتُ لا ينفك يَرْمى بسهمه مُحلًّى ويخطى عاطلاً وجهولا
لعمرك ما اخترتُ الحياةَ وإنما طلبتُ ولكن ما وجدتُ سبيلا

عبر الأيام

خلِّ التصابي وادّكارَ الأربُع — وأسكب على ماضيك حمرَ الأدمع
ودع السّوى وارجع لربك مخبتاً — والجأ له بتخشع وتضرع
واقلع وتب مما جنيتَ فإنه — يعفو ويصفح عن ذنوب المقلع
ولعله يسقيك وهو المرتجى — عند الخطوب بكأس فضل مترع
وتأمّلنْ حِكَمَ الإله بخلقه — وانظر بها إبداع سر مودَع
أين الفراعنةُ الألى سادوا وقو — مُ ثمودَ بادوا مثل معشر تبّع
شالت نعامتهم وأخفق سعيهم — وتجردوا عن كل عيش ممرِع
ورُموا بقاصمة الظهور فأهلكوا — وتتابعوا نحو الطريق المهيع
وقياصرُ الرومان معْ دولاتهم — طلعت لهم شمسُ الردى من مخدع
كانوا تمائمَ دهرهم وكواكب الـ — ـدنيا على قمم الفخار الأمنع
والكسرويين الملوكَ وعرشهم — دُهموا بخطب ليس بالمتوقع
درجوا فما أغناهمُ عن ربهم — سلطانهم وسنا الرماح الشرع
مالت عروشهمُ وكلٌّ خلّف الجيـ — ـشَ العرمرمَ والأريكة إذ دعي
ما العيشُ إلا عيشُ من أضحى ولم — ينظر لغير معاده بتطلع
هجرَ المنامَ وكلَّ شيء هالك — وأقام يرتع فى هنيء المرتع
مولاى هبْ لى منك عارفة فإ — نى خائف والله هول المرجع
أنا ذو افتقار للنوال وليس لى — إلا الرجا وخفيُّ لطف المبدع
نفسى تعاصينى القيادَ وترتمى — نحو الهوى بتشوق وتسرع

قد جاءنا بكتابك المحفوظ ذو الـــخلقِ العظيم وذو الجناب الأرفع

فأبان سُبْـلَ الغي عن سُبُـل الهدى ... لـكنّ لى قلبـــاً وحقك لا يعى

من لى إذا ما ضمنى فى حفرتى ... أهلى وصرتُ بقعر دار بلقع

وَسلانىَ الخلُّ الوفى وسلوته ... وهجرت مصطافى هنـاك ومربعى

ويجيئنى الأملاكُ يستفتون عن ... أشيا وليس سواهمُ أحـدٌ معى

يا ربِّ أنت حمـايتى فـتَـولَّنى ... يا رب أنت من النوائب مفزعى

جـد لى وزين ظاهرى بعوارفٍ ... وبباطنى نورَ المعـارف أودِع

واقبـــل شكايةَ فاقتى وتطلبى ... لنداك وارحم ذلتى وتوجعى

أنا عبـد سوء أوثقتـه ذنوبه ... أنا لائذٌ بحمى الرحاب الأوسع

إن لم تـكن لى من ذنوبٍ أثقلت ... ظهرى فما أقوى وأقفر مرتعى

النفحاتُ السّمانية (١)

ألا يا حَمَامَ الغَــــورِ قد زدتنى كربا
رويدَكَ لا تـذْكرْ بتغريدك الركبا

وأيامَ أُنسٍ لم نُمتَّعْ بحسنهـــا
طويلاً وقلبى لا يزال بهـــا صبا

وإنىَ يومَ البينِ من شَرَقى بِهِمْ
لَبِسْتُ بُرودَ الدمع من بعدهم ثوبا

قفا خــبرانى عن رفاقٍ توسطت
مَطِيُّهُمُ الهيماءَ يَنْهَبْنَهَا نَهْباً

يجزن هُضَيْباتِ الأبَيْرِق عَتْمَةً
تُضيءُ السبيلَ الوعرَ من ضَرْبِهَا الحصبا

كأن مسيرَ الظاعنين عشيةً
وأكوارُهُمْ من كل عَيْطَلَةٍ حدبا

يناجونَ من جوِّ السماءِ بروجَهَا
أو انهمُ يَبغون من بعدِها طِلْبا

---

(١) النفحات الألهية السمانية . هو كتاب فى آداب الطريقة السمانية وأورادها وفيه آداب للمريد السالك وكيفية الرياضة والتحنث فى الخلوات وكيفية الذكر وبيان حضور الذاكر مع الله بقلبه وبالجملة فهو كتاب نفيس طبعه سنة ١٣٢٨ هجرية مولانا الأستاذ السمان رضى الله عنه وهو معروف عند السادة السمانية بالسودان ومصر .

وقد رحلتْ سلمى ولم يك عن قلبي
ومُذ غادرتني لم يَزَلْ رَبْعِي جَدْبا
حفظتُ لها عهدَ الهوى مذ عرفتها
فأركبني شوقي لها مركباً صعبا
وما آنستْ نفسي وإن عزَّ وصلُهَا
بقلبي سلواً والذي فلق الحبا
ومالىَ لا أبكي وقد عَزَمَ النوَى
فريقٌ طوى في شُقَّةٍ(١) البعد لي قربا
تطالبني الأيامُ كلٌّ جميلة
كأنيَ جانٍ في وجودى بها ذنبا
ولما تنادوا للرحيل وأزمعوا
وريحُ صَبَا الأشواق في جوفها هبا
بكتْ وهي شمسٌ والدموعُ كأنها
أشعةُ بدر التِّمّ تخترق السحبا
فدتْ لتنشيفِ الدموع يداً بها
أناملُ يحكي لينُهَا اللؤلؤَ الرطبا
تزودتُ منها وهي عَبْرَى بنظرةٍ
فما تركتْ لي بعدها والهوى لُبّا
عجبتُ لذاتِ الدل تحملُ ردفها
وعهدى بها من حمل خلخالها غضبي

(١) شقة البعد أي مشقة السفر .

لها أعينٌ نجلٌ إذا مارنتْ بها
تديرُ عليك الزنجبيلـيَّةَ الصهبا(١)

سُلَيْمَى اذكرى صبًا لعهدِك حافظاً
له قصصٌ فى الحب يستغرق الحقبا

عليك بمن لم يَظْهَرِ العذلُ قلبَه(٢)
ولم يستطع منــه لسد الهوى نقبا

وقفتُ على ربع الأحبة حائراً
وقد أخذوا لى فى هوادجهمْ قلبا

فقلتُ رعاكَ اللهُ يا ربعُ بعدهم
ودَرَّتْ عليك السحب من وَدْقِهَا القُضْبا(٣)

فإن وجدوا الرحبَ الخصيبَ فإننى
وجدت فِنَاءَ العارفِ القطبِ لى رحبا

محمدٌ السمانُ والعـلمُ الذى
غدا لرحى الأسرار فى عصره قطبا

هو البحرُ من سرِّ المهيمن زاخرٌ
وإن كنتَ لم تَسمَعْ لتياره صخبا(٤)

---

(١) الزنجبيلية الصهباء هى الخمر وكانت تصنع من التمر ويوضع عليها الزنجبيل ولذلك سميت زنجبيلية .

(٢) يظهر العذل قلبه أى يعلو عليه وكأنه يقول إن قلبي يا هذه لم يستطع العاذل أن يعلو عليه ولا يستطيع له نقباً أى فرجة يصل بها الى هذا القلب المعمور بحبك وكأنه فى حصن قوى

(٣) الودق : المطر . القصب هو الظهر والمعنى أى درت عليك السحب مطراً غزيراً حتى لم تبق من أمعائها شيئا

(٤) الصخب : هو كثرة الكلام بارتفاع الصوت .

إمام به الإســـلامُ أضحى ممنعاً
وأعلامه اجتازتْ برفعتها الشُّهبا
بدا نورُه كالشمسِ فى الشرق ساطعاً
فعمَّ سنـا إرشادِه الشرقَ والغربا
ومنه بدا للنـاسِ نورُ معـارفٍ
وهدى به الأكوانُ قد تُوجَتْ عُصْبا
وقد جدَّ فيهم والقلوبُ مريضةٌ
فكان لهـا من كل آلامهـا طِـبًّا
وسارَ بهم نحو الرشادِ مسارعاً
ومدَّ عليهم من مواهبـه طُنُبا(١)
سلوا عنـه سكانَ البسيطة إنهم
خبيرون أو إن عزَّ ذا ، فسلو الكتبا
ومن نفحات العارفِ القطبِ فاغترف
شراباً هنيئاً بارداً صافياً عَذْبا
تَنَاولْ على ألحانِها الكأسَ واستزدْ
فلا لومَ إن دارت عليك ولا عَتبا
به جَلَّ اللهُ الزمانَ وأينعت
رياضٌ له صارت حدائقُها غُلْبا

---

(١) الطنب بضمتين حبل الخباء وهو خيمة الاعراب وإلى الآن هو معروف عند بادية السودان لا يعرفون غيره .

وبالقمـــرين[١] النيـرين محمـــد
وأحمدَ قد ماستْ طريقتنا عجبـا
أولئكَ ساداتُ المفـاخرِ ذادةُ الـــ
ـحـمى وربيعُ الناس فى السنةِ الشهبا
أبوهم رفيقُ المصطفى وصـــديقه
وأولُ من فى الله داعى الهـــدى لبـا
هُـمُ ملجئى فى النائبات وعُـــدتى
وكنزىَ إن أوليتُ من زمنى خطبا
وهم نخبةُ الأيامِ والدهـــرِ كلـه
وآلُ السماحِ الغَضّ فى العرب العربا
وقد ورِثوا فى المكــرماتِ «لؤيهم»
«وغالبَهم» واسترشدوا فى الندى «كعبا»
فياحجةَ الإســـلام نظرةَ مشفـقٍ
إلىَّ عسى ألقى بهـا الأمنَ فى العقبى
تقاسمتِ الأيامُ حظى فـكنَّ لى
على رصـــدٍ منى فتبّاً لهـا تبّـا

---

(١) القمران النيران هنا ، هما الأستاذ الملاذ والسيد السند سيدى محمد حسن السمان وارث مقام الأستاذ الأكبر والقطب الأوحد أستاذنا محمد بن عبد الكريم السمان منشىء الطريقة السمانية القادرية والخلوتية ، وعنه أخذ الجد سيدى أحمد الطيب بن البشير العباسى . وأحمد هذا هو ابن الأستاذ محمد حسن السمان قدما إلى السودان سـنة ١٣٢٨ هجرية فاحتفلت به البلاد احتفالا رائعا حكومة وشعب وفى هذا العام فوجئنا بوفاة الأستاذ بالمدينة المنورة حيث هي وطنه وبوفاة ابنه أحمد بالجاوة (أندونوسيا) .

ومالىَ غــيرَ الحبُّ فيــكَ وسيلة
وفى جدك الصديق من فَضَل الصحبا
فَصِلْنِى بما أمَّلتُ فيك ومُدَّنى
بسرك واكشف عن بصيرتىَ الحجبا
تيممتُ بحرَ الفضلِ والحلمِ ظامئاً
فألفيتُ فى وِرْدِى له منهلا عذبا
تخذتُكَ يا ذُخرى لكلِّ مؤمَّلٍ
وحسبىَ أنى قد تخذتك لى حسبا
فقم بالمحبِّ الطيبِّى محمدِ السـ
عيد الذى ذابت حشاشتُهُ حبا
فلم ينظم الا فيك دُرَّ قصيده
وعترتِكَ الطهرِ الكرامِ ذوى القربى
وجادكَ ياقطبَ الورى كلُّ هامعٍ
من المزن يسقى من شآبيبه التربا
وحياك رَوْحُ الله ماذُو صبابةٍ
غدَا هائماً من فقد جيرَته صَبّا

أبو مدين

قصيدة الأستاذ أبي مدين الغوث رضى الله عنه هى قصيدة فذة فى بابها ومن النوع الذى يألفه السادة المتصوفة على اختلاف طبقاتهم لأنها فوق بلاغتها وروعة معانيها قد جمعت آداب المريد السالك طريق القوم من جهاد نفسه وأدبه مع أستاذه ومع إخوانه فى الطريق . وقد لا تجد فى السودان من لم يحفظها عن ظهر قلب ولقد خمسها أكابر العلماء من أئمة المتصوفة كسيدى محي الدين ابن عربى فى المتقدمين وسيدنا وأستاذنا الحجة عبد المحمود نور الدائم فى المتأخرين وسبعها كذلك أخى المرحوم الشيخ محمد يس ابن الأستاذ محمد شريف وللأسف قد ضاع منى هذا التسبيع ولو عثرت عليه لأثبته . لذلك لما رأيت إقبال الناس عندنا على هذه القصيدة وعلى ما يجرى مجراها أقدمت فخمستها وجعلت فى كل صفحة من صفحات الديوان تخميس بيتين منها : فالأول تخميسى ، والثانى لسيدى محي الدين ، والثالث لسيدى الشيخ عبد المحمود رضى الله عنهما وعفا عنى بمنه وكرمه .

تخميس قصيدة سيدى أبى مَدْيَن الغوث
رضى الله عنه

قلتُ

قم جَرِّدِ العزمَ للطاعات مبتدرا   وراقبِ اللهَ تحمدْ فى الصباح سرى
وإن تُرِدْ صحبةً فالمستشار يرى
(ما لذةُ العيش إلا صحبةَ الفقرا   هم السلاطينُ والساداتُ والأمرا)

الأستاذ الأكبر الشيخ محيي الدين بن العربى

يا طالباً من لذاذاتِ الدُّنا وطرا   إذا أردتَ جميعَ الخير فيك يُرى
المستشارُ أمينٌ فاسأل الخُبَرَا
(ما لذة العيش إلا صحبةَ الفقرا   هم السلاطينُ والساداتُ والأمرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

إلى متى أنت مختارُ الفؤادِ ترى   والركبُ عَرَّس فى حان الطلا سحرا
إن رُمت تقفوهُ خُذْ ما قاله الخُبَرَا
(ما لذة العيش إلا صحبةَ الفقرا   هم السلاطين والسادات والأمرا)

وقلت

القومُ إن رُمتَ حظاً من نفائسهم أو شئتَ تخطر فى أبهى ملابسهم
وتشرب الكأس منهم فى حنادسهم
(فاصحبهمُ وتأدبْ فى مجالسهم وخل حظك مهما قدموك ورا)

الأستاذ الأكبر

قومٌ رضوا بيسير من ملابسهم والقوتِ لا تخطر الدنيا بهاجسهم
صدورُهم خالياتٌ من وساوسهم
(فاصحبهمُ وتأدب فى مجالسهم وخل حظك مهما قدموك ورا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

تَنحُو الركابُ إلى معنى أكائسهم والكون ريانُ من ريَّا نفائسهم
هم أبحرُ الرِّىِّ هم نعمى مُجالسهم
(فاصحبهمُ وتأدب فى مجالسهم وخل حظك مهما قدموك ورا)

وقلت

رِدْ ماءهم وإذا ماجئتَ مرتعَهُمْ فارتع، سقى صيبُ الرضوان مربعهم
هُمُ الشموسُ نحلِّ القلبَ مطلَعهم
(واستغنم الوقتَ واحضر دائماً معهم واعلم بأن الرضى يخُصُّ من حضرا)

الأستاذ الأكبر

أسلك طريقهمُ إن كنت تابعَهُمْ واترك مرادك واحذر أن تراجعهم
فيما يريدونَهُ واقصد منافعهُم
(واستغنم الوقتَ واحضر دائماً معهم واعلم بأن الرضى يخص من حضرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

أبطالُ علمٍ (فحاذر) أن تنازعَهُمْ أو أن تُقَيِّدَ بالآرا طبائعهم
فلا سلامةَ إلا أن تطاوعهم
(واستغنم الوقت واحضر دائماً معهم واعلم بأن الرضى يخص من حضرا)

وقلت

متى وصلتَ حِمى أهلِ الرشاد فَحُـلْ   وانْزَعْ بعزمٍ ثيابَ الغافلين وسُـلْ
واشرب قليلا من الماء الزلال وكل
(ولازمِ الصمتَ إلا إن سئلت فقلْ   لاعلمَ عندى وكن بالجهل مستترا)

الأستاذ الأكبر

كن راضياً بهم تسمو بهم وتصلْ   إن أثبتوك أقم أو إن نحوك فَزُل
وإن أجاعوك جع أو أطعموك فكل
(ولازم الصمتَ إلا إن سئلت فقلْ   لا علم عندى وكن بالجهل مستترا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

فى روض أسرارهم ذوقاً بعقلك جُـل   ومن ثمار معانيه الهنيئةِ كل
والنفسَ منك عليها اخلع ملابسَ ذُلْ
(ولازم الصمت إلا إن سئلت فقل   لا علم عندى وكن بالجهل مستترا)

وقلت

إن رمتَ بالسير تلقى عالىَ الرُّتبِ   فاترك مرادك واخلع خلعة الريب
وحاسبِ النفسَ وانهجْ نهجَ ذى أدب
(وحط رأسك واستغفر بلا سبب   وقم على قدمِ الآداب معتذرا)

الأستاذ الأكبر

تَـنَلْ بذلك ماترجوه من أرَب   والنفسَ ذللْ لهم ذلاً بلا ريب
بل كلُّ ذلك ذلٌّ ناب عن أدب
(وحط رأسك واستغفر بلا سبب   وقم على قدم الآداب معتذرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

طهر فؤادَك من لهو ومن لعب   وافتح لباب الرجا بالذل والأدب
ولا تعاتبْ وإن عوتبت فاقترب
(وحط رأسك واستغفر بلا سبب   وقم على قدم الآداب معتذرا)

وقلت

كنْ وقتَ سيرِك بالآداب مُجتهدا وَنزِّه القومَ فى أحوالهم أبدا
عن كل عيبٍ ونقصٍ إن تَرُمْ رَشَدا
(ولا ترى العيبَ إلا فيك مُعتقدا عيباً بدا بَيِّناً لكنه استترا)

الأستاذ الأكبر

ولا تكن لعيوبِ الناس مفتقدا وإن يكن ظاهراً بين الوجود بدا
وانظر بعين كمالٍ لا تَعِبْ أحدا
(ولا ترى العيبَ إلا فيك مُعتقدا عيباً بدا بَيِّناً لكنه استترا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

قم فى الدياجر بالأذكارِ مجتهدا وعَنِّفِ النفسَ فى تقصيرها أبدا
واحفظ لسانَك من عيبٍ يعيبُ غدا
(ولا ترى العيبَ إلا فيك معتقدا عيباً بدا بيناً لكنه استترا)

وقلت

هذا طريق هداة من نَحَاهُ سَلِمْ يا طيبَ ماءٍ به للسائرين شَبِمْ
فى حضرة الشيخ حاذرْ أن تَفُوهَ بِلِمْ
(وإن بدا منك عيبٌ فاعترف وأقم وجهَ اعتذارِك عما فيك منك جرى)

الأستاذ الأكبر

إن شئتَ منهم بَرِيقاً للطريق تَشِمْ عن كل ما كرِهُوهُ من فِعالك ذُمْ
والنفسَ منكَ على حسن الفَعَال أدِمْ
(وإن بدا منك عيبٌ فاعترف وأقم وجهَ اعتذارك عما فيك منك جرى)

سيدى الشيخ عبد المحمود

إصرِفْ هواكَ على أهلِ الطريق وهُمْ بحبِّهم وبهم لُذْ فى الزمان وَهِمْ
واعصم فؤادَك عما لا يَليقُ بهمْ
(وإن بدا منك عيبٌ فاعترف وأقم وجهَ اعتذارِك عما فيك منك جرى)

وقلت

إن جئتَ يوماً كرامَ الحيِّ قل لكمُ   مولًى على العهد ما استهدى بغيركم
قد أبعدته الخطايا عن جواركمُ
(وقل عُبيدُكمُ أولى بصفحكمُ   فسامحوا وخذوا بالرفق يا فقرا)

الأستاذ الأكبر

لهم تملقْ وقل داوُوا بصلحكمُ   ومَرهم العفوِ منكم داءَ جرحكمُ
أنا المسيءُ هَبُوا لى محضَ نصحكمُ
(وقل عبيدكمُ أولى بصفحكم   فسامحوا وخذوا بالرفق يا فقرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

يا سادتى فأنا مُلْقًى بسوحكمُ   والذنبُ قد عاقنى عن نَيْل نجحكم
قد قيل لى قل لهم رُشداً بنصحكم
(وقل عبيدكم أولى بصفحكم   فسامحوا وخذوا بالرفق يا فقرا)

وقلت

القومُ فى الله ما انحلَّتْ عزيمتُهُمْ   كلاَّ وكم هطلت بالخير ديمتُهُمْ
زادت على قِيَمِ الأشياءِ قيمتهم
(هُمْ بالتفضُّلِ أولى وهو شيمتهُمْ   فلا تخَفْ دَرَكاً منهم ولاضررا)

الأستاذ الأكبر

لاتخشَ منهم إذا أذنبتَ . همتهُمْ   أسنى وأعظمُ أن تُردِيك عِشرتهمْ
ليسوا جبابرةً تؤذيك سطوتهُمْ
(هم بالتفضلِ أولى وهو شيمتهم   فلا تخف دركاً منهم ولاضررا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

هم سادةٌ همهم فى الله . نِيَّتُهُمْ   رشدُ العباد إلى ما فيه قُربتُهم
بالدمع جئهم إذا ما جئتَ حضرتَهُمْ
(هم بالتفضلِ أولى وهو شيمتهم   فلا تخف دركاً منهم ولا ضررا)

قلت

عليك إن رمتَ في بحر السلوك هدى　　بالطيبين شذًى والأكثرين نَدَى
بهم تمسكْ فهم سفن النجاة غدا
(وبالتَّفَتِّي على الإخوان عد أبدا　　حسًّا ومعنى وغضَّ الطرف إن عثرا)

الأستاذ الأكبر

إذا أردتَ بهم تَسلُكْ طريقَ هدى　　فكن لما طلبوه منك مجتهدا
فى فَوْزِ يومك واحذرْ أن تقول غدا
(وبالتفتِّي على الإخوان عُدْ أبدا　　حسًّا ومعنى وغض الطرف إن عثرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

كن معرضاً أبداً عن من لهم حَسَدا　　واجعل عليك هواهم فى الزمان رِدَا
وابذُل عليهم عسى تَلقَى بهم مدَدَا
(وبالتَّفَتِّي على الإخوانِ عُدْ أبدا　　حسًّا ومعنى وغض الطرف إن عثرا)

وقلت

واخفِضْ جناحك واقبلْ من اليك أسا　　عساك تَقْتبسُ من نارِ الهدي قبسا
وكن بسيرة أهلِ الحالِ مؤتنسا
(وراقبِ الشيخَ فى أحواله فعسى　　يَرىَ عليك من استحسانه أثَرَا)

الأستاذ الأكبر

أصدِقْهُمُ الحقَّ لا تستعمل الدنسا　　لأنهم أهلُ صدقٍ سادةٌ رؤسا
واسمح لكل امرىء منهم اليك أسا
(وراقبِ الشيخَ فى أحواله فعسى　　يَرى عليك من استحسانه أثرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

فى حُكمِ نفسك لا تُدخل ولو نفسا　　مذ بعتَ نفساً عليهم مُغرَماً أنسا
واعمل بأعمالهم لَيلاً ضُحىً غَبَسا
(وراقبِ الشيخ فى أحواله فعسى　　يَرَى عليك من استحسانه أثرا)

وقلت

سلمْ إليــهِ وبالغْ فى كرامتـه وعفـّرِ الخدَّ فى دَارِىِّ ساحته
أقسمتُ ما الفخرُ إلا لثمُ رَاحتِـهِ
(ففى رضاهُ رضا المولى بطاعتِـه يَرْضَى عليك فكن من تركها حذرا)

الأستاذ الأكبر

واحفظ وصيتَهُ زد من رعايَتِـهِ ولبِّـه إن دعا فوراً لساعتِـه
وغُضَّ طرفك بالنجوى لطاعته
(ففى رضاه رضا المولى بطاعته يرضى عليك فكن من تركها حذرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

وَراعِهِ فى حضورٍ ثمَّ غيبتـهِ وإن دعاك استجبْ فوراً لدعوته
وسـرِّه بالذى يُبْـدِى لفرحته
(ففى رضاه رضا المولى بطاعته يرضى عليك فكن من تركها حذرا)

وقلت

مضى زمانٌ بِقاعُ الدين آنسةٌ مأهولةٌ ولمن فيهـا مُجانَسِبَةٌ
واليومَ أضحتِ خلاءً وهى عابسِةٌ
(واعلم بأن طريقَ القومِ دارسةٌ وحالُ من يدعيها اليومَ كيف ترى)

الأستاذ الأكبر

والزَمْ لمن نفسُهُ نفسٌ مُسايِسةٌ فى ذا الزمان فإنَّ النفسَ آيِسةٌ
منه وحرمتُهم فى الناس بَاخسَةٌ
(واعلم بأن طريقَ القوم دارسة وحال من يدعيهاالیوم كيف ترى)

سيدى الشيخ عبد المحمود

إصحبْ رجالاً لهم ذوقٌ مُنافَسةٌ أرواحُهمْ برياضِ الأنسِ آنسةٌ
(من لى) وأين همُو والنفسُ حابِسةٌ
(واعلم بأن طريقَ القوم دارسة وحال من يدعيها اليوم كيف ترى)

قلت

لى سادةٌ أنا من أسرَى محبتهم قَضَّيْتُ زهرةَ أيامى بصحبتهم
نأوا فوا حزَنا من طُول فُرقتهم
(متى أراهم وأنّى لى برؤيتهم أو تسمعُ الأذنُ منى عنهمُ خبَرا)

الأستاذ الأكبر

يَحِقّ لى إن نأوا عنى لألفتهم ألازمُ الحزنَ مما بى لفرقتهم
عَلى انقطاعىَ عنهم بعدَ صحبتهم
(متى أراهم وأنّى لى برؤيتهم أو تسمعُ الأذنُ منى عنهمُ خبرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

بَعُدتُ عنهم فوَا شوقى لحضرتهم و لَثْمِ كفِّهِم سَمْعى لقَوْلتهِمْ
يا إخوتى وصحابى فى محَبَّتهم
(متى أراهم وأنّى لى برؤيتهم أو تسمعُ الأذنُ منى عنهمُ خبرا)

قلت

بُشراى بُشراىَ إن ساقوا مراحمهمْ إلىَّ أو وجهوا يوماً عزائمهم
يا سعدَ مَن بالحمى أضحى مُلازِمَهُمْ
(مَن لى وأنّى لمثلى أن يُزاحمَهم عَلى مَوارِدَ لم أُلْفِ بها كَدَرا)

الأستاذ الأكبر

تخلّفنى مانعى من أن أُلائمهم منهم أتيتُ فَلُمنى لستُ لائمهم
يا ربِّ هب لى صلاحاً كى أنادمهُمْ
(من لى وأنى لمثلى أن يزاحمَهم على مواردَ لم أُلْفِ بها كدرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

قلبى يُريدُ اشتياقاً أن يلائمهم والذنبُ يمنعنى من أن أكالمَهُمْ
جعلتُهم فى فؤادى كى أنادمهُمُ
(من لى وأنى لمثلى أن يزاحمَهُمْ على مواردَ لم أُلفِ بها كدرا)

وقلت

أئمةٌ مظهرُ الزهادِ مظهرُهم فقيرُهم طلَّقَ الدنيا وموسِرُهم
إنى وليتَ نسيمَ الفجرِ يخبرهم
(أحبهم وأداريهم وأوثرهم بمهجتى وخصوصاً منهمُ نفرا)

الأستاذ الأكبر

جلَّتْ عن الوصفِ أن تحصى مآثرُهمْ على البواطن قد دلَّتْ ظواهرهم
بطاعة الله فى الدنيا مفاخرُهمْ
(أحبهم وأداريهم وأوثرهم بمهجتى وخصوصاً منهمُ نفرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

كواكبٌ كلهمْ . فالحقُّ نوَّرَهمْ وبالمعارفِ والأسرارِ عطرهم
قد أصلحوا سرهم فيه وجهرَتهم
(أحبهم وأداريهم وأوثرهم بمهجتى وخصوصاً منهمُ نفرا)

وقلت

لله قومٌ بذكرِ الله قد أنسوا لذاك من خلَعِ الرضوان قد لبِسوا
حاشاهمُ لمريد الحقِّ ما عَبَسُوا
(قومٌ كرامُ السجايا حيثما جلسوا يبقى المكانُ على آثارهم عَطِرا)

الأستاذ الأكبر

قومٌ على الحق بالطاعات قد رأسوا منهم جليسُهمُ الآدابَ يقتبس
ومَن تخلف عنهم حظُّه تعِسُ
(قوم كرام السجايا حيثما جلسوا يبقى المكانُ على آثارهم عطرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

رُهبانُ ليل بمولى الكلِّ قد أنسوا وللمدامةِ فى حانِ الشهود حَسوا
يا بئس من عنهم فى الناس قد خنسوا
(قوم كرام السجايا حيثما جلسوا يبقى المكان على آثارهم عطرا)

قلت

إتبعْ هداهم وهِمْ فى حبهم كَلِفا   وكن لفضلة هذا الكاس مُرتشفا
ألا تراهم وقد سادوا الورى شَرَفا
(يهدى التصوفُ من أخلاقهم طُرَفا   حسنُ التآلفِ منهم راقنى نظرا)

الأستاذ الأكبر

فَهِمْ بهمْ لا تفارقهم تزدْ شرفا   وإن تخلفتَ عنهم فانتحبْ أسفا
عصابةٌ بهم يُكسى الفتى شرفا
(يُهدى التصوفُ من أخلاقهم طُرفا   حسنُ التآلفِ منهم راقنى نظرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

عن بابهم لا تكن فى العمر مُنصرفا   واستنشق النشرَ فى روضاتهم شَنَفا
أجلةٌ يالهم من سادة حُنفا
(يُهدى التصوفُ من أخلاقهم طُرفا   حسنُ التآلفِ منهم راقنى نظرا)

قلت

أهلاً بهمْ إذ رقوا أوجَ العلا وسموا   فى حضرة القدس عن مولاهمُ فهموا
سلمْ ولا تكُ فيهم مثلَ مَن وَهموا
(هم أهلُ وِدّى وأحبابى الذين هُمُو   ممن يجرُّ ذيولَ العز مفتخرا)

الأستاذ الأكبر

جَرَرتُ ذيلَ افتخارى فى الهوى بهمُو   لما رضُو فى عُبيداً فى الهوى لهمو
وحقّهم فى هواهم لستُ أُتّهمُ
(هم أهلُ وِدى وأحبابى الذين همو   ممن يَجُرُّ ذيولَ العز مفتخرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

يهتزّ قلبى غراماً ما ذكرتُهمو   والدمعُ يَهمى ولو نوماً رأيتُهمو
وإن نأوْا فلعمرى ما سلوتُهمو
(هم أهلُ وِدىّ وأحبابى الذين همو   ممن يجرُّ ذيولَ العز مفتخرا)

وقلت

حيّا الرّضا لا أُرجّى غيرَه ورعى   من الأحبة مُصطافا ومُرتبعا
أحبةٌ منهمُ نورُ الهدى سطعا
(لازال شملى بهمْ فى الله مجتمعا   وذنبُنا فيه مغفوراً ومُغتفرا)

الأستاذ الأكبر

قطّعتُ قلبيَ نظماً فى الهوى قطعا   وقد توسلتُ للمولى بهمْ طمعا
أن يغفر اللهُ لى والمسلمين معا
(لازال شملى بهم فى الله مجتمعا   وذنبنا فيه مغفوراً ومغتفرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

بذكرهم كلُّ صبٍّ مُدنَفٍ ولعا   لعزهمْ كلُّ ذى عز لقد خضعا
بذلتُ روحى لهم أيضاً حجاى معا
(لازال شملى بهم فى الله مجتمعا   وذنبنا فيه مغفوراً ومغتفرا)

وقلت

يارب أنتَ لنا من هول مرقدِنا   خذْ بنا لطَريق الحقِّ من يدِنا
طريقة العارف السّمانِ مرشدنا
(يارب صل على المختارِ سيدنا   محمدٍ خيرِ من أوفى ومن نذرا)

الأستاذ الأكبر

يا كلَّ من ضمهُ النادى بمجلسنا   إدعُ الإلهَ بهم يمحو الذنوب لنا
وادعُ لمن خمّس الأصل الذى حسنا
(ثم الصلاةُ على المختار سيدنا   محمدٍ خيرِ من أوفى ومن نذرا)

سيدى الشيخ عبد المحمود

قربْ بهمْ نحو مَن لله ذاك دنا   سرُّ الحضائر من قدْ جا بكلِّ هَنا
واشرح به الصدر وانشدْ هاهنا علنا
(ثم الصلاة على المختار سيدنا   محمدٍ خيرِ من أوفى ومن نذرا)

فهرست

صفحة

الباب الثانى : فى الرثاء

استدراك

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٨	٦	فنصبا	فصبا	٨٤	١٥	اللائى	اللاء
٢٧	١١	يرح	برح	٩٩	١٠	دفعت بنا	كم دفعت
٢٧	٥	معيرى	ومصيرى	١٠٤	١	يونب	يؤنب
٣٢	١١	واعدا	وأعدوا	١٠٧	١	الإناة	الأناة
٤٥	٧	من ضيا	فى ضيا	١٠٨	٢	اغتر	اغترارکم
٤٧	١٣	جرت	جبرت	١١٤	٦	لد زنته	قد زنته
٤٧	١٥	إن لم تكونواهم	إن لم تكونوهم	١٢٣	٦	أوامه	أُوامه
٤٨	٩	من	إن	١٣٤	٤	القُدر	القَدر
٥٨	٦	مضر	مصر	١٤٦	٤	تحبونىَ	تحبونى
٦٢	١٠	داويه	ذاريه	١٦٨	٤	فيم	فيما
٧٧	٤	الدينَ	الدينِ	١٧٨	١٤	لاه	لاما

مطبعة الاعتماد